

اهداءات ۲۰۰۲ أد/ مصطفى الصاوى الجويني الاسكندرية

درین خشبکه



لشاعر الخلود « هوميروس »

الثمن ٣٠

الساشر مكتبة دار الكتب الأهلية عيدان الأويرا

مطبعة الرسالة القاهره — ١٩٤٥

مفت دمه

... وها هي ذي قصة الأوذيسة ... أو الحلقة الثالثة من روائع الأدب اليوناني التي أخذت على عاتقي تقديمها بطريقتي الخاصة لقرائي الأعزاء في جميع الأقطار العربية ... أولئك القراء الذين أكرموني فتقبلوا كتابي السابقين: أساطير الحب والجال عند الإغريق، وقصة طروادة، متضمنة إلياذة هوميروس الحالد، الذي فُتِنْت به، فلم أبال أن أقدم طُر فتيه المجيدتين لقراء الأدب الرفيع في أقل من ستة أشهر، ليشقًا طريقهما وسط تلك الزحمة الصاخبة من مئات الكتب في الأدب الرخيص.

ها هى ذى قصة الأوذيسة إذن ··· كما رويتها، وهذبت حواشيها، منذ عشر سنين ، جارياً فيها على المنوال الذى اخترته فى تقديم كتابى السابقين ··· ذلك المنوال الذى ما زلت أراه أسلم الطرق لتحبيب روائع الأدب القديم إلى نفوس القراء فى هذا الزمن المُتْرَف العَجُولِ المَاول .

و بعد ... فلقد قلت أكثر ماكنت أصبو. إلى قوله عن هوميروس في المقدمة الطويلة التي صدّرت بها لقصة طروادة ، وذكرت فيها الشيء الكثير عن قصة الأوذيسة ، والذي لا أزال أرجوه هو أن يوفقني الله إلى إصدار ما أعددته للطبع من روائع الأدب اليوناني الذي كان في إحيائه إحياء أوربا الحديثة ، والذي لا بد لمصر الحديثة ، بل للعالم العربي الحديث ، من الإلمام به ، إن كان في فيتنا خلق أدب عربي حديث .

(القاهرة: ديسمبر سنة ١٩٤٥)

دربنى خشب

بن مينرث و تايماك ،

أنشد يا هوميروس!

وظل فى فم الأبد قيثارته المُرِنَّة ، ونَايَه المطرب ، وعوده الآنَّ ، ونفمته الحلوة الحنون !

أنشد يا شاعر العُصُر الخالى.

وحُلَّ فى الأسماع موسيـقى مدويّة ، وفى العيون دموعاً جارية ، وفى القلوب رحمة ومحبة ، وانفح عمائس الشعر من لدنك سلطاناً ، وحكمة ونياناً ، وسريراً وصولجاناً .

تَغَنَّ يا شاعر أولمب !

ولْتُرسلُ من جنتك نفمةً تنتظم الأفلاك ، ورنَّةً تَجلجل في الأفق ، وآهةً تزلزل قلوب الجبارين !

* * *

سقطت إليوم (١) ونزح المغير بخيله ورجّله . فتعالَى يا عرائس الفنون فافتقدى أوديسيوس فى ذلك البحر اللجي يذرعه ؟ موجة تلبسه وموجة تخلعه ، لايعرف لمملكته ساحلا فيرسو عليه ، ولا شاطئًا فيقصد إليه ... يخبط فى البَمِ على غير هدى ، ويرسل عينيه فى الماء والسماء على غير بصيرة ... زرقة متصلة فى العُلُو والسفل ، وتيه لا نهائى يخبط فى أحشائه أسطول السادة للنتصرين ...

⁽۱) Ilium هي طروادة

والأقدار وحدها تعلم لماذا ضل أوديسيوس مجنوده فى ذلك العباب، وقد عاد كل أقرابه إلى هيلاس بعد طول النأى وشعط المزار، إلا هو و إلاهم، ممزقين فى دار الغربة كل ممزق، يتجشمون المصائب والأهوال، ويتخبطون بين موج كالجبال، ويخلصون من بحر إلى بحر، ومن روع إلى روع . فإذا أرسوا على أرض وظنوا أنهم نجوا، أفزعهم فيها غير الذى رجوا...

ولذد رقت قاوب الآلهة ، وودوا لو أدركوا برحمتهم أوديسيوس ... إلا نيتيون الجبار ، رب البحار ، الذي يضمر للبطل في أعماقه كل كراهة وكل بغضاء ، والذي آلي أن يصب على رأسه كل تلك الأرزاء ...

وحدث أن كان نبتيون في حرب مع الأثيو بيين ، فانتهزها الآلهة فرصة سانحة ، وعقدوا مجلس الأولمب في ذروة جبل إيدا ، وتفضل الإله الأكبر ، ريوس (١) ، فافتتح الجلسة بكامة مخلصة توجيع فيها لما يلقاه بنو الإنسان من صروف الحدثان ، واستطرد فذكر مأساة أجاممنون المستكين وما لقيه على يدى زوجه وعشيقها الأثيم إيجستوس من غدر وغيلة ، ثم ألحى باللائمة على هؤلاء البشر البائسين الذين يقولون إن كل ما يصيبهم من خير وضير هو من عند الآلهة ، وما هو إلا من عند أنفسهم ... ولسكن لا يفهمون !

ثم نهصت مينرفا ربة الحكمة ، دات العينين الزبرجديتين ، فأيدت ما قال أبوها سيد الآلهة ، وأثنت عليه ، ثم ذكرت أوديسيوس ... « ذلك التعس المسكين الذي تخبطه (۲) وصحبَه البحر، وتُقضى عليه – دون Zeus (۱) أصله واصد عليه طريمه

أقرانه جميماً - أن يشقى هذا الشقاء الطويل ، عند عروس الماء الفاتنة كالسو في جزيرة أوجيحيا ، ثمانية أعوام أو يزيد . ماذنبه؟ ماجريرته ؟ لماذا رينني هذا العبد الصالح في أقصى الأرض يا أبي ؟ إنه خير عبادك أجمعين. أذ كركم ضحى الأضْعَيات باسمك، وقدم القرابين من أجلك، وحارب أعداءك ، وجاهد شائليك ! لقد نمي إلى أن كالبسو تحاول جاهدة أن تستميل قلب البطل ، وأن تنسيه وطنه إيثاكا ... يا للهول ا كيفيا أبتاه ! وهذه الزوجة التاعسة بنلوب ٢ ! ينلوب الحجزونة المرزَّأة ! يناوب التي صبرت وصابرت طوال هذه السنين على ما كرثها الدهر به من ُبعد زوجها ؛ يناوب التي حافظت على طهرها و إخلاصها ؛ أتظل هكذا سجينة في قصرها المنيف الباذخ ، ويظل هذا القصر محاصراً بعشاقها المحانين من أمراء الأقاليم ؟! أبي إيا سيد الأولمب! ألا تدرك برحمتك أوديسيوس ، وترده إلى وطنه ايدود هذه الـكلاب التي ولغت فی حوضه ، وکادت تخوض فی عرضه ؟ تدارکه یا أبی ؛ تدارکه بعطفة واحدة منك ، وإنك على إنقاذه لقوى مكين » .

واستجاب لها سيد الأولمب، وقضى أن يعود أوديسيوس إلى إيثاكا ؟ لكنه ذكرها برب البحار نبتيون ، وذكرها بما بينه و بين البطل من رّرات وثارات ، « سببها هذه الفعلة الجنونية التى فعلها أوديسيوس بواحد من السيكلوپس (۱) ، أبناء نبتيون إذ اقتلع عينه الواحدة التى كان ينعم بسبيلها بزينة الحياة … إطمئنى يا بنية وقرى عينا … إننا نحن الأعلون ، وسيرى نتيون أنه لن يغلب الآلهة مجتمعة أبدا … ه

⁽١) سيأتي ذكر دلك في السكتاب العاشر من الأوذيسية .

وشاعت الغبطة فى أعطاف مينروا ، وتضرعت إلى مولاها أن ينفذ ولده هرمز إلى جزيرة أوجيجيا ، فيأمر، عروس الماء كالسو أن تعد مركباً عظيا لأوديسيوس ورفاقه ، ليعودوا عليه إلى أوطانهم؛ ثم ذكرت أنها ستمصى من فورها إلى إيتاكا حيث العشاق الما فين يحاصرون قصر نلوب ، وحيث ان أوديسيوس المنكود ، تلماك ، يشهد خرار مملكة أبيه ولا يستطبع أن يحرك ساكنا ، لصغر سنه … « إلى سألهبإحساسه ، وأفتح عينيه على ما ينبغى … سأجعله يخرج من هذه العزلة المعيبة ليبحث .

وانطاقت مينرقا فر بطت نعليها السعريتين ، على قدميها الجيلتين ، وحملت رمحها العظيم الذى تقطر المنايا من سنانه ، ووضعت تاجها المرصع على رأسها الكدير ، وأطلقت ساقيها للريح ، حيث كانت بعد لحظة على مقر بة من قصر أوديسيوس ، فهبطت من الساء إلى الأرض ؛ وفي لحة القلبت فاتخذت شكل الآدميين ، وتخايلت في جسمان الأمير منتس (١) وطيلسانه ، ثم تقدمت فدخلت ردهة القصر الواسعة ، حيث اجتمع العشاق الجانين من أجل وليمة ، وتلفتت يمنة ويسرة ، ورأت الفتى السادر الساهم الحزين تليماك ، وقد تعقدت فوق جبينه هموم … وهموم ، وتغضنت ملء أساريره آلام … وآلام ..

وما هو إلا أن لحجها تليماك حتى أخذه من هيبتها شيء عظيم ... فهب القائها مسرعاً ، ثم مد إليها يده مصافحاً وهو لا يعرف من هي ، وقال :

(۱) بروى أن منتس كان محاراً عاياً وكان يحمل هومبروس في رحلاته الواسعة من غير أجر ، ولذلك كاناً ه هومبروس فحلد اسمه بذكره في الأوذيسة .

« مرحباً مرحباً بالفريب المكرم! هلم فشارك في ذلك القرى ، ولنتحدث يعدها فيما أقدمك إلينا . مرحباً مرحباً وأهلا وسهلا ! ٣٠٠ ودلف نحو الصالة المزخرفة ، وتسعته مينرها ، وفي يمناها رمحها الجبار الذي يقدح من سمانه الشرر ؛ حتى إذا بلغا العمود الأكبر الذي أسندت إليه مثات. الرماح ، والذي كان أوديسيوس يسند إليه رماحه وعدة حربه ، تناول تلماك الرمح وأسنده بعد جهد ، حيث برز بكل عظمته وكل جلاله بين, رماح العشاق الفاسقين . وتقدم محو أريكة وبيرة منعزلة ، وسأل مينرها فاستوت عليها ، وكاما ثمة بمأمن من أن يستمع إليهما أحد .. وأقبلت . جارية فينانة رائمة تحمل طَسْمًا و إبريقاً من الذهب، مصبت الماء على بدى الصيف ويدى تلماك ؛ ثم مصت فأحضرت مائدة نُسِّقْت عليها الورود والرياحين ، ونشط النادل(١٦) يحمل أطباق الطعام والفاكهة والحلوى ، فيأتى بها ملأى ويمضى بها فارغة .. والندمان (٢) فيما بين ذلك يجذب الزق (٣) إليه ويستى ٠٠ ثم يستى ٠٠ وشرع العشاق المحرمون بدورهم يلتهمون ما لذ وطاب من أكلُ وشراب سمتى إذا انتهوا شرع فيميوس بايه وانطلق يغني .

وانتهز تلياك فرصة انصراف القوم إلى لهوهم وشرابهم مساءل الضيف قائلا:

« يا أعز الأصدقاء ! أرأيت إلى أولئك المُسَّاق ، لو أن رب البيت

⁽١) الدادل خادم المالدة.

⁽٢) الدمان ساقي النبراب .

⁽٣) الزق قرية الحمر .

هنا ، أكانوا يلهون لهوهم هذا أو يفسقون فُسُوقهم هذا ؟ كلا ! لقد كانوا إذن أسرع إلى الهرب ، منهم إلى ذلك الطرب ؛ ولـكن ... أواه ا ... أبن هو ! أين أوديسيوس العظيم الذى انقطعت عنا أخباره ويئست من أو بته دياره . ولـكن حدثنى بربك من أنت ؟ ومن أى الأفاليم قدمت ؟ ومَن مرجال البحر الذين ألقوا مراسيهم عند إيثاكا ؟ أغريب أنت أيها السيد ؟ أم كنت فيا خلا من الزمان من أصدقاء أبى وأحبائه ؟ »

وقالت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين :

« اليهدأ بالك يا بنى ، فإنى مجيبك على كل ما سألت . إنك ترى الآن منتس أمير (ـ جزيرة الطافيان) البحارين ، وسليل الخياوس الكبير . ولقد أبحرنا من جزيرتنا ميممين شطر جزيرة النحاس من أجل ذلك المعدن الثمين ، وسفائننا ملقية مراسيها بالقرب من غابات (نيوس) . ولقد كنا ولا نزال من أحب ضيفان أبيك وأودهم إلى عؤاده ، فلما سمعنا بما حل به من شدة ، وببيته من لأواء ، إستوحينا آلمتنا فخبرتنا أنه لا بد عائد إلى وطنه سالماً غاماً ، وأنه لا بد منتقم من هؤلاء الفجار الأشرار ، ولكن خبرني بأربابك ، أفي الحق إنك لأنت ان أوديسيوس العظيم ؟ إن ملامحك تشبه ملامحه ، وإنك لقريب الشبه منه جداً ، وإن هذا البريق الذي يشع من عينيك هو نفسه الذي كان يشع من عينيك هو نفسه الذي كان يشع من عيني أوديسيوس ، يا للآلهة الم سمرت إليه مرة أخرى ؟ إنني من رحاله إلى طروادة ا فهل يُقدّر لى أن أسمر إليه مرة أخرى ؟ إنني من رحاله إلى طروادة ا فهل يُقدّر لى أن أسمر إليه مرة أخرى ؟ إنني من

وقتها إلى اليوم لم أره ، وهو كذلك لم يُرنى ··· ألا ما أُسّوقنى إليه ! ما أُسُوقنى إليه ! ما أُسُوقنى إليه ! ما أُسُوقنى إليه ! ما أُسُوقنى إليه ! ··· »

وشاع بارق من الأمل فى نفس تليهاك فقال : « ويحك أيها الصديق ! إننى أنا ابن أوديسيوس ما فى ذلك ريب ، والعالم كله شهيد على ذلك». ثم اختلطت الزرقة بالخضرة فى عينى ربة الحكمة وفالت : « على

من أين أقبل ؟ إنى لأقلب ناظرى في القوم فلا أرى شريها ذا حسب من أين أقبل ؟ إنى لأقلب ناظرى في القوم فلا أرى شريها ذا حسب يستأهل أن يُعتنى به أو يقام له وزن ! »

ويبتئس تلياك ويجيب: « أيها العزيز ١٠٠٠ لقد هاجرت الفضيلة من هنا في إثر المهاجر العظيم ، وكأنها آلت ألا تعود إلا معه! وكان هو علما كداركته السياء! يلقها هؤلاء بنظرة واحدة تدكني لتزول منها الجبال ١٠٠٠ وا أبتاه! لقد أطمع العاديات فينا بطول نأيه . فيا للنوى ! إننا لا ندرى اليوم أين مقره ولا أيان مستودعه . ولو قد خر تحت أسوار إليوم لاجتمع الاغربق من كل حدب هنا ١٠٠٠ هنا ١٠٠٠ في حاضرة إيثاكا ليذرفوا دموعهم من أجله ، وليقيموا له نصباً عالياً رفيع الذرى شاهق الأرواق ، وليكتبوا اسمه الكريم في صحائف صدورهم بمداد أبدى من التبحيل ١٠٠٠ وليكتبوا اسمه الكريم في صحائف صدورهم بمداد أبدى من التبحيل ١٠٠٠ وليكتبوا اسمه الكريم في صحائف عدورهم بمداد أبدى من التبحيل ١٠٠٠ وليكتبوا اسمه الكريم في صحائف عدورهم بمداد أبدى من التبحيل ١٠٠٠ على وجهه وراء البحار في فجاج الثبيج ، وغدونا لا تحلم العين بنظرة مفردة منه ، ولا الأذن بلفظة عذبة من لسانه المبين ! ١٠٠٠ تباركت يا آلهة الأولم ! ماذا عندك من الأقضية الخبوءة لي ؟ الذئاب ! إي يا آلهة الأولم ! ماذا عندك من الأقضية الخبوءة لي ؟ الذئاب ! إي يا آلهة الأولم ! ماذا عندك من الأقضية الخبوءة لي ؟ الذئاب ! إي يا آلهة

هذه الذئاب ! وحوش البرية التي اجتمعت من كل فج ... من الجزائر المتناثرة في البحر ، ومن المدائن المترامية في البر ... من ساموس ودلشيوم وزاكنثوس أومن كل إقليم وكل مصر ... كلهم يرابطون حول هذا القصر ولا يستحيون ... الفُسّاق ! الأوشاب العرابيد ! يطلبون يد الزوجة الوفية ... الأم المسكاومة ... يناوب ! يناوب الباكية المحزونة المصدعة ! كنر أوديسيوس الذي لا يفني ! يطلبون يدها ولا يرحمون وفاءها و بكاءها ولأواءها ... فلا تستطيع أن تردهم لمجزها ، ولا تستطيع أن تجيبهم وهي لا تدرى من أمر زوجها ... وهم طوال هذه السنين يريفون نماء أبي ، فكهين في أشربات وآكال ، حتى أقفر الزرع وجف الضرع ، وما أحسمهم مبقين على شيء ... حتى على ! »

* * *

واشال الحنان في فم مينرفًا ، إذ هي تجيب الفتي المحزون :

« و يح لك أيها الفتى ! رحمتا لك يا بنى الصغير! أواه! لو أن أباك هنا اليوم ليذود أولئك المناكيد! وحق السماء لو أنهم رأوه وهو يلاعب رمحيه أو يداعب سهامه لأجفلوا وولوا مدبرين! إن له لسهاماً مسومة سيقاها أبى بعد إذ رفض أن يسمها إيلوس بن مرمريس (۱) ... وهو لو صوبها إلى أولئك المعاليك لأبادهم .. يا رحمتا له! إن أحداً غير — الآلهة — لا يعلم إن كان لا يزال حياً يرزق أو هو قد ابتلعه اليم أو عاجلته المنون ... تلياك! يا ابن أعن الناس على "! إصغ إلى"، وَعر الذى

⁽١) أورد ها هوميروس أسطورة لم نرأن نوردها تخفعاً .

أقول: إنك لست طفلا بعد! فلم لا تشمر عن ساعد الجد وتبحث بنفسك عن أبيك الم ترضى أن يلطخ شرف بيتك هؤلاء الفجار ؟ لم لا تكلمهم بنفسك في أمر أمك ؟ ولم لا تصرفهم عن هذه الدار إلى بيت جدك ليطلبوا إليه يد ابنته إن شاءوا ؟ أليس أبوها أليق لهذا الشأن من كل رجل سواه ما دام أوديسيوس لم يؤب ؟ لِمَ ير بضون هنا كسباع الفلاة يوهون ثروتك ويأكلون مالك ويذهبون بالأخصر واليابس مما ترك أبوك ؟ إستمع لما أقول يا تليماك ! نبي القوم فليجتمعوا لك ، والتسمعهم كلتك ، ولتصارح أمك إن هي أرادت منهم بعلا فلتنصرف إلى بيت أبيها فهو أولى مهذا الأمر من كل أحد . ثم انهض أنت يا ابن أوديسيوس ! فابحث عن أوديسيوس. أعدُّ ما استطعت من سفين وزاد ، وميرة وعتاد ، ولتبحر على بركة الآلهة ، فلتدهب أولا إلى (بيلوس) حيث الحكيم الباسل نسطور ، ثم إلى إسبارطة حيث صاحب هده الداهية مناوس (١) ... أقلع بملكك إلى هذين فسائلهما أين مضى أبوك فقد تقع منهما له على خبر … ولتكن لك أسوة في الفتى الجرىء المقدام أورست الذي قتل قاتلي أبيه ^(۲) ، وفيهم أمه ··· بوركت يا أورست ! بوركت يا أورست ! هلم يا تلماك فقدُ تعود بأبيك حيًّا فيرد الشرف والمجد إلى هذا البيت ؛ وقد تمود به ميتاً فترمع ذكره ، وتقيم قبره ، وتخلد في العالمين أثره ! والآن، فَلْأَنْهِضَ أَنَا إِلَى رَجَالَى وَسَمَى . فَلَقَدَ بَعَدَتَ طُو يَلَا عَنْهُم ... وَكَانِي يَقَيْن يا بني أن تقدر نصيحتي وعلى الآلهة فلتتوكل! » .

⁽١) روج هباین آخت پانوب والی کانت سبب حرب طروادة .

⁽٢) أجاممنون .

وحين انتهت مينرةا من هذا الحديث ، حدجها تلياك وقال : « أيها الصديق حباً ، ويا أبر الأوفياء سمعاً ! لقد أيقظت في ضميراً أنت أحييته . فألف شكران لك ... أبداً ان أنسى كلنك : أنا ابن أوديسيوس ! فلأبحث عن أوديسيوس » وحاول الفتى أن يقدم لمحدثه هدية سنية تكون تذكار هذا اللقاء ، ولحن مينرفا شكرته وأبت أن تأخذ شيئاً « فإذا نجحت في مسعاك يا بني فسوف أعود ، وسوف أقبل أية هدية منك ! »

ثم انطلقت ربة الحكمة ، ذات العينين الزبرجديتين . ولشد ماذهل الفتي ووقف مسبوها مشدوها حين رأى هذا الأمير (منتس) ينتفض انتفاضة هائلة فيكون نسراً قشعماً يضرب الهواء بجناحيه ،ثم يعلو و يعلو ... فيكون في المهاء و يغيب عن ناظريه ا

ولم يحس الفتى يوماً بما أحس به الساعة من هذه الذكريات الملحة على فؤاده تهييج فيه الشوق إلى لقاء أبيه ، وجدد الثقة عنده وأكدها فيه يقينه أن إلها يساعده ، هو هذا الضيف الذى أرسل جناحيه وغاف في السماء .

وانطلق تلياك حيث جلس الفساق يستمون إلى أعانى فيميوس، وحيث وجد أمه فى الشرفة العليا تستمع هى الأخرى إلى تلك الأعاريد بين قيانها من وراء ستار صفيق وتبكى ... وتسأل فيميوس أن يتغنى غير هذا الغناء غناء لا يثير شجوها وشميخها ... وتشور الدخوة فى قلب الفتى فيصيح بأمه : «علام العويل يا أماه ؟ وما وقونك هذا للوقف تسترقين الغناء ؟ وما اعتراضك على المغنى ؟ دعيه فليتغن مايشاء ،

فلقد غدونا سخرية القضاء وهُزُوَ المقادير . ولقد ذهب أوديسيوس وذهبت معك معه كرامة هذا البيت ، و إنى لصاحبها بعده … فادخلي وليدحل معك قيانك ، ولتقمن جميعاً بشؤون المنزل ولْتَخلِن الى مغزلك ومنسجك ، ودعى كل ما عدا ذلك للرجال … لى … لى أنا وحدى : سيد هذا القصر! »

وأثرت مقالة الان في نفس أمه ، فانتنت مع قيانها إلى مخدعها بالطابق العلوى ، حتى إذاخلت إلى نفسها ذرفت من الدمع على أو ديسيوس ما شاء لها حزنها أن تذرف . أما تلم الله فقد انطلق وسط القوم ونادى بأعلى صوته : « أيها الفساق ! يا عشلق أمى ! خذوا في لهوكم ، وتمتعوا قليلا أو كثيراً ، فإذا كان الغد فاجتمعوا في الساحة الكبرى ، فإن لى كلاماً معكم ... سأطلب إليكم أن تشدوا رحالكم من هنا ! أتسمعون القد طالما أتلفتم لنا زاداً وعتاداً ... ألا فلتلتمسوا الزاد والعتاد من عند أنفسكم ؛ ولتقيموا أفراحكم وولا تمكم في غير هذا المكان ؛ فإن أبيتم فايي مستعين بالآلهة عليكم ، ولتقتص منكم السماء بما جرحتم ... » .

وما كاد يعرغ من قالته حتى عضوا على أصابعهم لمفاجأتهم بهذا الكلام الخشن الذى لم يعتادوه . ونهض أنتينوس من مجلسه وقال : « تلياخوس ! لقد حق لك أن تخاطبنا بهذه الشجاعة ، ولكن ... يا لشؤم اليوم الذى تتوجك السهاء ملكا فيه على إيثاكا ... عمش آبائك وأجدادك! » .

و يجيب تليماك: « ليس أحب إلى من الملك حين تخلعه على السماء ...

غير أن أمره إليكم اليوم إن كان قد قضى أوديسيوس ... أما أما ... فلا أريد إلا أن أكون سيد هذا القصر ... ولا عرو ... فإن هذا من حقى! » .

وأجابه يوريماخوس: « إن من حقك أن تقول ما تشاء يا أخاذ تلياخوس .. أما مُلك إيثاكا فالسهاء وحدها تؤتيه من تشاء . ولكن قل لنا بربك من هذا الضيف الذي كان معك الساعة ؛ هل من قبل أبيك أقبل ؟ أم إن له عليكم لَدينا ؟ إن أحداً منا لم يلقه ولم يره ، ولكنا لحيناه من بعد ، عليه سياء النجابة والجلال . من آين أقبل يا تلياحوس وفيم قدم ؟ ... » .

وأصلح تلياك من شأنه وقال: « أيها السيد يور يماخوس! إن يقيى أن أبى قد انتهى ... ولن تغريني هذه الـكلات المعسولة التي يتشدق بها المنجمون ... أما هذا الضيف ... ف ... هو من أصدقاء أبى أطبعاً ، وقد أقبل لمجرد الضيافة ، وهو الأمير منتس أمير البحارين وسيد تافوس ، وابن سيد هذا الزمان ، الملك الشجاع أنخيالوس . »

قالها تلياخوس وهو أعرف الناس بضيفه ؛ ثم انثنى كل إلى محيمه ، وانثنى تلياك إلى محيمه ، وانثنى تلياك إلى محدعه بالطابق العلوى . حيث كانت مربيته يوريكليا ، تنقظره ، وتوقد له الشموع والسرج . يا لها من أنثى طيبة تخلص لمولاها وتحنو عليه ... لسرعان ما خلع ملابسه فعطرتها وحفظتها ! ... ولسرعان ما هيأت له فراشه الوثير ...

وقضى تليماك ليلة نابغية ممتلئة بالهواجس والأفكار .

ليهأنس ببادل العشاق

مو هت أورورا(١) ، ابنة العجر الوردية مشرق الأفق ، فهب ابن أوديسيوس من مرقده ، وأصلح من شأنه ، وتقلد سيفه (٢) ، ثم انفتل مختالاً ، كأحد الحة الأولمب من باب محدعه ، وجعل يقلب عينيه في هذه الخيام المضروبة التي تملاً حديقة القصر ، والتي يثوى فيها أولئك الفجار الأشرار عشاق بنلوب ؛ وتلبث قليلا وفي القلب لظى ، وفي النفس كلوم ؛ ثم صاح بالملاً فهبوا مسرعين ، وأخذوا ينسلون إلى الردهة السكبرى ، حتى إدا انتظم عقدهم والتأم شملهم تقدم هومتهدجاً محوعرش أبيه ، وفي يمينه رمح ظامى ، إلى تلك الدماء النجسة التي تتدفق في أبراد تلك الذئاب ، وعن جانديه كلباه الضاريان، وفي عيني كل منهما جرتان . وكانت ميبرقا نفسها جانديه كلباه الضاريان، وفي عيني كل منهما جرتان . وكانت ميبرقا نفسها تضفي على الشاب سيا، النبل ، وترقرق فوق ناصيته أمواها من العظمة والحد ، لتقذف منه الرعب في قلوب أعدائه ، حتى ابهرهم أن يروا في تنهاك ذاك الضرغامة المختال .

وماكاد الهتى يستوى على عرش آبانه الصيد ، وأجداده الصناديد ، حتى نهض شيخ يحمل فوق كاهله السنين الثقال ، وتشتعل فى رأسه شيبة التجاريب وجلائل الفعال . وكان هو إيجبتوس بعينه ... إيچبتوس

⁽١) ربة الفجر في المبثولوچية البواانية وإحدى تابعات أپولاو وهادي عربته — الشمس — عبد ما تبزع من أبواب الشهرق .

⁽٢) في الأصل (صفيحته) وهي السيف المريس القصير Faulchion

المسكين الذي بعث بولده أنتيفوس في أسطول عظيم وجند لجب اليشاوك في حرب إليوم مع أوديسيوس ، فنازل وناضل ، وكر وفر ، وجال وصال ، وصمد وانتصر ... ولسكنه ... وا أسفاه !.. لم يعد إلى أوطانه في العائدين ، بل صحب أوديسيوس في رحلته للشئومة وراء البحار حيث أكله السيكلوب الوحش فيمن أكل . وقف إيجبتوس بين أبناء له ثلاثة ، أحدهم من عشاق يناوب ، ثم فال :

«أبها الرفاق! يا أبناء إيثاكا النبلاء! إنها أول مرة منذ أن بارح أود يسيوس بفلذات أكبادنا ندعى فنجتمع مثل هـذا الاجتماع. فهذا الذى دعا إليه ، وماذا يبتغى ؛ أنفحة من نفحات الشباب ، أم زفرة من زفزات الشيب ، أم خبر من جيشنا الهالك يبشر بعو و الينهض باركته السهاء فلبحد ثنا عما دعانا إليه ».

وتناول تليماك صولجانه من قواسه ، وتقدم حتى كان فى وسط القوم ، وجهر فقال .

«أنا أيها السيد الوقور صاحب هـذه الدعوة! أنا تلياخوس بن أوديسيوس ، صاحب هـذه الدار وصاحبكم ومولاكم من قبل ... لقد دعوتكم لأشكو إليكم بثى وحزنى ... لا لأزف إليكم بشريات الجيش المفقود الذى لا يعلم مصائره إلا نربوس! لقد فقدت والدى ، ووالد الإيثاكيين جميماً ، ثمأنا اليوم حبيس هذه الدار ، أسير هؤلاء إلعشاق()

⁽١) يلامظ القارىء أن الاجتماع كان عاما ولم يكن عاصراً على العثاق فقط ، بل ضم جهوراً من أهل إيثاكا كذاك .

الذين يطمعون في الزواح من أمي ، غير متقين في عرضي إلاً ، ولا راعين لأبي ذمة ، يُذَبِّحون النَّم (١) ، ويريغون (٢) الزاد ، ويعاقرون ابنة العنب ، ولا يبالون أن يهلك الزرع والضرع ، ما داموا يسيتون و بطونهم ملآى ، ويبيت غيرهم على الطَّوى . . . ! لقد استباحوا هنا كل شيء ، ما دام لا أوديسيوس هنا فيردعهم ، ولا حول لى فأغل أيديهم ، ولا ضمائر فيصيخوا إلى قولى ، ويرحموا ضعفى ، ويذهبوا من فورهم إلى جدى فيحطبوا إليه ابنته إن أرادت أحـــدهم بعلا ، فهو بها أولى و بشأنها أحق ... إنكم ضـــــعفاء أيها الإيثاكيون الأوفياء ... ولو أستطعتم لرددتم عني غائلتهم ... فلقد طفح الـكيل ، وحزب الشر ، وعم الأذى ... والآن ، أوجه إليهم قولى . . ، وان أستحى أن أصارحكم مرة أحرى أيها العشاق ... اخجلوا إذن ! ولتصبغ المضيلة وحناتكم بحمرة الحياء ! أذكروا ما عسى أن يُميّركم به جيرانكم ! واحشوا قارعة تحل عليكم من أربابكم … واتقوا يوم تلقونهم تودون لو تلقفتكم الصواعق … يا قوم ! أستحلفكم بسيد الأولمب ، بربة العدالة ثيميس ، إلاما تركتموني أقضى البقية الباقية من أيامي في شقوتي وحدى ! هل أجرم أبي مرة مع أحد منكم فأنتم اليوم تأخذونني بجريرته ؟ فيم إذن مقامكم هنا ؟ وفيم إذن تستنزفون آخر قطرة من خمرى دون مقابل ؟! إذهبوا! إذهبوا، ودعوا تلياخوس البائس تحز في نفسه أشجانه ، وتبرى اصطباره بلواه!!».

⁽١) ألماشة.

⁽٢) يدمعون .

ودق الأرض بصولجانه ، وانفجر يبكى ، وكأنما انهمرت دموعه فى نموس القوم ، فوجموا وجوماً شديداً ، ولم ينبس أحدهم ببنت شفة . حتى نهض أنتنيوس آخر الأمر فقال :

« لله بيانك ياتلياخوس القدكنت مصقعاً حقاً ! ولكنك لم تصب كبد الحقيقة حين قصرت علينا اللوم ، وحين لا ملوم إلا أمك! لقد خدعتنا جميعاً طوال سنوات ثلات كادت أن تتم أربعاً ، إذ رسائلها تترى علينا ، تُحَى في نفوسنا الآمال ، وتذكى فينا الأمابي ! لقد كانتُ · وعودها تترادف كالبروق الخُـلَّب، وتتراءى كالسراب المضل! لقد تخذت لها منسجاً وطعقت تعمل عليه وهي تغر ر بنا ، وتقول : « أيها الإغريق : لقد قضى أوديسيوس ما فى ذلك ريب ، وكلكم تطعون أن تفوزوا بزوجته ، ولكن أبي ليرتيس رجل شيخ ، وهو يدب بخطى وثيدة إلى حافة القبر، أفليس أخلق بي و بكم أن تنتظر وا حتى أنسج له هذا الثوب، لتكون منه أكفانه ، وحتى لا أكون مضغة في م الإغريقيات إن تركته برغم ثروته الطائلة وليس له كفن يضم رفاته » . ولقد أجبنا سؤلها وتلبثنا طويلاً ، نرجو لو تفرغ من نسج هذا الكفن ، بيد أنها كانت تنقص بالليل ما تنسجه بالنهار، وهكذا دواليك، ظلت تخادعنا تلك السنين الثلاث، حتى فضحت سرها إحدى وصيفاتها، إذ حدثتنا به ، واستطعنا أن نضبطها وهي تنقض غَزلها أنكاثا في ضوء المشاعل ، في جنح الليل ، فأجبرناها على إتمامه بالرغم منها ... هذه هي الحقيقة ياقوم ! والآن ! فلترسل أمك أيها الفتي إلى أبيها ، وليختر لها من بيننا بعلا ،

أو فلتختر هي فما بعلا ... أما إذا عكفت على ختلها بنا ، فلتنق أن شيئاً منه لم يعد يجوز علينا ، مهما ظنت أنها أحذق من تيرو ، أو أكيس من ألكمينا ، أو أبرع من ميسينيه (١) ... حسبها ما خدعتنا ا و إنا نقاسمك ياتلياك أننا أن نبرح عاكفين على ما شكوت ، من ذبح لنعمك ، و إراغة لزادك ، ومعاقرة لخرك ، حتى تختار لنفسها ؛ أو ... فَلَتُمَفُّ هَذه الدار ، ولينصب معين خيرها . »

وشاعت السكبرياء في كل جارحة من جوارح تلياحوس عقال:

(أمتيموس! ماذا أصابك؟! كيف تسألني أن أقهر أمي التي غدتني ونشأتي على غير ما ترضاه؟ كيف أطردها من قصر بعلها الذي لا يعلم غير الله إن كان حياً أو ميتاً؟ لبئس ما أجزيها به ، ولشد ما أغصب أبي وأثير غصب الآلهة على إن فعلته!! إنها ستدعو إير ينيس كي تنتقم لها منى ، وستنصب على لعنات الناس جميعاً!؟ ويحك أبها الرجل! لن أقولها أبداً ... بل اذهبوا أنتم فسلوها ما شئم ؛ فإما أجابت طلبتكم، وإلا فانصرووا غير مأجورين ... اذهبوا .. فأولموا ولا تمكم في غير هذا القصر ، وأرينوا من زادكم ، وأنفقوا بما تحبون!! أما إن رأيتم أنه أحلى الكم أن تأكلوا مال غيركم ، فأني سأهتف أبداً بالآلهة أن تقتص لى منكم ، فهي محيطة بكم! .. »

* * *

وماكاد يفرع تليماك من مقالته حتى أرسل سيد الأولم نسرين

⁽١) من ربات العنون .

عظيمين طفقا يضربان الهواء بخواهيهما ، ثم جعلا يُدَوَّمان فوق الملأ ، ويقدحان الشرر من أعينهما · · نذيرَ يُ ردى ، وصيحة منوس. ثم انطلقا نحو المدينة وغابا في ظلام البعد .

وشده القوم ، وريعت أفئدة العشاق ، وأخــدوا يتخافتون ... ثم تهمض فيهم القديس هاليتير من نسطور المعروف بورعه وصدق نبوءته ، فقال :

«أيها الناس! يا أبنا و إيثاكا! اسمعوا وعوا! ليحذر العشاق العاميد ما يخبي علم الغيب من شر أوشك أن ينقذف على رؤوسهم! إن أو دسيوس حي يرزق، و إنه عائد إلى وطنه ، بل إنه ليغذ ألسير إلى هنا! و إنه ليحمل الموت الأحمر إلى خصومه ، والخير الأخضر إلى مواطنيه! أنا هاليتير ، قد يسكم الذي لا يكذب قد أنبأته قبل أن يبحر إلى طروادة بذلك النبأ وأنه عائد إلى وطنه بعد أن ينتصر على أعدائه ، و يذيقهم ضعف ما صنعوا ، وان يجديهم أن يتو بوا أو يندموا … وليأتينكم نبؤه بعين حين ا» .

وسخر القوم منه واستهزأوا به ، وقام يور يماك يرجمه بهذه المكلات:

ه انقلب إلى دارك أيها العجوز الخرف! هلم إلى أحفادك السكسالى فتنبأ لهم بمسا ينبغى أن يأخذوا حذرهم منه! لقد قصف للنون عود أوديسيوس الفينان. فليته قصف عودك كذلك اطير ؟! ها! إن الطير طالما يستنسر في سماء إيثاكا ؟ إن أكبر الظن أتك تطمع في منحة من ابن مولاك تلياك ... والكن اصغ إلى ؟ لتكن لك منحة منا إن تنبأت له عما يكاد يذهب بك و به من بطشتنا إن لم يختر لنفسه!

أسمعت ؟ لقد مصحنا له أن يرسل أمه إلى بيت أبيها ليختار لها الكف الذي ترضي ، فلم ينتصح . وأنا أوسلها كلة صريحة في غير مين ، أننا لن نبرح عاكفين على ما نحن فيه من هذا الخير ، حتى تخضع پنلوب، فنمضى مأجورين … وثق ، أيها الشيخ المهيب الخرف أن نبوءاتك لن تفزعنا ، بل هي تضاعف سخطنا عليك ، و بغضاءنا لك … ألا ما أطيب الإقامة هنا ؟! إتزدد بنلوب عناداً ، فإنا لا نزداد إلا جلاداً … .

ونهض تليماك فقال :

«على رسلك يا يور بماخوس! وعلى رسلكم أيها العشاق جميماً ... لقد أرسلتها كلة حق فلم تستمعوا لها! أبداً ان أضرع إليه مرة أخرى ... الآلهة بينى و بينكم ، والإغريق أجمع أعلم بأمرى وأمركم ؛ غير أن لى طلبة إليكم بو هى لو أنلتمونى إياها ... فهل تسمحون لى بمرك وعشرين بحاراً فأقلع من فورى هذا إلى بيلوس ثم إلى أسپرطة ، عسى أن أسمع خبراً عن أبى ، أو أتلقف نبوءة من سيد الأولمب الذى بيده ملكوت كل شى م ... إنى إذا أيقنت أن أبى لا يزال حياً فقد أوفق إلى العثور عليه ولو بعد حين ، أما إذا استيقنت من هلاكه فإنى عائد إلى إيثاكا ، فقيم عليه ولو بعد حين ، أما إذا استيقنت من هلاكه فإنى عائد إلى إيثاكا ، فقيم له نصباً يتفق وهذا المجد الباذخ والذكر التليد ، ثم يكون في مطلق الحرية في مدح أحدكم يد أمى فتكون زوجه المخلصة إلى الأبد ، بعد أن أثم لأبى كل المراسيم الجنائزية ، لتقر روحه العظيمة ، وتسكن إلى ربها في ظلال هيدز(١) » .

⁽١) إسم الدار الآخرة في المبثولوجيا .

وكان فى المجتمعين رجل تبدو عليه مخايل النبل ، وتتقد فى رأسه حرات المشيب ، تهالك على نفسه حين وقف ينافح عن تلياك ، فإذا هو الشيخ منطور ، الذى كان أوديسيوس قد استخلفه على أهله قبل إبحاره إلى طروادة ، لصداقة قوية كانت تجمع بينهما ... قال منطور :

« إسمعوا إلى يا أهل إيثاكا ! ما لكم اليوم قد نسيتم آلاء ملككم أود بسيوس عليكم ، وهو الذي كان يرعاكم كأب ، ويغدق عليكم من فيضه العميم ؟ ما لسكم قد تقاعستم دون هؤلاء العشاق الذين يذهبون مخير مولاكم و يأكلون مال ابنه بغير الحق ، وهم قُلُ وأ تتم كُثر ، آمنين مطمئنين ، لا يرهبون أو مة مفاجئة من البطل الشريد ... ؟ » .

وهاجت كلة الرجل كوامن المشاق فهب أحدهم وهو ليوكر يتوس ، يقول :

«رویدك یا منطور ! أیها الثرثارة العجول ! كیف تجرؤ أیها الرجل فتثیر الشّعب علی العشاق وهم سادتك ؟ هل أعجبتك كثرتهم یا منطور ؟ إذن فأبشر بعجزهم دون ما ابتغیت ، وثق أن ملك إیثاكا نفسه لن یستطیع معهم شیئاً إذا حاول إحراجهم من بیته هذا ، إذا قدر له یوماً أن يعود ؛ إنه إذا فعل فسيذوق وبال أمره ، وأن تنال منا حماقاتك ولا نبوءات هاليتير ، و پنلوب نفسها لن تسر بأو بة أوديسيوس ؛ ؛ ولكن اسمع أبها الشيخ ، إنه لن يضيرنا أن يذهب تلياخوس فيذر عالبحر ولكن اسمع أبها الشيخ ، إنه لن يضيرنا أن يذهب تلياخوس فيذر عالبحر باحثاً عن والده ، وله أن يتخير من السفن ما يشاء … » .

وتفرق القوم ، وأهرع العشاق إلى حيامهم ، وانقلب تلياك إلى

سِيف البحر ، حيث وقف فوق صخرة ناتئة يناجي مينرڤا :

ه أبتها الربة المباركة ! يا إلهة الحسكمة مينرقا ! يا من كنت أمس ضيفة مكرمة تحت سقف هذا البيت ؛ أصلى لك ، أنا تلياخوس التوس ، وأبتهل أن تباركيني وتسددى خطواتى ، وأن تكونى رائدى الأمين في عباب هـذا البحر ، وأن تشدى أزرى وتكونى معى إلباً على هؤلاء الفساق العرابيد ، وأن تشرقى في ظلماتى البعيدة ، وأن تحلى أمناً وسلاماً على ... يا مينرقا ، إستجيبي يا ربة العدالة ... » .

واستجابت مينرقا ، وأقبلت في صورة الأمين منطور حتى كانت قبالة تلياك ، ثم شرعت تكلمه كلات هن أروح من أنفاس المجر ، وأندى من نسات الورد ، وأعذب من قطرات الندى :

«السلام عليك يا تلياحوس! السلام عليك حين تثبت أنك ابن أوديسيوس الوفي وفرع دوحته الوارف، وحين تبدوفيك بَدَوَات من و له وطوله وقوة بأسه ، وحين تقلع على بركة السهاء وفي عناية الآلهة ورعاية سيد الأولمب ؛ في رحلة لن تكون عبقاً ... أنت ابن أبيك يا تلياك ... أتى ابن أبيك يا تلياك ... أتى بك من بنلوب .. وآية ذلك هذه الروح القلقة التي تشيع فيك من أجله ، وهذا الجبروت الذي هو نفحة منه ، وذلك الصوت الجبار الذي هو يتلجلج في فلك كأنه فيض من لسانه ، وذلك الذكاء الوقاد الذي هو يتلجلج في فلك كأنه فيض من لسانه ، وذلك الذكاء الوقاد الذي هو قس من ذهنه العظيم . بشراك يا تلياك ! لا يحزنك خبال أعدائك قس من ذهنه القضاء أن ينقض على رؤوسهم فيتخطمهم ... أنا ... أنا هذا الشيخ الهدم، صديق أبيك وأمينه منطور ، سأكون معك ، وسأخدمك » الشيخ الهدم، صديق أبيك وأمينه منطور ، سأكون معك ، وسأخدمك »

وأسهر عليك ، وأفديك ، . . لكن لنمض الآن فلمتعد للرحلة ما هو حَشبها من زاد وعتاد ، ونخبة أولى بأس من رجالك الأقوياء ، وسأ نتقى أنا نفسى أشدهم مراساً وأصدقهم عزيمة س إمص على بركة الآلهة س إمض سلا وقت لدينا فنضيّعه . هلم س » .

وسكتت مينرفا سواحكن حرارة كلماتها أشرقت بالآمال فى نعس تلياك ، وذهب وقلبه بخفق بألف أمنية سوالى القصر حيث رأى العشاق أيذ تحون و يعدون نار الشواء ، وحيث قفز أنتينوس للقائه ساحراً مستهزئاً:

ه تلياك! ناشدتك الآلهة إلا ما شاركتنا غداءنا واطرحت بغضاءك هنيهة! هلم! تَحَسَّ من هـذه الحزر قرقفاً أيها الصديق. لا يشغلك أمن هذه الرحلة · فقد أمرنا أن يعد لك الآخيون سفينة عظيمة وقدراً من الزاد كبيراً ، وعصبة من الرجال أولى قوة · وستبحر قريباً فتذرع البحار وراء أبيك. هلم · · هلم · · »

ولكن تليماك عبس عبوسة فاتمة ثم قال :

«أنتينوس! إليك عنى فما أستطيع مشاركة خصوى السفّلة غداءهم، ولا لى قلب فأشرب النخب من يدك! لا بورك لكم هـذا الذّبح الذى لا يحل لكم ، والذى استبحتموه من غير حق ، إذ أنا طفل أحبو … أجل! لأستعجلن لكم الخراب ولأسمين فى حتفكم ، ولأذهبن إلى بيلوس فأنتصر إذ عن فى النصر فى إيثاكا ا أيها الذئاب! حتى سفائنى وعتادى تذكرونها على! » .

وكان اللئم قد أمسك بيمين تلياك كالمصافح المستهزى، ولكن المياك جذبها ساخطاً ، وترك الكلاب تغمزه ونامزه ، وتستهزئ بهذا العون الذي يرجوه من بيلوس ، وتلك الجحافل التي يأمل أن يجردها عليهم من أسپرطه ... « ومن يدرى ؟ فقد بهتدى إلى إيفير المثمرة ، فيجد في أعشابها بقلة يدس لنا منها في كؤوسنا فتر يحه منا .. » ... « ... بل من يدرى ؟ فلقد يبتلعه اليم كما ابتلع أوديسيوس من قبل ، وتكون هنالك الطامة ! فلقد يبتلعه اليم كما ابتلع أوديسيوس من قبل ، وتكون هنالك الطامة ! إنا إذن نقتسم هذا المتاع وتلك الصياع ، ثم يمهر أحدنا الذي تختاره پناوب بعلاً لها ، مهذا القصر المنيف ! . » ...

تركهم تلياك ، ومضى قُدُماً إلى غرفة أبيه بالطابق العلوى ، حيث كنوره التى لا تقدر ، من عدة للحرب وذهب مدَّخر ، وخمرة معتقة . ورَوْح أَذْهر، وخز وديباج، ودُرِّ وجوهم، ومغاهر (١) أعدت لليوم المنتظر . يوم يعود أوديسيوس فيظهر ويقهر ، ويطهر ديته من ذاك الدهر ..

ووجد عندها حارستها يور يكايا فصاح بها :

«ربيبة! يوريكليا! هيا! صبى من خمرك فى زقافى! من مدامةك التى ادحرتها لأبى ١٠ لا ١٠ لا ١٠ ايس من صفوتها يا ربيبة ، احتفظى بصفوتها له ، املئى اثنى عشر دِنّا ، وهيئى عشرين جِوَ القاً من دقيق ، هيا ١٠ أعديها كآبا لتحمل إلى سفينتى بعد أن تنام الملكة ١٠ لا يعلمن أحد بأمر رحلتى إلى بيلوس وأسپرطة ١٠٠٠ حتى ولا أمى! سأرحل ثمة ١٠٠٠ سأتسمع أخبار ١٠٠٠ »

وصمت تليماك هنيهة … واستعبرت ربيبته يور يبكليا ، وأرسلت هذه

⁽١) المغار والمعرة زرديلبسة المحارب تحت الة' سوة .

الـكلمات على أجنجة من الحنان ، وفى أنسام من الرحمة :

رويدك يا بنى ا أى سفر وأى نوى ا؟ لقد انتهى أوديسيوس وانتهى معه كل شيء ا وهو اليوم رفات سحيق فى رمس عميق فى بلد لا نعرفه ا أسافر يا تلياك ليأتمر هؤلاء الذئاب ، وقد يسلطون عليك من يغتالك ، ثم يستصفون كل مالك بعد ذلك ؟ حاشاك يا بنى ا نتبق معنا بحن الذين أحببناك واصطفيناك! فيم تذرع عباب هذا البحر ولا رجاء لك فى مطمح . ولا نقة لك فى شيء ؟ » .

وأجاب تليماك فى رفق :

« روبدك أنت يا ربيبة ! إنى لم أعتزم سيئاً من تلقاء نهسى ... إنها السهاء هى التى توحى إلى ! ولكنى أستحلفك بكل أربابك ألا تقصى شيئاً مما اعتزمته على أمى إلا بعد أجد عشر يوماً أو اثنى عشر يوماً من رحيلى... وإنها لوعلمت بسمرى لأظلمت فى عينيها مباهج الجياة وذهبت نفسها على حسرات ».

وأقسمت يوريكليا بكل أربابها ، وانثنت تهيئ دنان الخر وأحمال الدقيق .

أما ميبرقا ! أما ربة العسدالة والحكمة الخالدة ، ذات العينين الزبرجديتين ، فقد يممت شطر البحر وقصدت إلى المرفأ ، حيث لقيت نويمون بن فرونيوس سيد الملاحين ، وسألته إحدى جواريه المنشئات ، فأعد لها واحدة من خيارها . وما كادت تُذكاء تَلِيجُ في خِدْر الأفق ، وما كاد الشفق يبكى فيصبغ بدموعه جبين السماء ، حتى كان الملاحون قد

هيأوا القلوع ونشروا الشراع ، وخـبروا مجاذيفهم وأحضروا عُددهم ، وتزودوا من السلاح ؛ وكانت مينرقا نفسها تستحثهم ، فسرعان أن تهادت السفينة ، ورقصت نشوى فوق هامات الثبج

وذهبت مينرقا ، في صورة منطور وفي طيلسانه فأشرفت على عصبة العشاق ؛ وتمتمت بكلات فارتشر الظلام فوق خيامهم ، ولعب النعاس ملء جفونهم ، وكانت السكؤوس لا تزال تقهقه في أيديهم ، فسقطت عن غير عمد لتسقى الأرض من تحتهم شرابا !

وطفقوا ، تحت طائف الكرى ، ينسلون إلى خيامهم ... وأدلفت مينرڤا بمحو القصر لتلقى تليماك :

« تليماك ! هلم ا البدار ! أنت هنا وكل رفاقك فى الفلك المشحون ينتظرونك ا هلم ا يجب ألا نضيع وقتنا سُدى »

ونهض تليماك ! وسارت مينرة ، وسار هو فى أثرها حتى كانا عند سيف البحر ، وحتى أشرفا على السفينة .

« مرحباً يا رفاق ! هلموا فاحملوا هـذه الدَّنان وتلك الأحمال إلى السفينة ! لا أحد يعلم أمر رحلتنا حتى ولا أمى ! إلا ر بيبتى! »

وامتثل الملاحون أمر سيدهم ، ثم ققدمت مينرةا فركبت السفينة ومن ورائها لبن أوديسيوس وجلست هي عند الدفة ، ونشط البحارة فهيأ واللركب ، وحدجت المغرب ربة المدالة بعينها الزبرجديتين فهبت النسات رخاء ، ورقصت تحتها الأمواج من طرب ، وانتصب تلياك واقفاً يحث رجاله ؛ واضطرب المساء تحت السفينة واصطخب ، وصب القوم

دىانا من الحمر تقدمة الآلمة وقرباناً لمينرفا وتحية لا تبيد ! واحلو لك الليل وتدجّى غيهبه ؛ ثم انجاب ظلامه عن فجر مبين !

فی بیــــلوس... تایماك يسائل نسطور عن أبير

برت ذركاء من لجة المشرق فصبغت آرادها (۱) الذهبية جبين الأفق النحاسى ، وسكبت الأضواء الجيلة لتهدي إلى السبيل السوى ، وألقت السفينة مراسيها تلقاء پيلوس ، مدينة نليوس (۲) ؛ حيث وجدوا القوم على الشاطئ يقر بوت القرابين باسم پوسيدون ، ذى الشعر اللار و ردى ، وقد جلسوا فى صفوف تسعة ، وفى كل صف خسمائة شيخ عتيد . وذبحت كل فئة قرابينها : تسعة عجول سمان ذوات خوار ، وأكاوا الحوايا (۲) ، وضحوا بالسواعد والأفخاذ ؛ ثم أقبل تلياك و بين يديه مينرڤا تتهادى وتقول :

« تلياخوس ا تشجع يابنى ، ولا تجعل الاستحياء سبيلا إلى نفسك ، وتقدم إلى أمير هذه البلدة الصنديد ، نسطور ، فقد تكون لديه أخبار عن أبيك ، وقد بجلولك الشكوك التي تخامرك ، وثق أنه لن يخفي عليك من أمره خافية ، فقد تقدمت به السن ، وهو اليوم أحكم الناس . »

⁽١) أشمة الشمس .

⁽٢) اليوس هو ابن يوسيدون (نيتبون) إله البحار وألد أعداء أو بسيوس

⁽٣) الأمعاء وما إليها .

ويقول تلماك:

« أواه يا منطور ! ما أحسبنى أقوى على لقاء الرجل ، وأنا من تعرف من قلة الشيأن ورقة الحال أنا الفتى الحدَث . أنَّى لى بلقاء الشيخ ذى التجاريب ؟ »

وُمجيمه ذات العينين الزبرجديتين .

« لا عليك يا بنى ! إن هى إلا كلات تقولها وعلى الله قصد السبيل ! العالم كله بعرف أنك نشأت فى ظروف قاهمة ما كان لك بها يدان ! » ودلهت مينرفا ، ودلف فى إثرها تلياك ، حتى كانا فى وسط القوم ، وحيث جلس نسطور العظيم بين أبنائه ، وحيث استغل أهله بالشواء ، وهب الجيع للقائهما . وتقدم ابن نسطور الأكبر ، بيرستراتوس ، وصافحهما هاشا ، وتلقاها باشا ، وأجلسهما فوق الفراء المبثوث إلى جنب أبيه ، وأحيه الأصغر تراسميديس ، وقدم الكل مصغة من حَوية ، ثم قال كاسا دهبية من خر معتقة ، تذوقها قبل أن يحيى بها ، ثم قال كاسا دهبية من خر معتقة ، تذوقها قبل أن يحيى بها ، ثم قال كاسا دهبية من خر معتقة ، تذوقها قبل أن يحيى بها ، ثم قال كاسا دهبية من خر معتقة ، تذوقها قبل أن يحيى بها ، ثم قال

« مرحباً بك أيها الصيف المكرم! لقد شرَّفت في عيد نيتيون ، و بودًّنا لو أفرغت باسمه ما في هذه السكا أس من خمر ضلاة ً له وزكاة! وترجو لو أشركت في التقدمة زميلك ، فما أحسبه إلا محبساً للآلهة ، خابتاً لها »

وتبسمت مينرقا ، وتناولت الكائس في وقار، وأرسلت هذه الصلاة باسم رب البحار :

« نپتیون العظیم تقدس اسمك ، وأحاط بالیا بسة ملکوتك . . یامنقذ الضالین ومغیث للتضرعین ، أدرك بلطفك التائبین إلیك ، ونجهم من دأمائك ببركة أسمائك ، مولای وتقبل من نسطور ومن ذریته ، وتقبل من جمیع أهل بیلوس أضحیاتهم ، ثم تفضل یامولای فسدد خطی تلیاخوس وخطای إلی ما أقلعنا فوق هذا المرکب الشاحب من أجله ... آمین آمین ! . »

وتناول تلياخوس الكأس بدوره ، ثم أفرع ما فيها ، وتمتم بصلاة قصيرة ؛ وماكاد يفرغ حتى تفرق المدعوون من أهل بيلوس طاعمين شما كرين ، إلا مينرفا وصاحبها ، و إلا نسطور و ولديه شم قال نسطور:

« أما وقد فرغنا من غدائنا فهاذا أيها الوافدون؟ من أنتم؟ ومن أين حل هذا البحر؟ أنجار أنتم؟ أم قرصان تملأون الشطئان ذعراً وفزعاً؟ »

واستجمع تليماك شــجاءته ، ونفخت فيه مينرقا من روحها ، وتكلم فقال :

« على هينتك يا ابن نليوس العظيم ، يا فحر هيلاس ؟ إنى أنا ابن صديقك وصفيك أوديسيوس ، سعيت إليك من أقصى الأرض أسائلك عن أبى ! أبى ! صفيك وخليلك الذى صال معك تحت أسوار إليوم وجال ، ثم لا أحد يعرف من أنبائه اليوم شيئاً ! لقد انتهت إلينا أخبار الأبطال اليونانيين جميعاً وعرفنا مصارعهم ، إلا إياه أين رقد ؟ وأنى

ثوى ؟ وأيان قرت رفاته إن كان قد شالت نعامته ، أو مضى على وجهه فى الأرض إن كان لا بزال حياً ... إن الآلهة نفسها لا تشاء أن تدلنا من أخباره على أثر . ولشد ما أخشى أن يكون قد ثوى هناك ... فى أعماق شملكة نيتيون ، مع الجميلة أمفتريت (١) . لذلك سعيت إليك يا خو هيلاس كيا تحدثنى عن أبى ، وكيا تذكر لى بعض ما تعرف عما ألم به إن كنت قد شهدته ، أو تقص على ما عمى أن تكون قد سمعته من بعض حاشيتك التى تجوب هذه البحار . قل . تحدث يا نسطور ، ولا تخف عنى شيئاً ... قل ... إنى أستحلفك بكل ما كان يفتديكم به فى ساحة إليوم أن نقص على أنباءه . لقد كان يحبك و يجلك و يوقرك ، فاجز ابنه بعض ذلك »

وكاً نما رأى نسطور حاماً لذيذاً فقال :

« و یحك أیها الصدیق الشاب! ما أروع ما هِنت ذكریات الماضی المفعم بالأشجان! ذكریات السادة الذّادة والمفاویر الصنادید، الذبن سقطوا تحت أسوار إلیوم العتیدة فأر و وا ثری المیدان بدمائهم، وسطروا آیة المجد بُهجهم! ایه أخیلوس یاسلیل الآلهة ؛ و بتروكلوس یامعجز الأنداد والأقران؛ وأچاكس! أجاكس الدی كان أمّة وحده! لقد رقدوا جمیماً تحت قلاع بریام الجبار الشیخ! و رقد معهم ولدی! آه یاولدی! أواه یاقطعة قلمی وفلزة كبدی و ثمرة حیاتی و سُوْددی! یا أشجع الشجعان یا أنتیلوخوس! آیة قصة وأیة مأساة ؟! یا رعاك الله أیها الشاب

⁽١) ملكة البحار وروحة يتيبون.

الحجزون ! أنى لى أن أقص عليك أحداث سنين تسم كانت هموماً متصلة وأحزاناً فاجعة وآلاماً تَتسَعَّر في جميع القلوب ا ؟ أي لسان ذرِب يقص فلا يمل ، وأى مقول رطب يحكي وما يميي ؟ ألاَ لو أنك أقمت تسمع الأعوام الطوال فما أحسب القصة تنتهي ! القصة التي لم تُجُدِّ فيها شجاعة الألوف لولا خـدعة أوديسيوس وحــــيلته ، وطول أناته وهمته! ولكن حدثني بربك أيها الشاب : أإنك حقًّا لولد أرديسيوس ؟ أجل ا إنك بملامحك وقسماتك غصن دوحته ، و إنك بكلماتك اليذاب عساوج أرومته ! أوْ. ، أوديسيوس ! يا رفيق الشباب وحبيب القلب ! اشد ما تعتلج في النعس تلك الخاتمة الهائلة إلتي قضاها على الأرجيف (١١) سيد الأولمب ، خِبِّ انتصارهم ، وقبيل أو بتهم ! لقد حنقت مينرڤا على وَلَدَى أَتر يوس إذ تنازعا فقال قائل منهما نضحي لربة العدالة عند سيف البحر تلقاء إليوم ، ولكن الآخر أبي ، وأبحر على أن يقدم لها القر!بين فى آرجوس ! ياللقعسين ! أجاممنون البائس ومناوس المسكين ا إنهما لم يصليا لمينرڤا فحاق بهما غضبهاً ، وعبثاً حاولًا بعد ذلك أن يترضياها إ اختلف الأخوان ونام الجند حتى مطلع الفجر ، ثم أقلع نصف الأسطول في موج ثائر مصطخب من غضب الآلهة ، بقيادة أجاممنون ، وما مي إلا سويعات حتى هدأ اليم ونام الموج ؛ و بلغنا تندوس فذبحنا الأضحيات باسم الآلهة ، وسبحنا لرب البحار نيتيون، فتطامن العباب ؛ والكنا ماكنا

⁽۱) جنود آر - وس إجدى مقاطعات اليونان

ندری ما تنسجه ید چوف (۱) حولنا ، بل لم یکن یخامرنا أقل شك في وصولنا إلى الوطن سالمين . ذلك أنَّ أوجه النظر اختلفت ثمة ، ونشب بين القادة نزاع في الرأى : هل يقلمون من تندوس ، أو يتلبثون بها حتى تنجلي العاصفة التي شرعت تهب في عنفوان وشدة ؟ وهنا ، آثر ملاحو أبيك أن يعودوا أدراجهم بسفائنهم إلى طروادة ، وذلك مجاملة للقامد العام . بيد أنى لم أر هذا الرأى ، بل وررت من العاصفة بسمائني إلى جزيرة لسبوس، ولحق بنا ديوميد ، ثم وصل مناوس في إثره؛ وأرسينا ثمة ؟ وانتظرنا إذناً من السماء ، أو قل بارقة من الآلهة ، نقلع بعدها . وكات العاصفة تشتد وترقص هوقنا ومن تحت أساطيلنا ، فلم نر بُداً من الحجازفة و إلا تكسرت جوارينا على الصخور وفوق الأواذي ، … يا للهول! لقد بلغت قلو بنا الحناجر قبل أن نصل إلى جيريستوس! حمداً لك يانيبتون وثناء عليك ؟ وقل أن نذبح باسمك ألف قر مان من كل عجل جسد وكبش حنيذ ! ولقد فاز ديوميد فوصل بجنوده سالماً إلى آرجوس ، وكذلك فاز الجبابرة الميرميدون ، جنود أخيل ، بقيادة شبله العظيم نيو پتوليموس ، فوصلوا إلى أوطانهم غانمين ، ووصل من بعدهم فيلوكتيتيس ٠٠ كذلك وصل أجاممنون وليته لم يصل ! لاريب أنك سمعت بما حاق به ! لقد قتله الحجرم إيجستوس(٢) ، ولكنه دفع روحه ثمناً لفعلته ؛ إن العيش لم يطب لابن أجاممنون حتى ثأر لأبيه ، فانقض كالصاعقة على قاتله وغاله بيده !

⁽١) رنوس أوجو پيتر كما يسمبه الرومان وخوكمير الآلهة

⁽۲) یعد الفاری مرح والی فی کتابنا التی (اِسکیلوس والمسرح الیونانی) إن شاء الله .

يا للفخار أيها الصديق الشاب حين تنتقم لأبيك فتسجل اسمك في سجل الخالدين! » .

وشاع العُجْبِ فى نفس تليماك، فقال:

« ويك نسطور الإنه سيكون انتقاماً عادلا بحق الساء ، وستتغنى الأجيال القادمة بقصته ، وسيرويه الخلف عن السلف . كم ذا وددت لو مكنت لى الآلهة فى أعناق هذه العصبة العاجرة من العشاق الآثمين الذين يدلون على بعددهم وغددهم ، والذين يقذفون فى وجهى بالإهانة تلى الإهانة ... وا أسفاه اليت شعرى لم لا تؤيد الآلهة حتى على باطلهم ؟ لقد نفد اصطبارى وكات حيلتى ... فاذا أعمل ؟ »

وقال نسطور: « أيها الصديق ، لقد أذكرت منى غافلا . ويحك تلياخوس! لقد تناقل الناس ماكان من حماقة هذه الطغمة التى تستبيح عرض أوديسيوس ، وتستنزف ثروته ... ولسكن ، من يدرى ؟ هل أمنوا أن يعود يوماً فيستأصل شأفتهم ، ويديل منهم ، وتكون له الكرة عليهم ؟ لقد كان أبوك العظيم حبيب مينرقا وصفيها ، وهى لا بد الحذة بناصرك كما أخذت بناصره من قبل ، وهى لا بد مدركتك وشيكا ، وحائلة بين أعدائك وأعداء أبيك ، و بين هذه الزيجة الحرمة ه

و بجيب تلياك :

« ألا من يدرى ؟ إنه لا أمل لى فى ذلك قط! آه أيتها الأحاسيس الغريبة التى تجبش فى قلبى! الآلهة فقط هى القادرة على تحقيقك بمعجزة! »

وهنا ، حدجته مينرقا بنظرة هائلة من عينيها الربرجديتين ، وقاات له :

« تلياحوس! أيه كلة هائلة زل بها لسانك ؟! ما أيسر على الآلهة ان تقول للمستحيل كن فيكون ، أنا نفسى كم تجشمت أهوالا فى أسفارى ثم عدت بعناية أربايي سالماً إلى أرض الوطن ؟ بل كم من أناس ظنوا أنهم نجوا من الموت فى يم غشيهم بموج كالظلّل ، فلما وصلوا إلى البرحاقت بهم مناياهم كما حاقت به منيته أجاممنون ، حين خر صريعاً بيد إيجستوس الأثيم، و بد زوجه الملكة (١) الفادرة الفاجرة الزنيم! حقاً ، إن الكيمن حبيما وأعن عبادها عليها . في يكن حبيما وأعن عبادها عليها . في

وعبس تلماك عبوسة خفيفة ، وقال :

ه مهما يكن من الأمر فلندع هذا الآن يامنطورا إنني لا أمل لى مطلقاً في عودة أبى ، ولكنها أقضية من السها ومقادير أن أذرع وراءه البحار ، وأن أعود فأسأل فخر اليوزان تسطور ، اللبيب الأريب الذى حكم كما هو مأثور أحيالاً ثلاثة ، والذى يتألق فى عينيه سناء الآلهة ، أعود فأسائله كيف قتل أجاممنون ؟ وكيف تهياً لا يجستوس أن يقتله ، وهو من هو أعلى منه نسباً وأعن حسباً وأشرف قدراً ، وأين كان مناوس الملك شقيق أجاممنون ؟ ألم يكن قد عاد بعد إلى أرض الوطن أم كان لا يزال يطوى الآفاق، فشجع ذلك إ يجستوس ونفخ فى قلبه ؟ ».

وقال نسطور : « رويدك أيها الصديق الشاب فإني قاص عليك نبأ

⁽۱) كايتماسترا

ما لم يأتك به علم … تالله لو لم يُهتل إيحستوس قبل عودة مملوس ، ما أُقْمِ على رفاته جدث ، وما بكت عليه عين ، ولألقى مدله النجس اكلاب البرية وطير الفلاة تنوشه وتمرقه وتغتدى به ، جزاء فعلته الشنعاء وجرمه الذميم وخطيئته التي لا تغتمر . إصْغ إلى . . لقد أناب مناوس عنه حارساً أميناً يسهر على أمور الملكة ... ذاك هو أثريدس الحميم، الذي تغفله إيچستوس، ، واتصل عولاته سراً وهو لا يدري ، واستطاع أن يدبر معها هذه المؤامرة الشنيعة التي اننهت بنفي الحارس الأمين تم قتله فى رية موحشة غالبته فيها السباع الصارية والأوابد(١) الـكاسرة ، حتى إذًا حلا لهما الجو أسْلست له المملكة القياد فحسكم وساد ، وطغى واستبد ، وسُلط على البلاد أعواماً سبُّمة طوالاً ٠٠ كل هذا والسماء ساهرة لا تغفل، فقد عاد أورست بن الملك الغائب، وابن الملكة الفاجرة ، فأنقذ عرض أبيه وقتل الوحش اللئيم الذي دنُّس شرف المملكة ، ولطخ بالوحل هذا المجد الأثيل ، ثم قتل أمه · · أجل ، قتل أمه وجمع حوله الأرجيف البؤساء يحتفلون بهذا النصر و يصلون الآلهة التي أنقذتهم من ذاك الشر ··· وبينا هم فى أفراحهم وانشراحهم إذا بالملك العظيم يصــل بأساطيله بعد رحلة طويلة محفوفة بالخخاطر ... ملقد أبحرنا (أنا ومنلوس) من طروادة مماً ، ومأكدما نبلغ صنيوم (٢) ، أول مرافىء أثينا ، حتى وقع ما لم يكن

⁽١) الوحوش.

[.] sunium (Y)

لنا بحسبان ذلك أن رب الشمس أبوللو عال بسهامه التي لا تطبس ربان الأسطول العظيم ، فرونتيس ، فاضطر الملك أن يلتى مراسيه حتى يصلى على صديقه ويقيم الشعائر على جثمانه ؛ ثم أقلع ، وما كاد ، حتى اضطرب البحر ، وفغرت اللجج أمواهها ، وتدافع الموج حول الأسطول كالجبال ، وعتم الجو ، وعامت السماء ، وانقضت الصواعق فانشعب الأسطول وتعرقت سفائنه ، وانشطرت وحداته ، فبعضها شرق ، و بعضها غرب غرب ، و بعضها يمم شطر سيدون عند كريت ، و بعضها اتجه برغمه نحو خرب ، و بعضها عمم شطر سيدون عند كريت ، و بعضها اتجه برغمه نحو خول الأعماق ، وخمس فقط … وصلت بعد طول الجهد إلى هنا »

" بنى .. أيها الصديق الشاب . أخلق بك أن تذهب من فورك إلى مناوس فتسائله عن أبيك ، فلقد لتى الأهوال فى البحر ، ولا ريب أنه سمع كثيراً مما جرى فيه من مختلف الأم فى رحلته المشئومة ... ملم . وإن لم تسعفك سفينتك فإنى تمدك بكل ما تحتاج من مركب البر أوالبحر ، وهاهم أولاء رجالى معك أينا توجهت ، بل هاهم أولاء أبنا أى ، ليصحبك أحدهم ، أو كلهم ، إلى مناوس ، فإن عنده الخبر اليقين »

وكانت الشمس قد توارت بالحجاب ، والليل قد نَشَّر ظلامه فوق الطبيعة المنهوكة الخامدة فهضت ابنة زيوس الغظيم ، مينرڤا الخالدة ، وهى لا تزال فى صورة منطور أمير البحر وطيلسانه ، فقالت : « مرحى يا فخر هيلاس ! لقد قلت حقاً وتكلمت صدقاً ؛ هلم ، البدار البدار ، قطعوا

ألسن القرابين (١) وأريقوا الخر باسم الآلهة ، وباسم نبتيون قبل كل شيء ... »

وانتشر الولدانُ بين المدعوين يصبون الماء على أيديهم بعد إذ أدوا التحية الحرية المقدسة لأربابهم ، ثم تعرقوا شيعاً ، ونهض تلياك وصاحبه لينصرفا ، لولا أن صاح بهما نسطور :

« حاشا یارفاق ا أنتما ضینی (۲۲)، وکمیف تبیتان فی سفینتکما تحت طل به اللیل وهذا بیتی فیه کرن کی استکا وفراش وثیر، وفیه ، والحمد للآلهة ، خیر کثیر، وهؤلاء أبنائی سمارکما ، وهم ثمة طوع که لسکما »

وشكرت مينرها للملك عطفه ثم قالت: « بوركت أيها الملك ، ليبق تلياك هنا ، ولأمض أنا إلى البحر لأسهر على صوالح مركبي ، ولأطمئن بحارتي ، فكلهم أتراب تلياك ، وكلهم متطوعون لخدمته وفاء وحبا ، وليس يجمل إلا أن أبيت أنا معهم تلك الليلة ، على أن نقلع صبيحة الغد إلى كوكون ، ولتأذن فتمنحه عربة وزوجاً من صافنات جيادك ليلحق بنا ثمة ، يصحبه أحد أبنائك ، ما دمت قد عرفت فيه ابنا لأعن أحبائك وأوفى أصدقائك »

ثم حسد ثت المعجزة ... فإنه ما كادت مينرها تتم كلامها ، حتى انتفاضة هائلة ، وتحولت من صورة منطور أمير البحر إلى نسر عظيم مهوب اللفتات ، ما عتم أن ضرب الهواء بخافيتيه ، حتى حلق فى

⁽۱) كان من القاليد الحشر ثعة أيام هومير أن تقطع أَّاسن الفرابين و تحرق باسم الألحة الينصرف الجمع (۲) بصيغة المفرد

الساء، وعاب في لا نهاينها ، بين دهش القوم ، وشديد حيرتهم وتماول سطور العظيم يد تلياك ، وظل يقلب عيه بصره ، شم قال ، « أبها الصديق ؛ لشد ما عطمت منزلتك ، وسمت مكانتك . حى لتكون في رعاية الآلهة وعماية السماء ! هـذه دون ريب أمنة سيد الأولمب - الكريمة مينرها - التي ما وقرت أحداً من أبناء هيلاس كما وقرت أباك

« وا كن أنت يا مليكة العدالة ! ضرعت إليك أن نتلطفى بنا جميعاً ! أمنحينى ركاتك .. أنا وأبنائى وشعبى ... اكتبى أسماءهم في الحالدين ، وسنصلى لك ونذبح باسمك خَيْر بقرة ؛ لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث ؛ مُسَلمة لا شية فيها ؛ منضورة بالورد ، محلاة القرنين بالدهب » .

وقبات مينروا صلاته ، ولبت دعاءه ، ونهض وفي إثره أبداؤه وأحفاده فنتحت أبواب القصر وتقدمت بدماية الشراب فقدمت إليه كأسا من خرلها نسب من عهد أولمب ، فأفرغها في الأرض تحية لمينرقا ، واقتدى به ملؤه فأفرغوا كؤوسهم ، ثم مضوا إلى غرفاتهم ، ومضى الملك مع تلياك الى محدع وثير ، وفراش من حرير ، وأمر ابنه بزستراتوس فقام معه ، ثم ذهب حيث وحد الملكة في انتظاره

ونشرت أورورا (١) غلالها الذهبية في مشرق الأوقى ، فاستوى. نسطور على عرشه المرمى المتألق عند بوابة القصر ، حيث كان أبود

⁽١) ربة العجر وحادية عربة أبواو حين يركب الشمس عند المعروق .

اليوس يجلس كَإِلَّه للنظر في صوالح العماد، وأقبل بنوه الستة ومعهم نلجاك الذي جلس إلى جنب أبيهم، وتحدث إليهم نسطور فقال:

« هاموا يا بني ، لنذ بح القربان المقدس باسم مينرها الكريمة التى باركت حقلنا أمس ؛ لينطلق أحدكم إلى الحقل فليحضر ثوراً (١) سمينا ، وليذهب آخر فليدع رجال تليهاخوس – إلا اثنين – من السعينة ؛ وليمض ثالت فلمأت بالصناع الفنان (ليرسيوس) ليجلل قرنى القربان بالذهب، وليبق الآخرون هنا ، ثم لتحضر كل حاشيتنا من النساء ايكسبن الوليمة بهجة و رواء »

وأطاع أبناؤه الأوفياء ، وأحضر القربان ، وأقبل الملاحون الأمناء ، ثم قدم الفنان ليغطى قربى البهيمة بالذهب ... ثم ... وافت مينرفا ... مينرفا نفسها المشهد الطقوس التي تقام باسمها ... ، وبدأ الفنان عمله ، فأخذ يرقق صفائح الذهب و يثبتها بمهارة في القرنين الصغيرين . وتقدم أريتوس بن نسطور وفي إحدى بديه باقة كبيرة من الزهر وفي الأخرى سلة من أفخر أنواع الكمك ، وتقدم ابنه التاني تراسيميد وفي بده شاطور كبير ليذبح الثور و وقف قبالته يرسيوس يتلقي الدم في وعاء كبير . ونهص نسطور الأب فسبح وصلى أمام نار كبيرة مضرمة ، وتمتم باسم مينرها ، وقذف في اللظى بكمكتين كبيرتين ، و بناصية القربان ، و بقدر قليل من الماء المقدس . و إذ انتهى الجيم يجهزونه ، وكانت يوريديس عن ساعده وجزر القربان ، وانكب الجيم يجهزونه ، وكانت يوريديس

 ⁽٣) كان على السطور أن يذبح بقرة مسلمة .

الجيلة المفتان تُعنى أشد عناية بالفخد نبن ، فسترتهما بثوب غال من الديباج ، وكان نسطور نفسه ينثر الحمر المقدسة والعطور والأرواح . ، . وهكذا أخذ الجميع في شغلهم ، وشرعوا يلقون في الجربالحوايا ، وشرعت يوليكاست تنثر البهار والتوابل . وتهادى تليهاخوس بعد هذا فاستوى إلى جنب الملك ، وانتصب الولدان والندامي يصبون الحر ، وبدأ المكل يأكلون هنيئاً ويشربون مريئاً .

وماكادوا يفرغون حتى أمر نسطور فهيئت الصافنات الجياد لرحيل تلياخوس، وأحضر القواص عربة كبيرة مثقلة بكل ما تحتاج الرحلة من زاد وعتاد .

وأخذ تلماك مكانه من العربة الأولى ، واستنوى إلى جانبه بيزستراتوس أشجع أبناء نسطور، ثم سلم تلياك وودع، وشكر وأثنى، وجذب أعنّة الخيل فانطلقت ننهب الرحب، وتبتعد عن بيلوس وتطوى الزمان.

و بلغوا ، مع مغرب الشمس ، فيريه ، حيث تلقاهم رب البيت بالبشر والترحاب ، و باتوا عنده ، حتى أيقظتهم أورورا المشرقة . فواصلوا رحلتهم إلى أسبرطة .

العشر___اق يتآمرون

وصل الركب إلى أسپرطة بعد أن غوّر فى وهادها وأنجد، وانطلق تلياك وصاحبه من فورها إلى باب مناوس الملك حيث وجدا، لحسن

الطالع ، وجوها مسفرة ، وجماهير مستبشرة ، وموسيق تصدح ؛ ومنشدين يرددون أناشيدهم ويرسلون أغنياتهم ، و وليمة ملكية حافلة اجتمع لها الملك وأبناؤه وخلص اؤه ونداماه ، يأكلون ويشر بون ويسمرون ويتطر بون ... ماذا ؟ لقد اجتمع القوم من كل حدب ، وأقبلوا من كل صوب ، يحتفلون بابني الملك : بابنه الذي زوجه أبوه من أجمل عادات أسيرطة وأكثرهن وسامة وقسامة وفتنة ، ابنة ألكتور العظيم أ؛ ثم بابنته المفتان اللحوب الطروب التي رزقها على كبر من هيلين ، والتي نافست بجمالها ودلها هرمبون ابنة قينوس .

وماكادا يجاوزان الوصيد حتى لمحهما إتيون ، كبير أمناء الملك ، فانطلق إلى مولاه وحدثه عنهما ... « إن لهما لمهابة و إن عليهما لرواء ، فهل يأذن لهما مولاى ، أم يأمر فنردها من حيث أقبلا ؟ »

وأوماً الملك برأسه الكبير الذي يزيد في وقاره وحسن سمته شعره الذهبي ، وأمر إتيون أن يذهب اليهما ، فيسير بين أيدبهما إليه ... و كلف يُرد عن طعامي الغرباء ، وقد طعمنا طو يلازاد الغرباء ؟ هو ... إذ كيف يُرد عن طعامي الغرباء ، وقد طعمنا طو يلازاد الغرباء ؟ هو دعا إليه إتيون طائفة من الخدم وذهب إلى الوافدين الكريمين فيها وسلم ، وحل اللجم وأناخ البهم ، ومضى بهما إلى داخل القصر من طريق يشرف على مكان الحفل وترى منه الجدران التي ازدانت بأحسن فرينة ، وقبة العرش التي تلاكلات في الأنوار الوضاءة والسُرُج الوهاجة ... ثم لقيتهما فتيات من عذاري القصر فقدنهما إلى الحامات المرمرية الباذخة فاغتسلا وتضميخا ولبسا ثياباً مله كمية ، ثم ذهبا للقاء رب هذه الدار .

وهن اللك لها و بس ، وأجلسهما إلى جانبه على مقعدين وثيرين ، وها فى دهس من ذاك المنظر العجب. وأقبلت فتاة فصنت على أيديهما الماء ، وذهبت وأحضرت مائدة رائعة منسقة ، عليها قدر غير قليل من أخر الأشربات وأشهى الآكال ، ووقف حادم آخر يقدم طبقاً بعد طبق ، وكأساً من ذهب بعد كأس من ذهب ، والملك فيا بين ذلك يبالغ فى إيناسه لها والحفاوة بهما ، وينظرها حتى يفرغا من طعامها فيخبراه عن أمرها ، وكان يتلطف فيقدم لها قطعاً من شوائه بيده .

وسار" تليماك صاحبه فقال .

« پيزستراتوس باصديقى! ما أجمل وما أنخم وما أروع؟! هذا الحمل الماهم، يتألق فى الذهب والفصة والعاج والكهرمان ودروع النحاس! أبداً ما ترى العين مثل ذلك، ولا تسمع الأذن إلا عن قصر سيد الأولمب فى شعاف جبل إيدا! أية ثروة وأى كنز؟!

وسيحمه مناوس الملك مقال:

« بنى ! لا تقرن قصرأحد منا — نحن ببى الموتى — إلى قصر سيد الأولمب! وأنت على حق حين ترى أن لا أحد يملك ما أملك أنا من أذخار وكنوز ، فقد سحت فى أقصى الأرض سنين عدداً ، وجمعت الدر ر الغوالى من كل فج من كريت وقبرس وفينيقية ومصر ، ومن أثيو بيا وإيرمبى من ومن صيدا ولوبيه ورؤوس الشاء والوعل هذه والرعل الوحشى السائم من والشاء التى تمدنا بخيرها بغير حساب من لقد طوفت فى الآفاق وتركت فى كل منها ذكرى . ولا غرو ، فقد نبأ كم آباؤكم طوفت فى الآفاق وتركت فى كل منها ذكرى . ولا غرو ، فقد نبأ كم آباؤكم

أنباء مناوس الملك الدى دك المعاقل وهدم القصور ٠٠٠ ما أس لا أنس هذا القصر العتيد الذي جعلت عاليه سافله بما فيه من أدحار وقنى ، وددت لو كان في قصرى شيء مها ، وود الإغريق لوحصلوا في بلادهم جميعاً على بعضها إهناك إهناك تحت أسوار طروادة ياصاح إيا ويح نفسي إيار حمة اللا صدقاء الأحباء الأعزاء الذين ناموا ثمة إلشد ما أسلى النفس عنهم بالتأسى ؟ لشد ما يندلع الأسى في قلبي عليهم جميعاً ، ولا سيا صغيي وخليلي وأعز أودائي على ٠٠٠ أوديسيوس إأوديسيوس الكريم اليت شعرى ياصديقي فيم شطت بك النوى وطال عليك الأمد ؟ أحي ترزق ؟ أم ثويت في بطحال المقم ؟ ياويح لك ، ولأبيك الشيخ ، وزوجك الملتاعة ، وابنك الحزون اليتيم تلياخوس ، الذي غادرته في المهد ما بلغ العطام ، إلى حومة الوغى وحلبة الحام ٠ » .

ولم يملك الهتى دموعه حين سمع هذا الهتاف باسم والده فنشج نشيجاً مؤلماً ،ثم استخرط فى البكاء ، وطفق يذرى شئونه فى طرف ثو له بين دهشة مناؤس وحيرته ، وذهول الحاضرين . وانعقد لسان الملك فلم يسأل الشاب عن حاله ، حتى أقبلت هيلين فجأة ، فتلفت القوم ينظر ون إلى هذا الرشأ الذى يتثنى مياساً فى ظلال من الهتنة ، كأنه ديانا ربة القوس الذهبية ...

واستوت على عرشها المنصد ، الذى أصلحته يدا أدرستا وعماية أكليب، ثم أحضرت الطُّرَف والهدايا واللَّهى · فهده سلة من الفصة المزخرفة بالتصاوير هدية من ألكندرا زوج بوليب أميرطيبة ، عروس

المدائن المصرية ؛ وتلك عشر بدر من النضار الخالص ، وطستان من الندهب ، ودنان من الإبريز ... يقدمها كلها ملك أسپرطة إلى زوجه البارعة الرائعة الهيفاء ... ونظرت هيلين إلى الضيفين الغريبين ، وسألت زوجها :

« ملكى ! نشدتك الآلهة أن تخبرنى من هذان ؟ إن أحدها شديد الشبه بطفل أوديسيوس · · الصغير تلياخوس · · الذى تركه أبوه صبياً في للهد من جراء حرب إليوم المشئومة . »

وقال الملك: « وأنا مثلك ياهيلين ، لقد دار بخلدى ما دار بخلدك من أمر هذا الفتى ! ألا ما أشبه الساقين والساعدين وتفتير العينين واسترسال المتين (١) عما كان الأوديسيوس ؟! لقد ذكرت ما قاسى صاحبى من أجلى وفي سبيلي تحت أسوار إليوم ، قسرعان ما رأيت الشاب ببكي و يبكي و يبالغ في البكاء ، ثم يغلبه حزنه فيخفي وجهه ، وفيه روحه، في ثيابه من الهم »

وانتهز ابن نسطور الفرصة نقال :

«حقاً أيها الملك إنه هو! ولكنه خبول حيى ، ولقد أوشك حياؤه أن يمنعه من لقائك ، وقد هاج تباريحه ما ذكرت عن أبيه . أما أنا ، وإنى ابن نسطور صدبقك الآخر ، وقد أمرنى أبي أن أصحب تلياحوس إلى هنا عسى أن يسمع خبراً عن أبيه الذى ذهب يذرع الأرض، ولا يعلم أحد أيان قد ذهب ... وهاك ابنه المكلوم يجتر أشجانه ، وتطحن

⁽١) اللهة الشعر الذي يخاوز شمحة الأذن .

فؤاده أحزانه . »

وشُده البطل - ذو الشعر الكهرماني - فقال:

« ياللا له المحدا أفاجاً بلقاء ولدى ا أنت ؟ أنت ابن أوديسيوس الذى شقى طويلاً بسبى ، وبذل نفسه من أجلى ، ولا يزال يناضل الويلات من جرائى ؟ كرامة وحباً يا ابن خير الأصدقاء ! لو عرفت أنك تسعى للقائى لشدت لك مدينة فى آرجوس، تتيه على المدائن وتزهى على القرى ! و رفعت لك عماد قصر منيف طالما كنت إخاله يؤوينا جميعاً فنسعد سعادة لم يحلم بها قوم من قبل ولامن بعد … ونلتذ ، أنا وأبوك وأنت ، وجميع أهلى وأهله ، ذكريات الماضى المترع .. آه يا أوديسيوس ! لقد طاشت الأحلام وذابت الأمانى ، وقست عليك الساء … فحرمتك لقد طاشت الأحلام وذابت الأمانى ، وقست عليك الساء … فحرمتك كل شيء ، حتى الأوبة إلى أرض الوطن ! »

وأثارت كلات الملك شجون القوم ، فبكى تلياخوس ، وأذرفت الملكة ، وانبجس الدمع من عينى ببرستراتوس حين ذكرت طروادة فأذ كرته قتل أخيه تحت أسوارها ، ثم قال : «حسبك أيها الملك ! لقد تذاكرنا ، أنا وصاحبى ، جلائل أعمالك فعرفنا فيك المليك الأجل ، والمقدام البطل ، ولكن ماذا تجدى دموعنا ؟ لقد غالت يد الردى أخى وانن أمى وأبى في سبيلك كذلك ! ألاتذكر ؟ أنتيلوخوس ! البطل المغوار والفارس الكرار الذي لم تكتحل عيناى برؤيته ! أوه يا ابن أورورا الغادر ، شلت يداك بما فتكت بأخى ! س »

وتعطف الملك فطيَّب ابن نسطور بكلمات عاليات ، وأمر الندمان

. فصب الماء على أيديهم جميعًا ثم أخذوا في آكالهم ، وصنت هيلين قطرات من طيب مُد هب للا حزان في كأس تليماك، وكأس صاحبه ، لا يعرف من يذوقها إلى الأسى من سبيل. وهي قطرات عجيبة أحدتها للملكة ، ز وِجة (ذون) الأميرة المصرية بوليدامنا ، وكم في مصر من سحر مبين ! وتكلمت هيلين ، فدكرت ماكان من أوديسيوس يوم التقي الجمعان عند إلينوم ، وكيف استطاع أن يتسلل مستخفياً في ثياب شحاذ إلى داحل المديمة العتيدة ، وكيف قابلها في حجرة ياريس ليطلعها على خطة اليونانيين ، وما كان من رجائه إياها ألا تفصحه عند أعدائه حتى يعود سالماً إلى معسكره ومخيمه ، وأنها برَّت فلم تنبيء أحداً بوجوده · · ثم رأت أن تتنصل من فضيحة فرارها مع ياريس فادعت أنهاكانت مسوقة إلى دلك برغمها لأن فينوس كانت قد سحرتها عن نفسها (لما وعدت به يار يس من أنها ستهبه أجمل غادات هيلاس إذا هو قضي لها بالتفاحة ^(١)). « واخجلتاه ا لقد أزرى بي أن أفر راغمة فأهجر فراشي الطهور وطفلتي . اليافعة إلى بلاد قاصية لا ناقة لى فيها ولا جمل ·· »

وأعذَرَهما الملك ثم ذكر أوديسيوس فقال:

« أبداً ما رأيت أثبت جأشاً ولا أربط قلباً من أوديسيوس ؛ و إن أنس لا أنس يوم الروع الأكبر ، يوم فكر أوديسيوس وفكر ، ثم دبر هذه الحيلة العجيبة ، حيلة الحصان الهُولة الذي قهر لنا طروادة في يوم

⁽۱) قصى پاريس بالتفاحة الله وس و حرم منها منيرڤا وحيراودُڤك سنب عدائهما للطروادين . (كتابنا قصة طروادة)

أو بعض يوم ، وقد عيينا بها السنين الطوال . لقد اختبأ داحله فرسان هيلاس (١) الصناديد ، وكنت أنا — سقى الله الشباب — واحداً منهم ، هَا أُنسى قط حين أقبُّلْت في عصمة ذوي أيد من مداويد الطرواديين (إذ هتف بهم هاتف إن الحصان يحمل لهم شراً و يطوى لقريتهم نبوراً) فجعلت أنت تنادين بأسماء الفرسان اليوبانيين واحداً بعد واحد الَّترَىُّ هل احتبأ منا بداخله أحدكا تنبأ بذلك المتنبئون. تالله لقد كدت أرد عليك نداءك حينها هتفت باسمى ؛ و تالله لقد أوسك زميلي ديوميد يرد عليك هو الآخر ، لولا أن فطن أوديسيوس فحــذرنا وحبس السنتهنا الشقشاقة التي كاديت توردنا موارد الهلاك، لو أن أحداً منا خُدِ ع فنسر ببنت شفة - وَاحَر بَا ! لقد صمتنا جميماً ولكنك عاود ث ، فما كدت تهتفين باسم أنتيكلوس، حتى أوشك المجنون أن يلبى ، لولا أن كتم أوديسيوس أنفاسه بكلتا يدبه ، حتى اكاد يزهق روحه ! ولم 'يعلمه حتى أيقنا أنك عدت أدراجك ، وعاد ممك القوم المنكرون » .

ثم كان الهزيم الأخير من الليل ، فتلطف تلياخوس واستأذن الملك في الانصراف ليأخد كل نصيبه من النوم ، فتأذن ، وأشارت هيلين إلى وصيفاتها فأهم عن إلى مخادع الأضياف ، فأصلحن فرشها ، وأعددن الملاحف والوسائد والحشايا ، ثم نهض أمين الملك ، ونهض في إثره بيزاستراتوس وتلياخوس ، حتى كان كل في مخدعه ، وحتى اطمأن كل في سريره ، وناما في حرير وسمور وفي قاقم وفي سنجاب اطمأن كل في سريره ، وناما في حرير وسمور وفي قاقم وفي سنجاب

⁽١) إسم يومان نقديمة وتساق إيلاس

وتهاويل غير ذاك من الر قم ومن سندس ومن زرياب (۱) ونهض الملك والملكة كذلك فدخلا القصر، واستسلما لأطيب الرقاد.

* * *

وذر قرن أورورا ، ربة الفجر ، فى المشرق الوردى ، فهب الملك وأصلح سأنه ، ورف بازيّه الأشهب فوقف على غاربه ، ثم مضى إلى مجلسه حيث لتى تلماك فى انتظاره، فحيّا وجلس وبدأ حديثه فقال :

« أى بنى ! تليماخوس ؟ أيها البطل وسليل البطل ! فيم شددت رحلك إلى هنا ؟ إلى رحاب ليسديمون (٢) في فلوات البر وسروات البحر ؟ أَلِمْ مَا مَا أَمْ لَشَأَنَ يَخْصَكُ و يَتَعَلَقَ بَشْخُصَكُ ؟ »

وأجاب تلياك: « مولاى الملك! مناوس العظيم! لقد جئت أتحسس خبراً عن أبى ، وأقبلت أحديث عن أعدائه الذين آووا إلى بيته فما يريمون ، يستنزفون غلته ، وبهلكون حرثه ، شم هم مع ذاك ينافس بعضهم بعضاً فى كبر وزهو وخيلاء ... من أجل زوجه! يا للعار! إنهم استباحوا كل شيء ... كل نَعَمه وكل شائه ، ولم يعَقُوا آخر الأمر عن عرضه . إنى أستجيرك يا مولاى وأضرع إليك أن تخبرني عما تعلم من أمر أبى ؟ هل قضى تحت أسوار إليوم ؟ أم غالته يد المنون فى ركن آخر من أركان الأرض ؟ لقد كان خليلك وصفيك وآثر أصدقائك ، وأعز أو دائك عليك ، فبكل آلاء ذلك عندك أستجلفك أن تصدقنى ...

⁽١) الشعر لابن الرومي لم نحد أحس منه في ترجمة أبيات هومي .

⁽٢) من أسماء اسيرطه

ماذا تمرف من أخباره ، وماذا عسيت سمعت من أنبائه ؟ ، وتنفس الملك تنفسة عميقة وقال :

« يا أرباب الأولمب! أبلغت حقارة نفوسهم أن يفضحوا أوديسيوس في عراضه ؟ 1 ألا باءوا مما صنعوا! ألا ما أشبههم بهذه الوعلة التي أجاءها الحخاض فولدت في عربين الأسد ، فلما عاد الأسد إلى عرينه لم يبق عليها ولا على أغفارها (١) احنانيك يا آلهة ازيوس! مينرقا! أيوللو (٢) أن هو فيبطش بالجبارين كما بطش بغيلو ميليد المتي من قبل ؟ تالله لقد اقتر بت ساعتهم وأزفت آرفتهم ... فطب نفساً يا بني ؟ إلى منبيك بما علمته عن أبيك من (بروتيوس) راعى الأعماق ، وكاهن الأغوار .

ضلت بنا الفلك بما نسينا من القضحية باسم الآلهة ، فبلغنا شطئان مصر ، ورسونا عند جزيرة فاروس ، بحيت كان فى مقدورنا أن نروى من كوثر هذه البلاد التى تجرى من تحتها الأنهار ، ثم لبثنا ثمة عشرين يوماً لا تجرى بنا ريح ، ولا يرفه عنا نسيم ، حتى نفد الصبر ، وفرغ الزاد ، وظننا أنه المعاد ، لولا أن رثت لنا إحدى عرائس البحر فبرزت إلينا ، وكانت لنا غوثاً أى غوث ، كنت أجلس وحدى فى منعر جاحد أطراف الجزيرة ، وكان بقية صحبى وأكثر الملاحين يرتادون الماء بشصوصهم (٣) عسى أن يحصلوا على سمك طرى يكون غذاء لنا ، إذ برزت عروس الماء (إيدوتيا) الجيلة ، ابنة كاهن الأعماق پروتيوس ، وتهادت عروس الماء (إيدوتيا) الجيلة ، ابنة كاهن الأعماق پروتيوس ، وتهادت

⁽١) جم مفر وهو ولد الوعل .

⁽۲) كان أپوالو من حصوم اليومايين في حرب طروادة ولدا يدهشا هذا الدعاء .

⁽١٣ الشمس حديدة عقداء يصاد بها السمك (السنارة) .

حتى كانت تلقائى ، ثم جلست مجاسى ، وحدثانى فقالت : « أيها النازح . العريب ! أكر الطن أنك مدهوب بك ، أو أن بك مساً ، أو الطائفاً من الجدون قد ألم بك ، أو أنك قد آثرت الشقاء السرمدى حيث لصقت أرض هذه الجزيرة فما تنوى مصياً ، ولا تلتمس محرجاً ، ولو هلك كل أصحابك ! »

ولم أمال أى شدهت ، فسألتها قائلاً: حسمك يا ربة ! إلى ما اصقت بأرض هذه الجزيرة مأمرى ، ولا أقمت فيها بمرضاتى ، بل كان ذلك قدراً على مقدوراً ؛ والمكن حَبرى محقك ، إذ الآلهة تعلم كل شيء - مَن مِن أرباب الساء يحبسى هنا ؟ ... وهل مقدور لى أن أرتد إلى وطنى فوق غوارب هذا المي للضطرب ؟ ... »

وقالت عروس الماء: « أيها النازح الغريب! سأ نبئك وأصدقك! إلك الآن مقيم بشطئان مصر التي تقع تحت إشراف أبى ، بر وتيوس ، سيد الأعماق ، ورب المياه المصرية ، والمتصل برعايا نبتيون في اعوار هذا البحر ، فإذا استطعت أن تتغفله فتقبص عليه وتشد وثاقه ، فإنه يقفك على أبعاد هذا اليم ، والطريق السوى الذي ينتهي بك سالماً غانماً إلى بلادك : بل ربما — إذا طلبت إليه ذلك — وقفك على كل ما حصل في بيتك من خير أو شر خلال سفرتك الطويلة ، لأني أعرف أنك صفى السهاء وحبيب الآلهة » .

غير أنى لم أدر كيف تستطيع أيدى بنى الموتى أن تقبض على تعذا الإله البحرى الكريم ؛ ولم أخف عليها ذلك ، بل حدثتها به ، وذكرت لها

أنه ر بما ولى دبره إذا شعر منى مهذه المحاولة فلا أستطيع لقاءه بعدها أبداً . بيد أنها طمأنتني ، وذكرت أن أباها يخرج من الأعماق في الظهيرة إلى جَوْنِ قريب حيث يستلقى سرهة وسط قطعان كثيمة من عجول البحر ، من ذراري هاليسودنا الجميلة ، تأتى هي الأحرى في أثره لتنام ثمة ... « فإذا كانت هذه الساعة فإبي سأفودك بنمسي إلى هناك ، وليكن معك من رجالك ثلاثة هم أشجمهم وأكثرهم قوة ، وسأدلكم على منعرج آمن تنتظرون به حتى يكون قد علبه الـكرى ، ثم تنقصون عليه فتكبلونه وتشدون وثاقه ، و إياكم أن يرهبكم بشيء أبداً ؛ إنه سيكون تارة سيلارابيا ، وتارة سيكون ناراً ترمى بشرر كالقصر ، كأنه جِمالات صُمر ، وأخرى يكون أفعواناً هائلًا ينفث السم .. ولـكن خذوه أخذاً م شديداً ولا تقتلوه فتهلكوا .. فإنه إن آنس فيكم قوة عاد فانتفض إلى صورته الأولى التي رأيتموه عليها ، ثم ترونه بعد ذلك وقد أسلس قياده ، وهدأ ونطامن ... فإذا فعل ذلك سألكم عن حاجتكم ، ففكوا وثاقه وأطلقوا سراحه وسلوه ما شئتم ، فإِنه مجيبكم عما تسألون . »

* * *

ثم غابت عروس البحر فى طيات الثبيج ، وتركمتى فى حيرة مما ذكرت ، ثم إلى عدت إلى قرتى فى السمينة ، وعاد كل إلى قرته ، و بعد أن تعشينا ، وكان الليل قد أرخى سدوله ، نمنا نوماً لا آمناً ولا قريراً... و بزغت أورورا عموه المشرق بأصباغ الورد ، فنهضت أصلى الله له فوق السيّف الممتد ، وأبتهل إلى السماء أن توفقنا لما فيه حيرنا ، ثم انثنيت

فتخيرت من رجالى ثلاثة هم أصلحهم لهذا الأمر، وهم موضع ثقتى ومعقد رجائى . و برزت من الماء عروس الماء ، وأحضرت لنا أر بعة من جلود مجول النحر لنلبسها ، ونستخفى بها ، ولتتم الخدعة على أبيها . وأعدت لنا مهاداً فى رمل الشاطئ . ثم دلفنا نحوها ، ونام كل فى مهده ، وألقت فوقنا ما معها من الجلود المنتنة التي أرو حَت حتى كدنا نختنق برائحتها ، لولا أن نثرت العروس فوقنا طيباً عبقاً ملاً حياشيمنا وأنقذنا من صلول (١) تلك الجلود .

وتلبثنا نرقب اليم حتى برزت عبول البحر فنامت في الجون ، ثم كانت الظهيرة فبرز پروتيوس وطفق يعد قطعانه . مبتدئا ، لغفلته ، بنا ، وكأن أثارة من المشك لم تخاص في حالنا ، فانطرح ونام . وانتهزنا الفرصة ، فانطلقنا نعدو إليه ، وقبضنا عليه ، وشددنا وثاقه بحيث الغرصة ، فانطلقنا نعدو إليه ، وقبضنا عليه ، وشددنا وثاقه بحيث لا يستطيع إفلاتا ... يا عجبا ! لقد انتفض انتفاضة هائلة ، فإذا هو أسد غضنفر دو للادة ، ثم انتفض فإذا هو أفعوان أرقم يتحوى ويتحوى ، ثم انتفص فصار نمراً رائعاً دا أنياب ، ثم صار خنزيراً برياً ، فسيلا رابياً ذا عباب ، فأيكة ناسقة ذات غصون وأفنان ا ولما لم يجد بداً من أن يبدو لنا على حقيقته ، انتفض في كان على صورته الأولى ، ثم قال : « عَمْرَ كُ الله على حقيقته ، انتفض في كان على صورته الأولى ، ثم قال : « عَمْرَ كُ الله وتشد وثاقى ؟ ماذا تريد ؟ » فقلت له : « حسبك يا رب هذا البحر ، وتشد وثاقى ؟ ماذا تريد ؟ » فقلت له : « حسبك يا رب هذا البحر ، إنك كنت بي عليا ! لقد طال مقامنا بهذه الجزيرة ، ولست أدرى أى

^{. (}١) أروح اللحم صار نتماً وصلوله رائحته المتنة .

إله عادل حبسنا فيها ، ولأى شيء ؟ 1 » . وقال پروتيوس : « ويك با مناوس ! لم لم تُصلِّ لسيد الأولمب نم تُصحِ للآلهة يوم غادرت طروادة ؟ لقد غضب الجميع فكتبوا أن تضل فى تيه هذا البحر حتى تكون تلقاء مصر ، فتقيم ممة حتى يثوب إليك رشدك وتصلى للآلهة خاشعاً خابتاً متصدعاً ، نم تذبح القرابين وتجزر الأضحيات فتعود إلى أوطانك ! » وعرابي مما ذكر ما عرابي ، فقلت له : « الحمد الك أيها الإله القدوس ... سأفعل ، سأفعل كل ما تأمرني به ، ولكن قل لى بحق ربو بيتك ، هل وصل كل رجالنا إلى أوطانهم سالمين كما تركتهم أما وصاحبي نسطور عند طروادة أم أن منهم من غرق أو قتل أو مات حتف أنهه »

وكأ بما ضاق بي ، ولحكمنه فال : « ويك يا ابن أثريوس ما هذه الأسئلة ! أتبتنى أن تقف على كل أسرارى ؟ إذن فاعلم أن أكثر رجالك قد عادوا سالمين إلى أوطانهم ، وأن قليلا منهم من مات ، ومن هؤلان قائدان فقط قد قضيا ، ولا يزال واحد يذرع رحب هذا البحر ، ضالا على غير هدى ! … لقد هلك أحاكس بما تحدى الآلهة ، وبما ادعى أنه ناج برغم السماء من البحر اللجى الذى كان يناوح سفينته ، فبرز نيتيون غاضباً وشطر السفينة نصفين بضربة قاضية ، من رمحه السمهرى ذى الثلاث شعب ، ثم رطم حطامها يعد ذلك فوق صخرة موحشة … مسكين أجاكس لقد غص بالأجاج ، وشرق بقطرات فات! …

أما أحوك (١) فقد بحا القد دمنه موجة هائلة فوق شاطئ (ماليا) . . أرض فيستيس و إبجستوس ... ومن ثمة ركب البحر إلى وطنه آمناً . ألا كم كان أحوك رائماً حين وطيء أرض الوطن فراح يقبل رمالها ويباحي كثبامها الله لليته ما بجا القد لحجه أحد الأوغاد من جواسيس إيجستوس فانطلق يخبر سيده الذي أعد كميناً من عشرين رجلا من أفسق رجاله فاغتالوه كا يذبح العجل ؟ الأوشاب الفجرة ! لقد باءوا على مكرة أبهم ... »

ولم يكد يصعقني هذا الخبر حتى حذاتني رجلاى ، وانطرحت أتقلب في الرمال من الغم ، وذَرَفْتُ الدمع من الحرقة على أحي . ولكنه خاطمني قائلا: « انهض يا ابن أتر يوس . إنك تبكى ولات حين بكاء ملم عد إلى وطنك اترى بعينيك قدره ولتشهد ابنه العظيم أمورست ينتقم له ، و يستأصل شأفة قاتليه . »

وكائما سرى عنى بما قال بعد ، فمهضت وساءلته بعد أن شكرته على ما أنبأ بى : « س إذن من هذا البطلِ الثالث الذى ما يفتأ يذرع البحر ضالا فى رحامه ؟ »

فقال: « داك ان نيرتيس ، وسيد . إيثاكا (أوديسيوس)! لقد شهدته بسيني حبيساً في جزيرة عربوس للماء كاليبسو ، لقد حل عليها ضيفاً برغمه ، فلقد تحطمت سفائنه ، وهويته عروس الماء ، وهو لا يزال عندها لا يجد مركباً يحمله إلى وطنه ، أما أنت ، أيها لللك مناوس ،

⁽١) ألما مون

- عطوبى لك ! إنك ستحيا سعيداً ، ثم تنتقل إلى دار الخلد ونعيم لايفنى ...
حنات الإلبر يوم ... حيث لا برد ولا رمهرير ، ولا يوم عنوس قمطرير ،
ال تسقى ، ومن معك من الأناسى من ماء معين ، لا لغو فيه ولا تأثيم ...
مقام كريم وجنة نعيم ، وغادتك الخسّان هيلين ، يا ذرية ريوس
العطيم ! »

ثم غاص فى اليم ، وعدت ورجالى إلى الفلك ، وفى القلب لوعة ، وبالنفس أسى . وتبلَّغ كل بلقات ثم أسلمنا عيوننا للـكرى ، وكأ بما نام أسطولنا فى ظلام الشاطى .

* * *

وانبلجت أورورا فنضرت بالورد جبين المشرق ، وهبت أنفاس الصباح المنداة فأهم عنا جميعاً ، وجزرنا الأضاحى باسم الآلهة ، وصليما لها حابتين ، وأقمت لأخى رمساً فوق ثرى مصر الخالدة ، ثم هبت الريح رخاله فنشرنا الشراع وأصلحنا القلوع ، وأقلعنا من فورنا إلى أرض الوطن ، فملغنا هيلاس سالمين .

. و بعد ! فلتقم معنا همهنا أياماً تمرح وتفرح ، ونسعد محن بك يا ابن أعز الأصدفاء ، ثم لنعد لك الهدايا واللهى التى تليق بك ، ولتعد إلى وطنك على عربة فاخرة تجرها ثلاثة من الصافنات الجياد ؛ ولنزودُك بكأس ذهبية تصب منها قرابين الحمر للآلهة فتذكرنا أبداً »

وشكر تليماك واعتذر، وأبدى من الحنين إلى وطنه، وما عليه من واجبات، وما ينبغى من عودة ابن ملك بيلوس، ما برر عنده أن

يستأذن في الأولة ... فأعذره ملك أسهرطة ، وأهدى إليه كأس فيديموس الفصية ، ذات الشفة الذهبية ، الكأس الخالدة التي صنعها الإله فلكان بيديه لينفح بها ملك سيدونيا .

وهيأ الندل مقصفاً فاخراً به حَجزُور وخمر ، وأقبلت أرواجهن يحدلن الحبز، فأكل الملك ومن معه ورَوَوْا .

* * *

هذا ماكان من أمر تليباك ومناوس.

أما ماكان من أمر العشاق آنئذ ، فقد كانوا يعبون و يمرحون فى بيت ملك إيثاكا ، يلاعبون الأسنة ، ويقذفون القرص ، ويتصارعون ويمزحون . كانوا جميعاً يأخذون فى هذا اللهو لتزجية الوقت ، إلا أنتينوس ويوريماك ، فقد جلسب ا بمعزل يتحادنان ، إذ أقبل الهتى نومون إبن مرنيوس وقد تغصن جبينه ، وانتشرت على أسار يره سحابة كثيبة فقال :

« أرأيتَ إذ أعطيت سمينتي للفتي تليباك فإنى أريد أن أبحر إلى إيليس لأرعى أفراساً لى اثنتي عشرة لا تزال ترضع أفلاء ها (١٦) متى يرجع من پليوس يا أنتينوس ؟ »

ورُوع الرجلان لهذا الخبر، ملم يكن أحسد يعلم أن تليماك قد غادر إيثا كا، بلكاموا يظنونه يجِتر آلامه وأحزانه في أحد الأدغال النامية في مزارعه. قال أنتينوس:

«أحقاً أنه أبحر يا نومون ؟ وهل صحبه أحد من ذريه ؟ وعلى سفينتك ?

⁽١) العلو ولد القرس لم يبلغ عاما -

سفينتك أنت ؟ وهل أبحر عليها بدون إذن منك ، أم أنت الذى أذنتله بها أول ما طلبها منك ؟ »

وأجابه نومون: « بل أبحر عليها بإذبي . ومادا عساك كنت صانعاً لو سألك أمير في مثل بأسائه أن يبحر على سفينتك ؟ أكنت ترفض وتتأبى ؟ لقد أبحرت معه ثلة من أشجع البحارين ، كلهم فينان الدود ، غريض الشباب ، وقد رأيت معه أمير البحر منطور . ألا كم كان يبدو منطور بهيا وقوراً رائعا ! تالله لقد خلته — بل أكبر ظنى أنه — أحد الآلهة ! وكيف لا يكون إلها وقد رأيته بعينى هاتين صباح أمس وهو قد أبحر إلى بيلوس قبيل ذلك ، فأنى عاد ؟ »

وفرغ نومون ، وعاد أدراجه إلى دار أبيه ، واستولى الذهول على الرجلين ، وكان العشاق قد فرغوا مما أخذوا فيه من لهو ولعب ، وجلسوا يستر يحون من التعب ، فيم شطرهم أنتينوس ، وهو يتمير من الغيظ ، و ينقدح الشرر من مقلتيه ، فقال :

« يا أرباب السماء ! أفيقوا أيها الرفاق ! عمل باهر ! باهر جداً ! لقد أبحر الفتى تلياك في عصبة من شهاب الملاحين ليؤلب عليكم العالمين ، و يرسل علينا حسبانا ! الويل له ! أعدوا لى مركباً وعشرين فارساً من أبسل صناديد كم لأفجأ ، بين أواذي ساموس و نُتُوء إيتا كا ، التاعس الذي ذهب يستر وح أخبار أبيه ليسعى إلى حتفه بظلفه » .

وتحيّمس الملاً وعلا هتافهم ، وهمولوا إلى الرحبة الداخلية في بيت أوديسيوس يتآمرون ، وكان على مقربة منهنم الأمين ميدون ، الذي

انطلق مدووه ينقل ما عقدوا خناصرهم عليه من إفك إلى الملكة الباكية المفقودة .. ينلوب – وما كاد يقص عليها ما اعترموه من قتل تليباك حتى تصعفعت وتخاذلت ومادت من تحتها الأرض ، وتحبّست أنفاسها هنيهة ، ثم سألت ميدون فيم أبحر ولدها . « ألكى ينقرض اسمه من صفحة الوجود ؟ » وأجابها الرجل : إنه ذهب يتسمّع الأنباء عن أبيه . ثم ذهب لطنيته ، وجلست الملكة المرزاة لدى الوصيد تبكى وتنتحب ، ومن حولها الغيد الرعابيب والعجوز الشمطاء من خادمات القصر ، يُعولن و يكفكفن

قالت الملكة: « و يح لى أيها العدارى! أبداً ما أحسب واحدة من النساء قد لقيت معض الذى لقيت مما كتبته على السهاء! لقد فقدت زوجى ، أسد هيلاس ، الـ كريم أوديسيوس ، الأمير الحُلاحل ، رجل الفصائل والمروءات ؛ ثم لم يبق إلا أن يرحل عنى ولدي ... دون أن أعلم أمر رحيله من إحداكن ، فكنت أحول بينه وبين ما اعتزم ولو أديت عمنا لذلك روحى! ولـ كن .. هيا .. لتمض دليون — خادمتى الوفية ذات العجاريب — إلى ليرتيس — ملتحدثه عما تآمر الذئاب . وي الم يبق إلا أن يقتلوا ولدى وسليل أوديسيوس ! » .

ومهصت يوريكليا مرضع تليهاك، تنثر دموعها وتقول:

« وا أسفاه على أيتها الملكة! سأعترف بماكان ولك أن تَقْتُليني ··
أو تبقى على ! لقد زودت الأمير بكل ما أمر من زاد وخر، وأخذ على
موثقاً ألا أجرح بسره حتى تمضى إثنا عشر يوماً بتهامها ··· حتى أنت

يامولاتي إلقد أمرني ألا أعلمك بشيء ، فاهدني بامولاتي ولا تضاعني أحزان القصر بحزن جديد ، وامضى إلى مخدعك فاستر يحى ثمة ، ولنصل جميعاً لربة العدالة مينروا — باللا الطيبة — أن تصون مولاى الأمير وترعاه ، وتكلأه من كل خطر وليعد إلى عرب آنائه ليحكم و يعدل و يد ترشؤ ون الملاد .

ورقاً الدمع فى عيون الحاشية ، ونهضت پناوپ فصعدت إلى الطابق العلوى ، وأمرت بسلة من الكعك فنفحت العذارى قرباناً لمينرفا وتقدمة ، ثم أرسلت هذه الصلة :

« إسمى يا ابنة سيد الاولمپ! يا مينرفا العادلة! باسم ما ذمح لك أود يسيوس فى هذا القصر وما ضحى نضرع إليك ونتوسل بك ونصلى لك ، أن تصوبى ابنه الأمير وأن ترسلى عبوسة من شواظ غضبك على أعدائه ، أولئك الأضياف الظالمين ، آمين » .

وانهمرت الدموع من عيني الملكة فاستجابت مينرفا صلاتها . ثم علا ضجيج القوم وارتفع صخبهم ، وكان فيهم ساب نزق التائت في أذنيه صلاة پناوب فحسبها أشرفت تناغى وتغازل ، فراح يعرض بها في كلات قوارص ، قطعها عليه أنتينوس بتحذيره القوم ، ونصيحته لهم أن يستعينوا على حزم أحرهم بالكتبان .

وتخير أنتينوس عشرين من خيرة رجاله ، و يم بهم شطر البحر ، ثم ركبوا فى سفيمة أعدت لما اعتزموه من تلصص وقر صنة وفتله إعداداً كافياً فنقلت إليها الأسلحة ، و حملت إليها أحمال الزاد والدخيرة ...

و أقلمت ، لا باسم الآلهة مجراها . . ولا سلكت سبيل الرشاد .

公 谷 谷

واضطجعت بناوس فى فراش َحشوه فكر وهم ، وجاشت فى قلبها الوساوس ، وطفقت الأوهام تفتك برأسها القلق الحيران بسبب ولدها ، وما دبر له المكلاب وما كادوا . مسكين أيها الأسد ! لولا قوتك وجبروتك ما أكثر صائدوك حولك الأحابيل .

وأخذتها سنة من النوم ، فأقبلت مينرفا المكريمة في رؤيا عجيبة تواسيها وتذهب عنها طائف الحكرين ، فتزيّت بزى الأميرة المفتسان ، إفتيا ، ابنة البطل المكبير إيكاريوس ، ثم وقفت عند رأسها ، وشرعت توسل هذه الأحلام :

أهكذا تنامين ملء عينيك الجمديلتين ياپناوب العزيزة ؟ ليفرخ وعلك ، وليصف بالك ، فالسماء برعى ولدك ، وهو عائد إليك عما قريب! إنه لم يقترف شيئًا بما يغضب الآلهة ، ولذا فهى تكلؤه وترعاه وتحفظه ، فقرى عينًا واسلمى وانعمى! » .

وتقول پىلوپ إِذ هى تحلم :

« من ؟ إفتيا ؟ عجباً ! فيم قدمت يا أختاه وقد ندر ما كنت تلمين بهذا القصر ؛ ألتواسيني وتسليني ؟ لقد تكاثرت الأحزان على قلبي ، وتكسرت النصال على النصال ... لقد فقدت زوجي ... أسد هيلاس وغر آرجوس ، وعزى الأبدى ! ثم ها أناذى انتفض فرقاً على ولدى ... ولدى الطرى آلفينسان ، الذي لا قدرة له ولا احتمال ... في هذا البحر

اللجى ... لقد أقلعت به سفينة كأنها تسبح فى بحر من دمى وأحزانى ا وها قد تعقبه الأشرار فى سفينة أخرى يريدون غيلته قبل أن يرتد إلى وطنه ! » .

وتجيبها مينرقا: « لا عليك ياملكة ، ولا عليه هو الآخر! إن معه راعياً بحفظه ويوقيه . . . راعياً يتمنى الجيع أن يكونوا فى رعايته أبداً . . . مينرڤا! إمها أيضاً تبشرك وترفه عنك ، وأنا هنا رسولها إليك ، أقبلت بأمرها أواسيك! »

وهلمت پناوب ثم قالت: « وَى ا أما إنك إذن لرَبة وقد كلمتك الأرباب ... ألا تقصى على "إذن ما كان من أمر رجُلى ؛ ألا يزال حياً مرزق الم أم تخطفته يد المنون ؟ »

وتضاحك الشبيح العابس فقال : « لا ! ليس الآن ؟ ان أذكر لك إذاكان رجلك لا يزال حياً أو إنه قد قضى ، مالنا ولذلك ؟ ي

شم رفت في ظلام الغرفة ، وصعدت في سماء الأحلام .

ونهضت الأم وقد سرى عنها بهذا الحلم ، وأمجاب كابوس الهم الذى كان يجثم على قلبها .

* * *

وأقلع العشاق بفلكهم فى اليم المضطرب، كل تحدثه نفسه بمقتل تليهاخوس، حتى كانوا عند برزخ أستربس، بين ساموس وإيثاكا... فأرسوا ثمة يتربصون.

أوديسيوس يبحر من جزيرة كاليبسو

هبت أورورا من فراش زوجها الدافئ الحبيب (تيتون) فنشرت في المشرقين غلالة سنية من فيص ضوئها ، بينها كان مجلس الآلهة منعقدا في ذروة أولمب ، وقد استوى زيوس على عرشب ، ومينرفا ... ربة الحكمة والموعظة الحسنة ، قائمة بين يديه ، تحصى آلام أوديسيوس ، وتبث أشجانه وتصور للآلهة صنوف العذاب التي يتجرع غصصها وحده في هذه الجزيرة النائية السحيقة ، فتقول :

« أنتاه ! ياسيد أرباب أولمب ! جوف ي ! إصغ إلى ! وأنتم يا آلهة الخلود! أعيروني انتباهة واحــدة منكم، فإنها حسبي ا إلى أين تصير الأمور إذن ؟ هاكم قد أصبيح أمر الناس ووضى ... والعاماة يعيشون في الأرض مفسلدين ، وكا نما أغمضتم أعينكم عن خيارهم ، ولم يضركم ألا تكفوا أشرارهم ، فنسيتم الرجل الصالح أوديسيوس الذي طالما منحكم محبته ، والذي بذل لشعبه مهجته ... يثوى اليوم في تلك الجزيرة الموحشة يجتر همومه ، ويبعثر في صفحة السراب آماله ، ... كلاًّ على كاليسو عروس الماء . . لا يملك سفينة فيقلع إلى الوطن ، ولا يجد قلباً إلى جانبه فيبثه حزنه ويشتركي إليه لأواءه ... وكائما لم يكن بحسبه بعض ذلك ، بل تسلط عليه الأقدار القاسية عصبة من الأعداء الألداء يتر بصون بابده الشر، وينتوون غيلته، إذ هو عائد من أقصى الأرض. من أسيرطة و بيلوس بعد رحلة ممهكة باكية ، قام بها يتنسم خبراً عن أبيه ، يشفى ف قلبه غلة ، و يبرئ في نفسه كلوماً »

و يجيمها رب السحاب الثقال :

« أية كلة هائلة انفرجت عنها شفتاك يا ابنتي ؟ ألست تتشوفين إلى عودة أوديسيوس سالماً آمناً فيبطش بكل أعدائه ؟ إطمئني إذن ، ولتحرسي ولده تلياخوس حتى يصل سالماً آمنا هو الآحر إلى أرض الوطن ، ولْيَنُو أعداؤه بالفشل »

شم توجه بالخطاب إلى ولده هرمن ، رسول الآلهة ، فقال :

« هرمز! هلم يا بني إلى عروس الماء الشقراء كاليبسو برسالاتي ؟ مرها أن ترسل أوديسيوس على رمث (١) وحده ، لا أنيس له من إنس ولا آلهة ، فليلق الأهوال الطوال حتى يصل إلى شيريه أرض-الفيشيين ، ماولتُ البحار وأصهار الآلهة ، فليزودوه بسفينة وزاد وذخيرة من أحمال من ذهب وديباج ، و بكل ما تشتهي نفسه مما يفوق نصيبه الذي حصل عليه من أسلاب إلبوم ، لو عاد به غير منقوص إلى أرض الوطن ، تم ليبحر سالمًا إلى إيثاكا ... بذا قصت المقادير أن يؤوب ... وأن يستعيد سلطانه وصولجانه ، وملكه و إيوانه ؛ ويلقى بعد طول النأى خلانه » . وأصلح رسول الآلهة الأمين ، هرمز ، نعليه الذهبيتين ، فخفتا به كالريح فوق السحاب وفي يمناه عصاه السحرية العجيبة التي إن شاء داعب بها الجفون فأغفت ، و إن شاء ردها إلى الصحو واليقظة ، وما فتي " يرف بين السماء والماء ، ويدوِّم فىذاك الفضاء كالغرنوق(٢) الذى يتواثب على أعراف الموج يصيد ما يقتات به ، حتى كان فوق تلك الجزيرة

⁽١) خشب بضم إلى بعصه ويركب في البحر Raft

⁽۲) نورن طنبور و بوزن وردوس طائر مائی (الغطاس) .

المنعزلة عن جميع العالم . ثم ما برح يُرنَقُ هنا ويرنق هناك حتى اهتدى إلى ذلك الكهف السحيق الذي تأوى إليه عروس الماء الشقراء ذات الشعر الكهرماني وقد جلست عمة تغرد وتغنى وتعمل دائبة في منسج أمامها ، ويداها تتلقفان الوشيعة (١) الذهبية كما يخطف البرق! والنار تتأجيج في الموقد بقربها وتتوهج ، وجمر الأرز والصندل يعبق ويتأرج ، و يملأ نَشْرُه أركان الجزيرة وفجاجها . . وقد بسقت أشجار الحور والسنديان عبد مدخل الكهف فغشته بظلال رائعة ، وظلمة رهيبة ؛ وصنعت جوارح الطير أوكاراً لها في الدوح الذاهب في السماء ، ووَكَنَت (٢) الحدأة بيضها، وقر الغداف (٢) جنب صغاره، وطِفقت البومة ترسل في الآفاق صهيرها ، وتناثرت فوق الشاطئ أفاحيص الطير من كل وع ؛ وامتدت الكروم عن يمين الكهف وعن شماله مثقلة بالعناقيد ذوات السَّكر؟ وتدفقت جداول أربعة عن عيون كوثرية تسقى السندس الجميل المنضر بأفواف الورد والبنفسج ... منظر عجب ، وأى منظر محب يبعث البهجة والانشراح حتى في قلوب سكان السماء!

ووقف هرمز يمتع ناظريه بسيحر هذه الجنة ثم دلف إلى السكهف ، ولم يكن يسيراً على عروس الماء أن تعرف من هو ، وأى إله خالد طرق بابها ، ولو أنها هي أيضاً فرد من أسرة الخالدين ... ذلك لأن سكان السماء يكونون مثلنا أحياناً ، لا يعرف أحدهم جميع الآخرين ، لبعد الشقة ، ونأى الدار ، وانقطاع المزار ... ، ... وأرسل عينيه في كل شق من

⁽١) المكوك.

⁽٢) رقدت عليه . (٣) الداف بغم الدين غماب القيظ .

شقوق السكهف ، بيد أنه لم يقف لأوديسيوس على أثر... فانتنى ، و يمم نحو الشاطئ واستوى على صخر عظيم ناتى ، وشرع ينثر من عينيه الدموع الغوالى ، يطنى بها فى القلب سعيراً سرمدياً يلازمه أبد الدهم ... وكأنما عرفت كاليسو من هذه الآية أنه هرمز ، فراحت تسائله ، إذ هى مستوية على عرشها الممرد العظيم :

« هروز! يا صاحب العصا السحرية ، يا من طالما أحببته و بجلته ، حدثنى فيم أقبلت ، وقد ندر ما قدمت إلى هنا . هلم فقل . سل حاجتك فسأقضيها إن تمكن في وسعى ... ولكن هلم أولا ولُتُؤد لك صراسم القرى وواجبات الضيافة ... هلم ! »

ومدت عروس الماء سماطاً حافلا بأشهى ألوان الطعام وصنوف الشراب ، وأقبل هرمز فاغتذى وروى من هذه المائدة القدسية ، ثم توجه بالسكلام فقال : « إتسألين أيتها الربة فيم أقدمت ! ألا فاعلمى أننى ما أقدمت عن أمرى ، لكنه أبى ، سيد الأولمب وكبير الآلهة ، هوالذى أرسلنى . إذ أية حاجة لإله فى هذه القطعة المنعرلة من الأرض ، يحيط بها الملح من كل مكان حيث لا عباد ولا خلق يؤتون الزكاة ، ويقيمون المسلاة ، ولا أثر لعبادة زيوس العظيم ! إنه جل جلاله ، يقول إنك الصلاة ، ولا أتمس مخلوقاته ، البطل الكبير الدى نرح عن بلاده إلى اليوم فقضي ثمة تسع سنين ثم أبحر عنها بعد سقوطها فى العاشرة مع محاربي هيلاس الذين تعرقوا فى البحر شذر مذر ، هنهم من غرق ومنهم من قتل ، ومنهم من وصل إلى بلاده … فقد هلك كل رجاله ، وقذفه ومنهم من وصل إلى بلاده … إلا إياه … فقد هلك كل رجاله ، وقذفه ومنهم من وصل إلى بلاده … إلا إياه … فقد هلك كل رجاله ، وقذفه

المحر ووق جريرتك الماثية ... چوف يأمرك أن ترديه ، وفي كتاب المقادير أنه لا يهلك هنا ... بل يعود إلى بلاده و يلقى فيها آله » .

وزُلزات كاليسو زلزالا وقالت نجيبه : « ها ... الظلم والحسد دائماً ... هذا دأ بكم يا آلهة ... كم تأكل قلو بكم الغيّرة كلما ضمت ربة إلى ذراعيها أحد بني الوتي ! وهل نسيتم يوم ثرتم عند ما علقت ديانة دات الأصابع الوردية هذا الفتى الجميل أوريون، وكيف دبت الغيرة فى قلب آ پوللو ديكر هذا المـكر السيئ ، ودىر قتل الفتى بيدى حبيبته ديانا ا ؟^(١) هل نسيتم أيصا كيف أرسل أنوكم چوف إحدى صواعقه على آياسيون المسكين لأن سيرس ربة الربيع قد هويته وأخدته بين ذراعيها حين شغفها حبا؟ ا كذلك أنتم معى اليوم ، وكذلك أنتم عيورون دائما ، فما أقساكم إذ تنعسون عَلَى حبيبي ؟ ! لقد أنقذته بهمسى من هذا اليم الذي التقم سمينته بمن ميها حين شطرها أنوكم بسهمه في عمثة من عبثاته ! حبيبي الذي أهواه من أعماق وأفتديه بروحي ، والذي أمهد له حياة الخلود ... واكن ... وا أسفاه ! كيف أطرده من عندى ؟ ويحى ! إن تَكُن هَذَه مشيئة زيوس فلأحدثن أوديسيوس ليرى لمفسه ، إذ ليس عندى مركب يأمن فيه غائلة هـ ذا البحر المضطرب ، و إبى ناصحة له ، .. »

⁽۱) راجم الأوديسة التي بأيدينا مبهمة في السكلام عن هده الأسطورة لذلك اضطررنا أن نتصرف قليلا اعتماداً على شرح الأستاد جرير — وحلاصتها أن أيوللو علم بما بين أخته ديانا وأوريون من عشق فاستدرج ديانا وأخذ يباريها في الرماية — وكان أوريون يستحم في البحر فجعلها تصوب سممها إلى رأسه وهي لا تدري فقتلنه .

وكلمها همامز فأنذرها من عضبة سيّد الأولمب وحضها أن تعمل على إبحار البطل.

* * *

ورف هرمز الرسول في لازورد السهاء ، والطلقت عروس الماء تدحث في الجزيرة عن أوديسيوس ، حتى لقيته فوق صخرة ساهماً واجماً ، تَمْرى قَلْبَهُ الهواجس ، وبعث به محال الأمابي ، وقد انهمرت فوق حديه عَبرات حرار ، واللحظات نذبل فتسقط من حياته في ظلام اليأس كأوراق الخريف ، وقد مل هذ اللقام الطويل البائس في جوارع، وسالماءالتي كانت تخلع عليه حبها البارد ، وتقسره على أن يقضى لياليه بجانبها على فراش واحد في ذلك الدكهف السحيق . وكلا فكر في وطنه ، ونظر إلى الموج في ذلك الدكهف السحيق . وكلا فكر في وطنه ، ونظر إلى الموج المتواثب في أفق اليم ، وعرف أن لا قدرة له عليه ... بكي وأن ، وتوجع وتصدع ، وأرسل في لا نهاية الماء والسهاء آهات وآهات ... » .

واقتر بت منه عروس الماء في رفق وَحَدَب ، وقالت له : ،

«أيها النعس لا تنتحب هكذا ، ولا تصهر حياتك الغالية في تنور من الآلام ، هلم ... هيا إلى عمل مجيد ... أمامك الدوح العظيم والأيك الذاهب فاقطع منه ما شئت واصنع لنعسك رَمَثاً يحملك فوق هذا العبال المتلاطم . وسأز و دك بكل ما يكفيك من طعام وشراب ؛ وسأمدك . بأثواب جديدة تقيك الحر والبرد ، وسأسخر لك الربح تُهدهدك إلى بلدك بأثواب جديدة تقيك الحر والبرد ، وسأسخر لك الربح تُهدهدك إلى بلدك البعيد ... هذا قضاء من آلهة السهاء التي تقدر فتعدل ، وتقضي فلا برد لها البعيد ... هذا قضاء من آلهة السهاء التي تقدر فتعدل ، وتقضي فلا برد لها قضاء ... »

وتفزَّع أوديسيوس لهذه المهاجأة ثم عال : « أوه يا عموس ! بل فى الأمر سر تحاولين إخفاءه عنى · · أى رَمَث يحملنى فى ذلك البحر اللجى وأى ريح تُسَخِّر بن من أجلى ؟ وإن السفينة العظيمة لتمخر عبابه وهى لا تدرى أتسلم أم يكون أهلها من المغرقين ؟ لا · · · لن أفعل حتى تعطينى موثقك ، وحتي تقسمى القسم العظيم ، ألك لا تبطنين لى شراً ولا أذى ! » .

وتبسمت الربة الهيفاء ، وراحت تربت على خديه وهي تقول :

« و يحك اكيف تسىء بي الطن با أوديسيوس ؟ أية حجة تملاً بها يديك على ما قلت ؟ ولكن اصغ إلى … أقسم لك بقسم الآلهـة فى الأرض والسهاء والدار الآخرة … بالقسم العظيم الذي يقشعر لذكره كل شيء … إنى لم أضمر لك فيا عرضت عليك شراً ولا أذى … إن الذي تبكى من أجله ، أبكى أنا أضعاف ما تبكي من مثله ، فلقد كنت ضرورة من ضرورات حياتى هنا ، ولقد عَلِق بك قلبى ، وهامت بحبك نفسى ، وليس قلى من صخر فيحتمل البعد عنك بَـلُه الإضرار بك » .

وانطلقا سويا إلى السكهف ، وجلس أوديسيوس فوق المتكا الذى كان يجلس عليه هروز منذ هنيهة ، ثم أفبل جوارى المساء يحملن شيئاً كثيراً من اللحم والشراب فأكلا ورويا ؛ ثم شرعت كاليبسو تحدثه وتقول :

أهكذا يا ابن ليرتيس العليم ، أيها الحكيم الصناع ، لا تفتأ تحن إلى وطنك وتعتزم الرحيل إليه ؟ أنا عذيرك يا أوديسيوس ... فوداعاً!

ولـكن هل فـكرت أيها الرجل فى الأهوال الجسام التى تخرط قتادها قبل أن تصل إلى بلادك ؟ أليس حيراً لك أن تظل إلى جانبى ، وتقاسمنى كمهنى ، فتصبح من الخالدين .. وتنسى هذا الجال الفانى الذى لا ينفك يصبيك و يسبيك ، والذى أحسب جمالى وفتنتى لا يقلان عنه سحراً إن لم يزيدا عليه فتوناً ؟! »

فيجيبها أوديسيوس الحكيم. أيتها الربة المخوفة! هو في من حفيظتك! فأنا أعلم أن ينلوبي العزيزة لا تزن من جمالك وفتونك مثقالا، لأنها هاا كمة ، ولأنك من الخالدين. بيد أن الذي يصبيني هو وطني وطني الحبيب الذي أحن إليه وأهيم به ، وفي سبيل العودة إليه لن يخيفني هذا اللج المتلاطم ، فلقد بلوت الأعاصير في البر والبحر ؛ في خبار المعمعة ؛ وفي الفلك بحت كلكل الزوبعة ... إلى ، إلى يا خطوف ، وأقدمي بكل حولك يا رزايا ... »

* * *

وتوارت الشمس بالحجاب ، وأرخى الليل سدوله فوق الجزيرة ، ونامت الربة فى سريرها الوثير ، وبين ذراعيها حبيبها تشمه وتضمه ، وتحسه وتلثمه ... حتى إذا نضرت بالورد أورورا جبين المشرق ، هب الإلفان وتلثرا ؛ هذا بثو به الخشن ، وتلك بشفوفها الرقيقة الثلجية الناصعة ، التى كأنما نسجت من نسمات الصباح العطرى ، وراحت تخطر فينانة ريانة ، وقد اتشحت حول وسطها النحيل بقرطق (١) جميل، وألقت على رأسها بخار صفيق رقيق ؛ وقدمت إليه فأساً ذات حدين أحدها كالساطور ، ركبت

⁽١) المرطق بصم قاف وفتح طاء نوب يشتمل به .

فيها يد من حسب الزيتون المتين ، ثم إرميلا حاداً مرهماً . وسارت بين يديه حتى كانا عبد عامة عظيمة تُخْرِف ، لاحمة شاحبة ، بسقت فيها أشجار الحور والسنديان والشربين (١) ، وتركته ثمة ، وعادت أدراجها إلى كهمها ...

ولم يهدأ للمطل المسكين بال ، بل شرع من فوره يقطع كل أيكة عظيمة حتى اجتث عشرين من أكبر دوح الغابة . . مم أقمات كاليبسو وقد حملت إليه آلات ساعدته على تشذيب الشجر ، واستطاع بعد لأى أن يضم بعض الجذوع إلى بعص ثم كابها مكلابات كبار ، وأفرع فى وسط الرمث له ولما يحمل مكافاً أميناً ، كأحسن ما يصنع السهاسون . ودعم ذلك جميماً بألواح ودسر ، وصنع قلماً وجمل فى القلع شراعاً ، مم سوى السكان مكانه ، وجمل فى الباطن صبارة (٢) كبيرة تقى الرمث الانقلاب ، ولم ينس أن يجدل جوانبه بفروع وأغصان تزيد فى قوته وتضاعف من مُنته . وأتم صنع مركبه فى أر بعة أيام ، وأنزله إلى البحر فى الحامس ؛ ئم أدخلته عروس الماء حمامها فغسلته وضمخته بالطيوب والعطور ، وخلعت عليه من ديباج ثمين ، وزودته بزقين من خروماء ، وأمدته بشيء كثير من طعام وأثواب .

وودع عروس الماء الحجزونة ؛ وجلس عند السكان ، ثم دفع الرمث في البحر ، وابتعد رويداً رويداً .

⁽١) Fir ولم نحد لهذه الهفطة أثراً في اقسان والعاموس .

 ⁽٢) أو صبرة قطعة حجر كبيرة يتزن بها المركب في النحر وتسمي في مصر
 (صابورة) .

وكان قلمه يفيض بالمشر، وصدره يمتلى، بالانشراح ... وظل يجرى به العلك الصعير سبعة عشر يوماً ، وعيناه في كل ليلي ما تريمان عن الثريا في علياء السهاء ، وما تفتران تنظران إلى مجوم الدب الأكبر التي تقف للجبار (١) ما لمرصاد ، كما علمته عروس الماء قبل أن يعرس ، أن يجعل هذا الدجم إلى شماله أبداً

نم بدت جبال فيكشيا الشم كأنها دروع مسرودة فوق صدر الأرض الشاحبة ولكن الوائسة الشاحبة ولكن الوائسة الشاء الشاحبة والكن الحبار المتيون ثانياً عنامه من سوليما () ، فلمح أوديسيوس فوق رمشه يتوائب على هام الموج ، ويقترب من الشاطىء ، فينجو إلى الأمد من بطشه و ثارت فى نفس نبتيون - إلّه المحار ، وأعدى أعداء أوديسيوس - ثورة من الغضب ، وظل يعلك هذه المحار ، وأعدى أغداء أوديسيوس - ثورة من الغضب ، وظل يعلك هذه المحكات فى نفسه من فوق بطاح إثيو ميا ()

« وى ! أو قد تبدلت مقادير الآلهة إذن ، وتحركت فيهم عواطف الحنان من أجل هسدذا الرجل أوديسيوس ، فقضوا فيه ما قضوا لأنهم يسكنون السهاء ، ولم يبالوا بي لأنى أسكن الأرض فى إنيو بيا ؟ إنه يرى شاطىء فيشيا قيد وثبات منه وهو إذا قفز إليه أصبح بنجوة من هموم تترصده فى كل موجة من موجات هذا اليم سوط عذاب قبل أن يصل إلى البر سى ...

⁽١) الجوزاء Orion

⁽٢) إحدى مقاطعات آسيا الصغرى وكانت تدعى بيسيدا

⁽٣) مكدا في الأصل

نم إنه لاعب السحاب بصولجانه ذي الشعب الثلاث فانعقدت منه ظلمات في أرجاء السماء ، وطفق يهز أعماق البحر فهاج وماج ، وتلاطم بالأمواح ، وصاح صبيحة برياح المشرقين ورياح المفر بين فاجتمعت إليه من كل مكان سحيق … ثم هبت ربح الشال الثنجية اللافحة فانطفأ لألاء النهار ، وأظلم الليل فجأة ، وطغى العباب وشابت نواصيه بالثبج ، وتناوح الموج الغضوب حول الرمث ، وهلم فؤاد أوديسيوس وأصبح قلبه فارغاً ، وطاشت أحلامه وذابت أمانيه العِذاب ، وراح يحدث نمسه هكذا : « يا لتعاستي! أي مقدار قاس يترصدني ؟ لقد أنذرتني ربة الماء معبّة هذه الرحلة الهوجاء في البحر هما صدقتها ، وتنبأت عن الشدائد التي تعتور طريقي إلى الوطن ، فها هي ذي تتحقق! أية أعاصير هُوج وأي موج ينتفض من الأعماق قد سلطه حوڤ على هذا البحر! بعد لحظة أغوص في ظلمة هذه القبور التي يَشْقَق عنها الموج! ألا ليتبي مت قبل هذا وكنت نسياً تحت أسوار إليوم ، يوم أوشكت أن أقضى ثلاثًا في سبيل إنقاذ الأثر يدس(١) أو يوم أوشكت أن أصرع برماح الطرواديين إفخ أدفع جموعهم عن جثة أخيل!! أجل! لو أنني مت ثمة لأقيمت من أجلي الطقوس الجنائزية ، وأديت لى الشعائر الدينية ، وذرف فوق قبرى كل يونانى أغلى دموعه وأعن عبراته . وتفاديت هذه الموتة المجهولة التي تكاد تلتقمني ! » .

ثم كانت الطامة · · فإن موجة كالطود فجأته · · · فبعثرت الرمث · · · وأفلت مقبص السكان من يدى أوديسيوس ، قانتثر في اللجة ، ثم غاص

⁽١) هو بيت أحامنون

فىأعماقها ، وعبثاً حاول أن يطفو · · لأن الرياح تكالبت عليه من كل مكان، وكلا نجا من موجة فغرت له فاها أخري ... ثم حدثت المعجزة ... فقد وسعه بعد لأى و بعد عناء شديد أن يدفع نفسه دومة اليأس إلى السطح ، وأن يملأ رئتيه المنهوكتين بتنفسة من الهواء كانت تمتزج بالمـــاء الأجاج المتصبب من جبينه ، حتى لأوشك أن يغص مها ... لولا أن اطفت به الصدفة ، فرأى الرمث قريباً منه ، وقد انتزعت العاصفة قلاعه وشراعه ، فسبيح إليه وأمسك به ، ثم استوى عليه ، وتركه للموج تلعببه واحدة وتعبث يه أخرى ، وتجتمع عليه الرياح عن شماله ويمينه ، ومن خلفه وقدامه ، حتى قَيَّضَ له القدر عروس الماء (إينو) إبنة قدموس ، التي كانت تعيش في البر وتعرف فيه بهدا الاسم ، والتي تخذت اسم (ليوكوتيا) بعد أن نزلت إلى البحر وعلقها أحد الآلهة فوهبها الخلود . لقد تفجرت فى قلبها شآبيب الرحمة من أجل أوديسيوس لما رأته فى هذا الروع الذى ليس كثله روع ، فسحرت نفسها ، ووثبت على الرمث في صورة غطاس الماء ، شم قالت له : « و يحك أيها البائس ! فيم أثرت غضبة نيتيون عليكِ حتى ليتبعك سَرَبا في شعاب البحر، ويصب عليك كل تلك الرزايا ٣٠٠٠ على أنني أنصح لك أن تدع هذا الرمث ، تتدافعه الرياح حيث تشاء ، ثم تخلع ملابسك ، وتقفز في الماء ، وتسبح بقوة وجلد حتى تصل إلى شطئان فيشيا ، حيث تسلم بنمسك ، وتكون بمأمن من بطش هذا الجبار . خذ ؛ هاك ز ناراً (١) من حرير من حياكة السهاء ، أُمَّة تحت صدرك ، فإنه يجعلك بمأمن حتى من مجرد التفكير في الموت ، فإذا وصلت سالما إلى الشاطيء

⁽١) الرنار ما يلاسه القسس حول أوساطهم

فارمه بكل ما أوتيت من قوة بعيْداً في المحر ، وأدر وجهك بمجرد أن تفعل ، بشرط ألا تنظر إليه وهو يسقط في الماء » .

وسلمت إليه الزيار الموعود ، ثم غاصت في الماء ، و بقي أوديسيوس مكانه في حيرة شديدة وحزن عميق ؛ ثم أفاق من غشيته ، وجعل يهرف هكذا : «أوه ! ترى ؟ أذاك شرك آحر تدبره الآلهة لى ؟ ولسكن لا .. لن أسرح مقيا فوق الرمث ، فالبر بعيد ، ولأظل مكانى ما دامت الجذوع مكلمة هكذا ، فإذا حطمتها يد الحدثان فلأفعلن كما أشار الإله الذي كان يكلمنى منذ لحطة ... » . وما كاد يفرغ حتى أرسل عليه نبتيون موجة جارفة حطمت رمثه ، وتركته عالقاً بأحد الألواح ... وأسرع أوديسيوس فلع الرداء الجميل الديباجي الذي خلعته عليه كاليبسو ، ولف الزنار الموعود حول صدره ، وقذف بنفسه في الماء ... وراح يسبح !

وكان نبتيون الجباريرى بعينيه ، ويشفى حَرْدَه ، ويقول فى نفسه : « ذُق يا أوديسيوس وبال أمرك فى هذا الطوفان ، قبل أن تصل حبالك بحبال الشعب الذى هو حبيب الآلهة ، وسترى ثمة هل تنتهى آلامك! » وحث مطيه حتى وصل (إيجه) حيث يشرف قصره المنيف .

* # #

وكانت مينرڤا تشهد الكفاح الهائل بين أوديسيوس و بين اليم ، فاطلعت من عليائها ، وداعبت الرياح حتى استنامت وونت ، ثم أطلقت بوريس ، ريح الصبا الشمالي السكريم فجري (١) رخاء ، يدفع أمامه البطل

⁽۱) الضمير عائد على بوريس وهو مذكر

العظيم الذى ظل يناضل الموت ويصرعه يومين أطول من دهر ، وليلتين أحلك من غيابة جب ، حتى إذا غالت أورورا فى اليوم الثالث ، استطاع أن يرى الشاطىء على مرمى البصر ، فوق موجة عالية .

ما أحلى الأمل الذي يحيا بعد يأس ؛ لقد كان أوديسيوس ينظر إلى التلال والجبال القريبة ، والغالة النائمة في أحيادها ، كما ينظر الأطفال الأبرار إلى أب لهم أنهكته العلة من تماثل للشفاء بعد تسليم وقنوط ! وتحسس الأرض بقدميه من ولكن وا أسفا ! الأعماق الهائلة ! والصخور والأواذي ! والموج الذي يرتطم بأقدام الجبال فيرغى و بزيد من ! لم يكن بهذه الجهة مرفأ ، ولم تكن تجوس خلالها سفن من والقد ظل أود بسيوس يكافح و يكافح من حتى غم على قلبه ، وكاد يتفشاه طائف من الخور ، بعد أمل وطيد إ

وجاشت الوساوس في قلبه ، وطفق يحدث نفسه حديث الْهُلك في هذه اللجة الرجراح ···

وكان أخوف ما يخشاه أن يدفعه الموج على نتوء الصخر فيحطمه ، أو أن تلمحه أمفتريت ، زوج نشيون عدوه اللدود ، إلّه البحر ، فتسلط عليه من وحش الماء ما يلقفه ، أو يقذف به إلى أعق الأعماق ... كرة أخرى .

و بينا هو فى بحرين من ماء ومن هواجس ، إذا موجة هائلة يضطرب بها اليم فتدفعه فى قوة وعنف إلى الشاطىء ذى النتوء والنؤى فتكاد تدق عنقه ، وتذرو عظامه ، لولا أن قبض بذراعيه الجبارتين على حافة

صخرة بارزة ... فظل معلقا ثمة حتى أقبل جبل آحر من موج البحر فاحتمله إلى الأعماق كأنه أحد سراطين الماء ... وجاهد المسكين نانية وثالثة حتى تدافع الموج من حلفه فقذفه فى مسيل من مسايل الماء المنتشرة على الشاطىء ، وعندها ، ظن أوديسيوس أنه بنجوة لولا تيار النهر الذى كاد يسلمه بدوره المحيط ، مما جعله يضرع لرب النهر و يبتهل ... و يدعو من أعماق قلبه و يصلى ، حتى استجاب الرب الرحيم لصلاته ، فكسر حدة التيار ، وفَل من غرب الماء ، واستطاع البائس المنهوك أن يصل إلى إحدى العدوتين واهياً متهالكا محطا ... فانطرح على الثرى يقبله ... ويلهث و يقول :

« و يح نفسى ماذا تبتغين يا آلام! لقد أقبل الليل وأناءَ بِيُ مصدع ، ولا قِبَلَ لهذه البقية من حشاشتى بطل العشاة وصقيع الفجر ... فلو أننى استطعت أن أتسلق هـذا الحدور فألوذ بأجمة من هذه الغامة! ولـكن اوكن الى وحش ضار يغتذى بلحمى عمة ؟ » .

تيد أنه توقل في الجبل حتى أوشك أن يضرب في الغامة ؟ ثم كان بين زيتونتين إحداهما مثمرة ، والأخرى عقيم ؟ كل منهما لمّاء شجراء حتى لا تنفذ الريح بينهما ، ولا تنسرق أشعة الشمس خلالها ، ولا المناء بواصل إلى من استذرى بهما .

هنا … وجد أوديسيوس مأمنه ؟ . . وراح يمهد الأرض ، وياه لم ما استطاع من قش و يحتطب ، حتى صنع لنفسه منامة تكفى اثنين غيره ، من الضار بين المشردين في الأرض ، ودعم حفافيها بفروع الشجر … ثم أسلم عينيه لنوم هادىء عميق ، سكبته مينرفا فى كلتا مقلتيه . فلله ما كان أروعه غارًا فى هذا السفط من القش ، كشعلة من زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يعتزبها ريني شاب فى قرار مكين (١).

* * *

نام أوديسيوس منهوك القوى .

وذهبت مينرقا تدبر له أمراً في شيريا ، بلد السلالة ذوى المجد من أبناء فياشيا — ملوك البحر الذين فروا من وجه جيرانهم الجبابرة السيكاويس — في العصر الحالى ، ونزلوا بهذا البلد ، فشادوا حصونه ، وأقاموا أسواره وتوزعوا أرضه المخصبه ، وأسكنوا الدور والقصور ، وأنشأوا المعابد للآلهة عمافاناً وشكراناً .

وقضى ملكهم وزعيمهم نوزيتوس ··· ثم استوى على العرش من بعده ألكينوس ، حبيب الآلهة ، وصفى السماء .

* * *

كانت الأميرة الحسناء ، لوزيكا ، ابنة ألكينوس الملك ؛ تفط كالملاك في نوم عميق بين وصيفتين رائعتين من وصيفاتها ، فوق سرير وثير في مخدعها الملكي الفاخر .

وكان رتاج الباب محكماكاً نه وتاج باب الجنة ، ولكن ذلك لم يقف بسبيل ربة الحكمة مينرڤا ، التي خطرت إلى الداخل كنسمة نادية من نسمات الصباح ، ووقفت لدى رأس ابنة الملك تزخرف لها هذا الحلم الفضى

⁽١) كانت النار في ارمن القديم أغلى ما يمتز به الناس.

الجيل ، وكا ما تبدوا لها في المنام في صورة صديقتها وأعن أترابها ابنة ديماس المكريم :

«نوزيكا! يا و يح لك أيتها الدؤوم المكسال! أهكذا تهمليب ملابسك وأنت موسكة أن تُزفى إلى عروسك، وعليها يتوقف مظهرك ومنظرك ورواؤك، ورواء حاسيتك ووصيفاتك؛ كا يتوقف علبها زهو أبويك بين الناس . انهضى مع الفكق (۱) فاذهبى بمطارفك إلى المغتسل عند ضفة النهر فاغسليها وأعديها ليوم زفافك ، يوم تودعين من حهذا الشباب الحالى . هلمي ! إنى سأعاونك ، أنت يا ساحرة ألباب شباب الهياشين ! سلى أباك أن يرسل لك عربة و بغالاً تحمل ثيابك ومطارفك إلى عُدُّوة النهرحيث لا شاهد ولا رقيب » .

والفتل مينرفا ذات العينين الزبرجديتين ، ورقن أساب السماء حتى كانت فوق ذروة أولمب ... حيث السكون والهدوء والصمت ، وحيث مستقر الآلهة ، وحيث لا تعصف رجح ولا يتلبد سحاب ولا تدمع عين مطر .. وحيث السماء لازوردية صافية إلى الأبد .

* * *

وخطرت أورورا فوق عرس المشرق ، وأرسلت من لدنها أميناً من رسل النور يداعب جَفْنى نوز بكا ، فهبت وحلمها الجميل لما يفتأ يساور رأسها الصغير ، وهرعت من فورها تبحث عن أبويها تقص عليهما أنباء ما رأت . وقد ألفَت أمها لدى المدفأ مكبة على غزل من صوف أرجوانى

⁽١) الفلق أول ضياء الصبح .

موشى بصبخ بحرى ، ومن حولها وصيفات يساعدنها · ثم نقيب أباها يكاد يذهب ليترأس مجلس شيوخ الملكة ، ماستوقعته وكلته في الدربة ، واحتجت عملابس إخوتها الخسة الدين يستحيون أن يراقصوا العذارى في الحفلات بملابس لا تليق بأبهاء الملوك · وعقد الحجل لسانها فلم تدكر مطارف زواجها وشفوف زفافها … ولم يدخل أبوها بما طلب ، بل أمر لها بعربة كبيرة عديدة ودواب ، وزودتها أمها بأشربات وآكلل وطيوب ومن وخ (١) .

واستوت مع وصيفاتها فى العربة ، وساطت البغال فانطلقت تطوى الرحب إلى النهر حيث وقفت عند مندرج يترقرق فيه بلور الماء ، متدفقاً من نبع قريب . وسرحت الدواب المرعى العشب الحلو النامى على حفافى الماء ، ثم أخذن فى غسل المطارف ونشرها فوق حصباء الشاطىء الذى طمه المد ونضحه الجزر ، واغتسلن بعد ذلك وتصمخن ، وجلسن على شفا النهر يتبلّغن بلقات ، ثم نهضن فتلاعبن بالأكر ، وتغنّت ابنة الملك أعذب الأغانى ، وتثنت كا تتثنى ديانا فى شعاف الجمال وفى يدها القوس والمترس ، تصيد الخنارير فى أريمانت — ومن حولها ربرب من عذارى والترس ، تصيد الخنارير فى أريمانت — ومن حولها ربرب من عذارى في كسف لألاؤها جمال الأخريات .

وهنا ... شاءت مينرڤا أن يهب أوديسيوس من نومه ، ليشهد

⁽١) ما يمسح الجسم من دهن أو طيب أو عيرها .

⁽۲) هي ديانا .

الغادة الهيفاء التي كُتب في الأزل أن تقوده إلى المدينة ؛ فعيما كانت بوزيكا تضرب الـكرة لتلقعها إحدى وصيفاتها ، إذا هي تعلو وتعلو ، ثم تدويم كما يدويم الطائر ، وتهوى في العباب المصطخب ...

وصرخ العذارى صرخة مدوية ، قانتفض أوديسيوس وهب مذعوراً مشدوهاً ليرى هذا المنظر العجب!

« ویحی ! أَیْ بنی الموتی قُطَّان هنا ؟ لیت شعری أشُوسٌ عمابید أم كرام أجاوید ! أو ه ا إنهن عرائس ماء تفر عن فرجعت الغیران أصداء صراخهن ، وتراقص الحباب فوق العباب من جَر سهن ، وتثنی الحكلاً نشوة فی الوادی ! لأداف نحوهن فأری إلیهن … » .

وخطر من دَغِيلَةٍ هِ (١) خَطَرانَ الأسد هاجته العاصفة ، فانقدت فى عينيه جمرتان من غضب ، أوظمى ، فاشتدت غلته إلى الدماء … وذأل (٢) نحو العذارى ، فيا إن رأينه حتى تفزعن وَوَلَّينِ مذعورات فى الشاطي ، ذى النؤى … إلا بوزيكا ! فقد نفخت فيها مينرفا من روحها ، ونزعن من فرائصها رجفة الخوف ، فوقفت شماء الأنف تنتظر القادم …

وارتبك أوديسيوس ولم يدر ماذا يصنع ؟ أيجثو تحت قدميها يتوسل ويتضرع ، أم يقف عن كثب يستعطف ويسأل الفتاة دثاراً ، ويرجوها أن تهديه إلى المدينة 1 وآثر الثانية فتلطف ، ثم قال :

« عَمْرِكَ الله أيتها الملكة! أرَبَّة من الخالدات ، أم حسناء من

⁽١) الدعيلة والدغل الشجر الملتف .

⁽٢) ذأل ودأل مفي في خنة ونشاط.

بني البشر ؟ أضرع إليك أن تجيبي ! فإنك إن كنت ربة ، فما إخالك إلا ديانًا ، ابنة سيد الأولب! ولم لا ؟ ولك قسامتها ووسامتها وقدها الممشوق ، وحسنها السوى ، وجمالها الروى ! أما إن كنت إنسيةً ، فما أسعد آلك بك ، ولشد ما يزهون بجمالك ! كلما خطرت في ملعب ، أو بَدَحْت (١) في مرتع .. ثم ما أسعد الزوج الذي سيحظى بكل ذلك الجال ، لايضارعه في العالم جمال!! ألا ما أروع ما تبدين كالنخلة اليانمة فى ديلوس عند مذبح أيوللو ، أيتها الأميرة ! ألاكم أتمنى أن ألم قدميك ، لولا ما ينتابني من روع ، ويؤودني من فزع – أنا – ذلك المُمَى المحزون المشجون — أنا — ذلك العبي الموهون الذي أفلت من يد المنون أمس، بعدإذ كشرله عن نابه فى ذلك البحراللجى، بعدسفرةعشرين يوماً من أوجيحيا، وسطأ نواء وأهوال، وموج كالجبال، حتى شاءت العناية أن تطرحني بشطئانكم الحبيبة ا ولست أدرى ما حبأت لي المقادير بعد! الأرض بعد طول عنائى ، فترشدنى إلى مدينتها ، وتسبغ على - أسبغت عليها الآلهة كل ما تتمنى من هناءة وبلهنية وقران قوى العرى لا تتطاول إليه أعين الأعداء - دثاراً يسترسوني ؟ ٥ .

وأجابته نوز يكا: «حباً أيها الغريب النازح وكرامة! إن سياك تدل على نبل، وسَمْتَك ينبىء عن رفعة! اصطبر على ما التلاك به كبير الآلهة الذى بيده العزق، يشقى من يشاء، ويهبلن يشاء. وإنى سأدلك إلى المدينة،

⁽١) مشية الحساء ،

مدينة الفياسيين ملوك الدحر ، التي أنا ابنة ملكها العظيم ألكيميوس ، رب نعائمها ومصدر رخائها » وأومأت إلى وصسيماتها نفول : «مكا بكن يا عذارى ! فيم واركن هكذا من إنسي كريم ؟ لقد أبن الآلهة أن نطأ قدم عدو أرض أحداثها ، بلادنا المقدسة ، التي انعرات في لجح هذا الخضم عن كل العالم . إنه غريب يا عذارى ، جَو"ات آفاق ، قدفه الدحر إلى شاطئنا ، فرحماً به ضيعاً من لدن زيوس ، وأهلا موفادته ومهلاً . هلم إذن يا صويحات فقدمن له طعاماً وشراباً ، ثم همين له عاماً في منعرج ظليل عمد حفافي النهر » .

وأهرع البنات عقدن أوديسيوس إلى منعرج ذى ظلال وأفياء ، وأعددن له ثوراً وكساء ، وهيأن طيوباً يتصدخ بها إذا فرغ من حمامه ، وسألهن أن بذهن بعيداً حتى لا يتعري أمامهن ، إذ « … لشد ما بخحانى وسألهن أن بذهن بعيداً حتى لا يتعري أمامهن ، إذ « … لشد ما بخحانى أن أمدو عاريا أمام أخر د الخفرات ! » … وتهادين إلى مولاتهن يحدثنها عا قال : بينا هو قد انقدف فى الماء يغسل كاهله وحقويه مما جد عليها من ملح اللحة ، وصعد فتصمخ بالطيب الممين ، ثم أسبخ على بدنه العنيد ذلك الكساء الدى منحته إياه نوزيكا ، ومن أعجب العجب أن ميترفا نفسها كانت تعاونه فى تجميل خلقه ، وتزيل من شعره الكث الأشعث تلبداته التى كانت تبدو كانها أزهار الخزاى … ثم هى بعد كل ذلك تضفى عليه أمواها من ألبهاء تظلل بها صداره ، كانها هى فلكان الصناع يعمل حلية من فضة وذهب ، وجلس على الشاطىء فى رونق وروعة ، يعمل حلية من فضة وذهب ، وجلس على الشاطىء فى رونق وروعة ،

يا صويحبات لقد شككت في حال هذا الرجل أول الأمر ، ولقد حسنته آفاقيًّا من رعاع الناس ، لولا أنني أثق أن الآلهة لا تسوق إلى بلادها الحبيبة هذا الصنف من البشر ... أما هو الآن ، فلشد ما يشبه أرباب السهاء! أواه! لوددت أن يكون لى زوج فى بهائه وحسن سَمْته ، على أن نبقى آخر الدهم هنا ... هلم يا وصيفات ... قدمن له طعاماً وحمراً » . أن نبقى آخر الدهم هنا كبيراً ، وزودنه بأحسن الأشربات والآكال ؟ وأخذ أوديسيوس فى إكلته حيياً متأدباً ، يرد عنه تلك المسغبة العلويلة وأخذ أوديسيوس فى إكلته حيياً متأدباً ، يرد عنه تلك المسغبة العلويلة التي أنهكته وأوهت قوته .

ووضعت أحمال المطارف والثياب فوق العربة ، وسدت البغال ، واستوت الأميرة في مكانها ، ثم هنفت بأوديسيوس فقالت له : « هلم أيها النازح الغريب ! إلى المدينة إذن ! إنى سأرسدك إلى قصر أبى ، حيث تلقاه في جمع من أشراف الفياسيين وسننطاق وسط هذه الحقول ، و إن لى معك من أجل هذا لكلمة . لقد بنيت مدينتنا فوق صخرة راسية ، وأحاط بها سور عظيم ، ثم وصل بينها و بين فرضتها جسر ضيق تقر على جانبه سفائننا ، رابضة متراصة ؟ ثم ينهض عندها معبد نتيون العظيم ، و بجواره سوق المدينة المبنى من الحجر الصلد ، حيث تباع حبال السعن وشراعها ، وحيث تصنع مجاذبها وأكثر عتادها - لأن الهياشيين السعن وشراعها ، وحيث تصنع مجاذبها وأكثر عتادها - لأن الهياشيين المعنون بشيء عنايتهم بهذه المنشئات في الدحر كالأعلام — والذي أخشاه أن يرانا الناس ثمة فيستهرئوا بنا ، وقد يساقونني بألسنة حداد ،

قائلين في سفاهة وتندر : ترى ؟ من يكون هذا الغريب النجيب الهرقلي الذي يقص أثر الأميرة ابنة الملك؟ أي صدفة جمعت شملهما يا ترى ؟ سرعان ما نراها تزف إليه عروساً كاعباً . قد يكون ضيفاً غير محمود من أرض نائية ؛ أو ربما صادت بصلاتها وتسبيحها واحداً من الآلهة أبق من السهاء ليقر في حضنها إلى الأبد ... الحمد لله الذي من عليها نزوج سعيد من بلاد غريبة يشبع أمانيها الجامحة بعد أن رفضت الأيدى الكثيرة التي تقدمت إلبها من أبناء الفياشيين ... هكذا سيقول الناس إن رأونا أيها الرجل ، ولهم الحق ، فأنا نفسي لا أعنى من اللائمة فتاة عذراء تستبيح أن تمشى مكشوفة مع رجل غريب قبيل عرسها ... ولـكن أصغ إلى : إنك واصل حتما إلى أبي إذا اتبعت نصيحتي ... بعد قليل سيصل ركبنا إلى حرج أشجار الحور المقدس النامى في تخوم الطريق باسم رية العدالة والحـكمة مينرڤا … وإن عنده لنبيعاً يترقرق وسط كلاً وأعشاب ... و إن عنده لحديقة أبى ، الجنة الضحوك المثناف ! قف نمة حتى إذا دخلنا نحن المدينة وحصلنا في بيتأبي، فتقدم أنتوادخل المدينة واسأل أيا من الناس ، ولو طفلًا يافعًا ، عن قصر ألكينوس الملك ، أبى الحبيب ، فإنه معروف مشهور لا يضارعه منزل آخر في سعنه وأبهته ؟ فإذا دحلته فلا تتوان لحظة ، بل سر ُقدُماً حتى تلقى أمى جالسة لدى الموقد المتأجج مجانب عمودمرمري، مكبة على غزلها الصوفي الموشى بأصباغ البحر ، ومن حولها وصيفاتها يعاونها في إنجازه -- وقريباً منها ترى أبي مستوياً على عرشه يطعم ويشرب كأحد آلهة الأولمب ١٠٠٠ لا تكلمه ١٠٠٠

بلجاوره إلى أمى الرؤوم، ثم سلحاجتك تقضها لك ، و تعدك إلى وطنك مهما كان سحيقاً نائياً ·· أثر في صميمها عامل الخير والحجبة ، تردك إلى آلك وذويك و بلادك · وسلام عليك » .

ثم إنها ألهبت ظهور البغال فانطلقت تعدو مولية عن النهر الذي صار يبتعد قليلا قليلا ··· وكانت نوزيكا آخذة بزمامها لتكبيح من جماحها ، حتى لا تفوت أوديسيوس من ورائها .

وكانت الشمس تصبغ بالورس حبين المغرب حينها وصل الركب إلى حرَّج مينرقا المقدس ، الذي نهض حوره الباسق في السماء نضراً ملتفاً كا مناجى الله حوف ، المدّرعة بإيجيس .

وهنا … وقف أوديسيوس يصلي لمينرڤا:

« يا ابنة چوف القوى المتعال اسمعى لى ! أصيخى الآن يا ربة ! القد تصاممت عنى إذ كانت اللجمج تلقفنى فراعينى الآن! اجعلى لى مرفقاً من أمرى ، وهبي لى محبة ورحمة فى قلوب أبناء الفياشيين أنسى بها آلامى … آمين آمين أمين !

وابت ربة الحكمة واستجابت لدعائه . بيد أنها ، احتراماً العمها (نپتيون) الذي لا يمتأ يقتني أثر أوديسيوس عدوه الأكبر ، لم تشأ أن تبدوله .

وفرغ أوديسيوس من صلاته ، ووصلت عربة الأميرة إلى القصر فلقيها إخوتها الأمراء الحسة النُّجُب، فحلوا الدواب وحلوا المطارف

والثياب ، وصمدت هي إلى مخدعها حيث كانت خادمتها العحور الشمطاء (يور يمديوسا) تعني بنار المدفأة .

ولم تـكد يور ترى سيدتها حتى حيَّت وَبَيَّت ، وانطلقت تعدلما وجبة المساء .

أما أوديسيوس فقد هب من مجلسه ، و يم شطر المدينة ، وقد شرت حوله مينرقا — صفيته الوفية — ظلالا وغماماً يحجبه عن أعين الناس حتى لا يضايقه أحدهم بسؤاله من هو وفيم أقبل ومن أى الأقطار جاء بيد أنها لاحت له قبل أن يلج باب المدينة في هيئة فتاة قروية كاعب تحمل فوق رأسها جرتها ... وتعمدت أن تعترض طريقه ، فانتهزها فرصة وزاح يسائلها هكذا : « يا بنية ! أتسمحين فتدليني على بيت رب هذه البلدة ، ألكينوس الكريم ؟ لقد نال منى الوني وطول السفر ، وحلات عليكم يا أهل فيشيا الأجاويد ضيفاً غير معروف ، من بلد سحيق ، فهل تفعلين ؟ »

وقالت ميَّنرفا — ذات العينين الزبرجديتين — وهي تجيبه :

« حباً أيها الغريب الوقور وكرامة ! سأدلك على بيت ألكينوس بنفسى ، فهو غير بعيد من بيت أبى … ولكن لى إليك وصية … إصمت ما دمت سائراً ، ولا تحدج أحداً بنظرة ، ولا تكلم من أهل هدا البلدة إنسياً ، فقد جبلوا على ازدراء الغرباء وقلة إيلافهم ، وتلقيم فى فتور و برود طبع ، وقد أحبهم نيتيون رب البحار فأذل لهم أعناق الموج

وأسلس اسمهم أعراف الماء ، فهى تخطر فيه كالطير حين تزيف ، أو كالمكرة حين تخطر في الخَلَد » .

وتهادت ربة الحسكمة بين يديه ، ودلف هو وراءها ؛ ولم تره جموع المحارة الحاشدة التي كان يسير بيها ، لأن مينرقا ضربت على أعينهم غشاوة عجيبة حجبته عنهم ؛ وكان ينظر بعين الدَّهَشِ إلى مينائهم وسفائهم ورحبة السوق التي يأوى إليها أبطالهم ، وإلى تلك القلاع المحدقة بالمدينة في أبهة وجلال ؛ ثم بلغا بيت الملك ، فقالت مينرقا :

« هاك يا أبتاه القصر الذي سألت أن أدلك عليه . وستلقى فيه رؤساء نا وأمراء نا أصحاب السمو يولمون و يقصفون ، فهلم فالقهم بقلب رابط وجأش ثابت ، فهم أشد الناس إعجاباً بشجاع جرىء ، وأكرمهم للاجيء غريب . وستكون الملكة أريتا — سليلة الشرفاء الأمجاد آماء ألكينوس غريب ، وحفيدة المردة الجبابرة من ذرارى نبتيون (١) — أول من تلقى الكبير ، وحفيدة المردة الجبابرة من ذرارى نبتيون (١) — أول من تلقى وأبنائها ومن جميع الفياشيين ملوك البحار ، الذين طالما تكبكبوا حول وأبنائها ومن جميع الفياشيين ملوك البحار ، الذين طالما تكبكبوا حول موكها في شوارع المدينة هاتفين داءين … إنها تمجلس وقوراً كإحدى ربات الأولمب فتفمر بالحبة أبناءها ، وتقضى فيا يشجر بينهم … لك الله يا سيدى إن قدر لك فاستطعت لقاءها … إنها إذن تمنحك برها وتسبغ عليك من بركاتها فتعود إلى بلادك راضياً ، وتلقى آلك وخلانك عن براً مكرماً »

⁽١) آثر ما ألا ،ثبت هنا ما ذكر هوص من أساب مخ فة الاملال .

ثم غابت ميسرها عن الأنظار ، وغادرت أرض شيريا الحبيبة إلى مر تُون — ومن ثمة رفَّت رفة فكانت فى أثينا حيث أوت إلى قدسها الكريم إركتيوس .

ودحل أوديسيوس قصر الملك هياباً متخاذلا ، غارناً في بحر لجي من الوهم والفكر ، لأنه ماكاد يطأ بقدمه وصيد الباب الكبير حتى بهره لألاء شديد خاطف ينبعث من الداخل ، يزيد في شدته ولمعامه تلك الجدران المصفحة بالنحاس، بزيها إطار من اللازورد الأررق، وتلك الأبواب الهائلة من الذهب الخالص ، والعاد السامقة من الفضة المجلوَّة ، تكللها تيجان من النُّضار الثمين . وعلى اليمين وعلى الشمال ربضت كلاب من ذهب ، صَنْعَةً قُلْكَان ، صَنَاع السهاء الحالد ، وحالد أبد الدهر كل ما صنعت يدا قلكان . ثم تلى بعد ذلك ردهة فسيحة مترامية صُفَّت إلى جدرإنها كراسي كأنها عروش ، و بتت فوقها نمارق ذوات أفواف وشعوف، صنعة وصيعات القصر ؛ وهنا · · يولم الملكلأمراء شيريا ... فيقف الولدان في جلاليب من ذهب، وفي يد كل شعلة تسكب الأَضِواء من فوق المذيح على جموع الطاعمين في كل ليلة ... يا للقصر كأنه جنة الخلد ؟ . إن خمسين من عيد شيريا الرعابيب يخدمون الملك ثمة ، يطحنَّ القمح وينخان الدقيق ، ويندون الصوف ويعملن على ٱلنَّوْل ... مائسات كأ فنان الدوح يداعهن النسيم الحلو ... حاذقات في الغزل والنسج كأحذق ما يكون محارة شيريا في عنفوان العاصفة ... قد ثقفن صناعتهن عن مينرفا فافتنان وأبدعن إبداعا . شم تكون البوابة

الحبرى ، حيث وردوس القصر اليانع ، وجنته دانية القطوف ، ذات الأسوار المنيعة المحيطة بهذه الأربعة الأفدنة ٠٠ للآلهة هذا الدوح قد بسق فى جنباتها ؛ وللآلهة أشجار الرمان المثقلة بأثمارها مفترة عن شفاه الأقاح ، وحرة الخجل قد خضبت خدود التقالح والمكثرى ، وسالت قطرات من الشهد فى ثمرات التين ، وتأجعت أنواراً زاهية فى أفنان الزيتون ٠٠٠ فا كهة شهية جنية لا مقطوعة ولا ممنوعة شتاء وصيفاً ، يانعة أبدا ، قلامن زفير رب الصبا فتشيع فيها النضج والمماء ، كلا قطفت يد من جناها ثمرة نمت مكانها فى الحال ثمرات ، فما تقل آخر الدهر يد من جناها ثمرة نمت مكانها فى الحال ثمرات ، فما تقل آخر الدهر قطوفها وما تنقص .

وخلال هذه الجنة المثمرة تمتد السكروم ذَوَات الأعناب والرُّطَب والعناقيد من نور ، بعضها يعصر فتقطر الخر منه ، و بعضها يجف على سوقه فيكون زبيباً جنياً .. ثم توشّى أطراف الحديقة أحواض من الزهر المشذب المنسق ، وتتفجر في وسطها عينان نضاحتان ، يترقرق الماء من إحداها كاللحين في مسايل هذا الروض ، وتتدفق مياه الأخرى في نهر صغير ينساب إلى المدينة من تحت عتبة القصر، فيرتوى الأهلون منه . مُلك كبير وآلاء واورة أسبغتها الآلهة على ألكينوس الملك !

* * *

وقف أوديسيوس مسبوه اللب ، مشدوه الفكر ، يردد طرفه فى المنظر العَجَب ، ثم أفاق فخطر إلى الداخل ، حيث اجتمع زعماء المدينة وشيوخها يصبون الحر باسم هممز رسول السماء تقدمة وقربانا ،

وصلاة لخاتم أرباب الأولمب قبل أن يأووا إلى مضاجعهم. ولم يتلبث عندهم، بل تقدم فى خطى حثيثة برغم إعياله، وكانت ميه قا تحجبه فى ظلال كتيفة من أعين الملأ، حتى وصل إلى حيث الملك والملكة، فللأ من غطاؤه، وجثا عند قدمي الملكة يبث شكاته بين دهش الملكين الدكريمين وشدة تحيرها:

«أريتا يا ابنة ركسنور صنى الآلهة! أتوسل إليك و إلى المليك العظيم، وأصيافكم النبلاء، من الله عليهم، وضاعف لهم آلاءه، وأنعم على ذراريهم وألف بين قلومهم وقلوب رعاياهم، أتوسل إليك يا سليلة المجد صارعاً أن تعطفي على "، وأن تكرمي مثواي، وأن تعينيني على الرحلة من فورى إلى بلادى التي أتحرق إليها شوقاً، والتي فصلتني عنها أهوال وأهوال! ».

وساد سكون عميق وصمت ، وظل البطل المسكين جاثيًا عند حافة الموقد المتأجج ، حتى تفجرت آبيب الرحمة والحنان في قلب إخنيوس ، ابن الملك المكر ، فراحت السكلمة الطيبة تتدفق من فمه الجميل العذب في فصاحة وتبيان ، وحكمة تقليدية ، وخير ، حيث قال :

« حاشا لحجدك أيها لللك أن تدع هذا الغريب جاثياً هكذا في غبار للوقد وفي وهج النار ، وأن تترك أضيافك يتنظرون أمرك … وما تسكلم منهم أحداً! ألا فخذ بيد الغريب وأقعده مقعد الندى ، ومر الندمان يسقه من كأس جوف كبير الآلهة (١)، وحبيب الغرباء وذوي الحاجات ،

⁽١) في الأصل (رب الصواعق) .

والنادل يهيي أله عشاء مما تبـقي من وليمة الليلة » .

وما كاد الأمير يفرغ من قوله ، حتى أنهص الملك أوديسيوس وأجلسه على كرسى فخم جانب ولده الحبيب الحسكيم لأوداماس ... ثم أقبلت إحدي وصيفات القصر فصبت الماء على يديه من إثريق فضى ، ثم أحضرت مائدة حافلة بأشهى الأكل وأطيب اللذائذ والأشر مات ، فأكل أديسبوس وارتوى ؛ وأمر الملك كبير السقاة يونتويوس ، فمزج الراح وقدمها إلى الجميع حيث صبوها تقدمة ليوف رب الصواعق وكبير الآلمة ، وحبيب الغرباء ، وحامى ذوى الحاجات ، ثم شربوا بعد ذلك حتى روواً

وقال الملك: « أيها الرؤساء والشيوخ الفياشيون كلةً: عفو الخاطر، فاسمعوا وعوا · · · لقد طعمتم جميعاً وستتفرقون إلى مصاجعكم ، ثم نجتمع عند مطلع العجر ، نحن ومن لم يحضر من نواب الأمة الأجلاء ، فننظر في شأن هذا اللاجي الغريب ، بعد أن نضحى للآلهة · · · إنه يطلب أن يعود في حمايتنا إلى وطنه كيا يصل سالماً غاماً من غير أن يمسه أذى ، يعود في حمايتنا إلى وطنه كيا يصل سالماً غاماً من غير أن يمسه أذى ، إلا أن تكون ربات الأقدار قد قصت عليه أمراً ، وإلا أن يكون من أرباب الساء الخالدين . · لقد وصلت بيننا و بين الآلهة وشائج القربي ، وطالما غشيت مجالسنا وشاركت في ولأمنا ، وهي تبقي على محبتنا ، وطالما غشيت مجالسنا وشاركت في ولأمنا ، وهي تبقي على محبتنا ، فلا تمس بأذى رجلا منا يضرب في الأرض ، وليس ما بيننا و بينها أقل عدنا » .

ونهض أوديسيوس الحكيم فقال : « غَفْرًا غَفْرًا أَيُّهَا الملك ! ما أَنَا في الآلهة ؟! أين لي حلقها السوى ، وكيامها السماوى؟ بل أنا شقى من أبناء هذه الغبراء ، أثقلت كاهله حمولة هائلة من الكوارث والآلام ، حتى لا يعرف الناس من شقى شقاءه ، ولا من تحمل مصائمه وأرزاءه ... بلايا صبتها على رأسه الآلهة فصبر وأناب … أوه ! أبداً لا أنتهى إذا سردت لـكم طرفًا يسيرًا منها ! ولـكمن لاداعى الآن … أرحوكم … أتوسل إليكم . دعوى أتبلغ بهذه اللقات في هذه اللمحة الحالمة من الراحة التي لم أنعم بمثلها منذ بعيد . لشد ما يصرخ الجوع في أذن الجوعان ، ولشد مايعذبه الطوى ! إنه يلح عليه بكل صنوف الآلم ، حتى ينسيه آلامه وأشجانه . إن له لشهيةعالية الصخب تطلب العون في جؤار وجنون ، حتى ليضيع في ضجيجها هتاف جميع الآلام ، إلى أن تكتفي . عفواً أيها السادة! إنى أفتأ أضرع إليكم أن تيسروا لى عوداً أحمد ، وأوبة سالمة ، بعد طول العناء ، والشقاء الذي ليس بعده شقاء ؛ إنه لا أحب إلى من أن أودع الحياة بعد نظرة واحدة أتزودها من أهلى ووطنی . »

وتأثر القوم من أجله فأثنوا عليه ، واتفقت آراؤهم على معاونته حتى يعود إلى بلاده ويلق ذويه ثم مهضوا فصبوا خمر الصلاة باسم الآلهة ، وشر بوا نخب رب الدار ، ثم تفرقوا إلى منازلهم ، إلا أوديسيوس ، فقد ظل جالساً ساهاً واجماً ، كا ظل الملككان إلى جانبه ساهمين واجمين ، والندل فيا بين ذلك يحملون أطباق المائدة وأكوابها ، حتى إذا فرغوا

أخذت الملكة تتحدث إلى أوديسيوس ، وقد لفت نظرها هذا التوب الفضفاض الذى كان يلتفع به :

« والآن جاءت تو بتى فى التحدت إليك أيهذا الغريب الـكريم ، من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ وأنى للك هذا الصدار وذاك الدثار ؟ ألست قد قلت إنك غريب نازح أفلتتك المنايا فى لجيج البحار ؟ ».

وفال أوديسيوس يجيب أريتا :

« أيتها الملكة ! قد لا أفرغ من الحديث إذا حاولت أن أسرد قصتي بحذافيرها إ بل ليس أشق على من ذلك ، فقد كرثتني الآلهة -بكل أنواع الهموم وصنوف الآلام ، بيد أنني ألم بمأساتي المحزنة في كلاتِ فأقول: ﴿ فِي أُوجِيجِيا - إحدى الجزر القاصية التي لم تطأها قدلي قدم بشر ولم يخطر بها إله - تقيم عموس الماء المفتان - كليبسو - البارعة الرائعة الصناع ، ابنة أطلس الجبار التي قدر على أن أ كون أول لاجي " إلى جزيرتها بعد أن سلط چوف صواعقه على سفينتي فشطرها وأغرق كل رجالي ، وظلات أنا متشبثاً بالسارية ليالي وأياما ، حتى دمعتني المقادير في الليلة العاشرة إلى ساحل الجزيرة حيث آوتي كلييسو الجميلة الريانة ، وأنقذتني من موتة أكيدة ، وأطعمتني وأكرمت مثواي - ثم عرضت أن تهبني الحياة الخالدة والشباب الأبدى ، لو لا أنني تأبيت ... ثم أقمت عندها سبع سنوات لم يرقأ طوالها دممي الذي نضحت به أثوابي وماحلعت على من دثار ... وفي الثامنة أرسل إليها حوف كبير الآلهة من يأمرها بإطلاق سراحى ، فأمحرت على رمث زودته بالأطايب والأذخار ،

والأشربات والآكال ؛ ثم أرسلت مين يدى ريحاً رخاء ما انفكت تجرى بى فى عباب من بعده عباب ، طيلة سبعة عشر يوما ٠٠ وفى الثامن عشر لاحت ثم جبالكم الشم فخفق قلبي فرحاً ... بيد أنه كان أملا خُلْبًا لم يطل أمده . . فقد أبي ننتيون الجبار إلا أن يقف بسبيلي ، و إلا أن يرسل ريحاً معاكسة تثير الموج وتهييج اللج ، وتمزق ما التأم منى ومن فلكي الصغير – الذي كان كل أملي ... ولم يعد مد من أن أ كافح الماء ، وأذرع اليم مالسباحة ، حتى تصافرت الريح والوج ، فقذ فانى إلى ساحلكم ذى النؤى . . ولم أحتمل صدمة الصخور ، فنضحني السيل الرابي إلى الأعماق كرة ثانية ... وشرعت أكافيح مرة أخرى ، حتى شرتني موجة مزيدة في نهر وديع متطامن ... فسبحت إلى إحدى عدوتيه ، واستلقيت على الشاطئ ، خَفِقَ الأحشاء مهوك القوى . . . وأقبل الليل فتهالكت على نفسي إلى دغيلة مهدتها بعساليج وشيء من القش وفروع الشجر ، ونمت ليلاً طويلاً وضحوة متعبة وظهيرة كلها نصب و إعياء ... ثم أيقظتني صيحات قريبة مُرِنَّة ، فإذا ابنتكم الأميرة الحبيبة الحُسان في ربرب من أترامها يتلاعبن كربات الأولمب على رمال الشاطئ ... وجنوت تحت قدميها ، وما زات بها أتملق شبابها الغض بدعوات معسولات ، وأثير انخوة صباها العينان حتى أمرت لي بطعام شهى وخمر معتقة ، وأشارت إلى منعطف فتوجهت إليه فغسات ما على جسمي من خَبَث ، ثم منحتني هذا الصدار وذاك الدثار ...

آلك قصتى أسردها عن قلب محزون ... ما فيها أثارة من مَيْن » .

قال الملك : « لشد ما أخطأت منيتي إذ لم تصحمك إلى هنا في جملة حشمها ما دمت قد رجوتها في ذلك أول الأمر » .

وقال أوديسيوس يجيمه : « إنها لم تخطى أيها الملك الـكريم وما عليها من ملام . لقد كلمتني في مثل ذلك فأست لأني خفت أن يسوءك ذلك منها ومنى ، ولأبى أعلم أن الناس فى كل مكان ظنانون قوالون ، . فقال الملك : « كلا أيها السيد ، إن صدرى لا يحمل مثل ذلك القلب النزق . إن الرصانة والأناة أفضل ميزات الخلق الـكريم ... تالله یا بنی إنی لأوثرك كولدی ، و بودی لو قبلت مصهرت إلى وتز وجت ابنتی ، وعشت معنا كواحد منا ٠٠ و إنى - إن رضيت - لقطعك الأقطاع الشاسعة وما يحك المنزل الرحب . هذا وليس في فياشيا كلها من يجسر أن يقسرك على شيء تأباه نفسك . معاذ الله يا سي ١٠٠ إن هذا إلا عرض ... مجرد عرض مني لما أنسته فيك من سمو ورجاحة ونبل ... فإِن لم يرقك أن تفعل ، فإنى مُعِدُّ لك أسباب عودتك غداً ، وستنام ملء عينيك بينها يكون الفلك ينهب اليم و يطوى العباب ، منسر يا فوق الموج بقوة الأذرع الفتية التي تعمل في الحجاذيف حتى تصل إلى وطنات سالمًا غاعمًا ، بل حتى تصل إلى أبعد منه ، ولو إلى ما وراء أيوبيا أبعد الجزائر منا ، حيث يحمل بحارتنا ردمنتوس(١) ذا الشعر الذهبي لزيارة تتيوس (٢) جبار الأرض ... إنهم يبحرون به إلى هذه الجزيرة ويعودون

⁽١) بن ريوس من زوجته أوربا وقاصي المدالة في الدار الآخر ُه هيدز »

لا حرير € م

⁽٢) أحد مردة طار طاروس وينطى جسمه مساحة تسعه أفدنة (حربر) ـ

فى يوم فى غير عناء أو إعياء ، وستعرف سبب فخارى بسفائنى و بحارتى الذين يذرعون البحار و يضر بون أكبادها حين يبحرون بك » .

وشاع البشر فى أسارير أوديسيوس ذى التجاريب فقال: «أيها الأب الخالد! لله محامدك الغر! أنجز يا مولاى يَسِر فَكُوكُ فَى البلاد،، وأَلْقَ أَهْلَى وأَنْشَقُ نسمة من وطنى ».

* * *

وهكذا تشقق الحديث بينهما ...

ثم أورت الملكة بعض وصيفات القصر فأعددن فراشاً وثيراً فى الرواق ذى الأعدة ، وهيأنه بوسائد من دمقس ، و بثن فوقه الأرائك والحشايا ، وعلقن الستائر والأسجاف ، ووضعن البرانس (١) واللحف... وكانت كل منهن تحمل شعلة كبيرة تتوهج فى جوانب القصر ... حتى إذا فرغن من كل شىء ، دعون أوديسيوس فى أدب وظرف أن ينهض لينام ... وغفا بطل هيلاس ... وأسلم عينيه لأحلام سعيدة .

حفل أولمبى

وصبغت أورورا بمثل حرة الخبل وجنات المشرقين ، فاستيقظ الملك ، وهب أوديسيوس من نومه ؛ وذهبا إلى الشاطئ حيث تلقى السفن مراسيها ... وهناك ... فوق مقعد حجرى أملس ، جلسا يتحدثان ؛

مينها كانت مينرةا تدق البشائر في شوارع المدينة ، وقد بدت في صورة منادى الملك وطيلسانه ، تدعو سادات الفياشيين وشيوخهم إلى محلس الملك ، للنظر في أمر هذا الغريب الكريم اللاجي الذي حل عليه ضيفا في أمر هذا الأولمب ، رغم ضربه الطويل في عرض البحار » .

وازدهم سادات المدينة وأشياخها فى قاعة المحلس، وكأنوا يقلبون فى أوديسيوس نظرات الإعجاب والدهش، وكيف لا ؟ وهذى مينرفا قد أضفت على صدره الرحب وكتفيه العظيمتين، وجسمه الساءق، رواء على من الأبهة والجلال، كان ينعكس وقاراً ورهبة فى قلوب الفياشيين.

ولما انتظم عقد القوم نهض ألكينوس الملك ، فقال : ياسادة الفياشيين وشيوخ الأمة ، كلة مرتجلة ، فاسمعوا وعوا : لقد حل هذا الصيف الكريم الدى لا أذكر اسمه في بيتى بعد أن شرق في آفاق العالم وغرب وإنه ليرجو أن تمدوا له يد المعونة فيعود أدراجه إلى بلاده في كنفكم سالماً ، إذ طالما كان هذا دأ بكم ، إكرام الضيف ، والإحسان إلى الغر ماء اللاجئين ، وردهم إلى ديارهم مهما كانت سحيقة آمنين … فالبدار إذن … هلموا إلى سفائنكم فتخيروا أحسها حالا ، وأصلحها لمجالدة هذا البحر ، ولتعدوا لها مخية ذوى بأس من أصلب فتيانكم عوداً وأشدهم مراساً … إنين وخسين عدداً من أينع زهرات شباب هذه الأمة … أبداً … وليحضر معكم أحب المنشدين دمودوكوس الإلهى ، صاحب أبداً … وليحضر معكم أحب المنشدين دمودوكوس الإلهى ، صاحب

الألحان الخالدة ، والصوت السهاوى الساحر ، فليشنف آذاننا محلو أنغامه التي لا يقدر عليها إلا هو · ،

وانصرف الملك وفى إثره شيوخ الفياشيين ، وانطلق رسول إلى منزل المنشد دمودوكوس الإلهي … واختيرت النخمة ذات البأس من شباب الملاحين ، وأعدت السفينة في مكانها الأمين من اليم ، فنُصبت القلاع ونشر الشراع وصفت المحاديف ... ثم مضى الجميع إلى بيت الملك ، حيث كانت الجاهير الحاشدة تكظ الأمهاء ، وتزدحم في الدهالير ، وتملأ الصالة الكبرى … وجيء بالدبائح … مهذان ثوران كبيران ذوا خوار ... وهذي اثنتا عشرة شاة سمينة ، وتلك أربعة حنار يركناز (١) ما كادت تذبح وتنتزع أنيابها حتى أحذ الحميع مما أقبلوا له من طعام وشراب ... ثم أقبل منادى الملك يقود المنشد الألمى الأعمى ، رخيم الصوت ، صفى ربات الفنون ، اللائي عدان له بقسطين من خير ومن شر سواء ، فوهبته التطريب المعجز ، وسلبته النور من عينيه العزيزتين ... وأقيم له عراش كمرد فى وسط الصالة الكبرى ، عند عمود سرسرى عظليم ، . فاستوى عليه ، وأعلمه پونتونوس بمكان قيثارته المعلقة فوق رأسه ، ووضع بين يديه سلة من طعام ومزة (٢) .

وَمَا كَادُوا يَفْرَغُونَ مِن آكَالَهُم حَتَى رَقَصَتَ عَمَائُسَ الْفُنُونَ فَى فَمِ الْمُنْدُ الْمُطَلِّ ، ورقى بها إلى أَثيرُ الْآلِمَةُ فَلَمُ الْمُطْرِبِ ، فأرسل غناء سنحر ألباب الناس ، ورقى بها إلى أثيرُ الْآلِمَةُ فَى قَبَّةَ السّماء ... لقد تغنى هذه الأغنية التي تنظم النزاع الذي شجر بين

⁽١) كـ ار جم مفرده علله كشيرة اللحم والشهم .

⁽٢) خر لذيدة الطعم .

أحيل بن يليوس ، و بين أدو يسيوس بن ايرتيس أثناء الوليمة الإلهية ، والذى جاءت به نبوءة أبوللو (فى دلفوس) حييما استوحاه أجاممنون عن يوم سقوط طروادة فى أيدى اليونانيين .

وسكت المغى ، ودفن أوديسيوس وجهه الساهم فى ذيل نوبه الأرجوانى الفصفاض حشية أن يلحظه أحد... وطهق يبكى... و يستخرط فى البكاه ، ثم كشف عن جبينه ، وستى الثرى كأساً من خر صلاة للآلهة ... ثم عاد إلى بكائه حيما وصل المطرب غناه ، وكان يرسل عبراته فى كسائه عير ملحوظ من أحد إلا من أسكينوس ، الذى عز عليه ما رأى وما سمع من عبرات ضيفه ، ومن تهداته ، فقال : « حسبنا با سادة ما طعمنا وما سمعنا ... هلموا جيماً نشهد الصيف الكريم هض العابن أن الفياشيين حير من يحرى ومن يثب ، وأمهر الغاس فى الله كم والمصارعة ! » .

ونهض الملك ، ونهض في إثره كل أضيافه ، وتقدم المنادى فقاد دمودوكوس ، وقصد الجيع إلى ساحة السوق الكبرى ، حيث احتشدت كواكب الشجعان والشماب اليانع من ذوى القوة والفتوة والبأس الشديد ، أنوا من كل حدب لهذا الحفل المشهود ، وفي وسط الحلبة وقف الأبطال آكرون وأوكيال و إلاتريوس ونوت و پرمنيوس ؛ ثم وقف جلفهم الأبطال أنخيال وأنابيسين و إريميه س و يونت و پرور وأمفيال وتون ، ثم نهض حليف مارس الهوب يوريالوس ، ثم نفر شباب الفياشيين

نو بوليد . وقف كل هؤلاء ... ثم هب أبناء الملك الثلاثة ... لوداماس ولده البكر ، ثم هاليوس ، ثم كليتون الأصغر ، وشارك غر من أولاء فى سباق الجرى ، فأخذوا أهبتهم ، ثم انطلقوا يثيرون التراب فى أثر كليتون ، ان الملك — الذى شآه (١) جميعاً ، وتركهم يتعثرون وراءه كا تتعثر الثيران فى إثر البغال .. وتلقاهم النظارة بالهتاف العالى والتصفيق الشديد ، ثم كانت المصارعة التى بُر ز فيها يوريالوس على كل أقرانه ، كما يرز أمفيال فى الوثب الطويل ، وألاتر بوس فى قذف القرص ... أما فى لللاكمة فقد تفوق لوداما النبيل ابن ملك شيريا ، وكان فوزه مسك ختام المباريات ؛ ثم نهض لوداماس فقال :

والآن أيها الأصدقاء نسأل ضيفنا الـكريم إذا كان يحذق شيئاً يفخر به من هذه الألعاب ؟! إنه لا يزال غربض الشباب ، بادى الفتوة ، مكتنر العصلات ، عظيم مُنَّة الساقين والفخذين ، مفتول الساعدين، و إن له لعنقاً أى عنق · · كل ذلك بالرغم من بدوات الضنى وأمارات العناء ، وما حطم البحر من جسمه الخصب ، وهل أهلك لجسوم الرجال من أجبال العباب ؟! » .

وكأنما راقت هـذه الـكلمات البطل يويالوس فطلب إلى لوداماس أن يدعو الضيف إلى النزال ، فنهض لوداماس ثانية وقال : «هلم أيها الضيف فأرنا هل تجيد من هذه الألعاب شيئًا ؟ إنه ما استحق أن يعيش من لم يعمل بيديه ويسع بساقيه ... هلم ؟ حاول إذن 1 فيم احترازك

⁽١) سبقهم (هامش القاموس) .

هَكَذَا ؟ إنا لن نؤخرك قط ، فالسفينة معدة والملاحون على أهبة » .

وقال أوديسيوس يجيبه: «أتتخذنى هُزُواً حين تدعونى للعب بالوداماس؟! أى لهو وأى لعب وأنا نضو أسقام وطريح آلام، لا أمل له إلا أن يعود إلى بلاده، وفي ذلك ما يضرع للملك وللناس!».

وهب يويالوس يصِدُ (١٦ ويقول: هكلا أيها الصديق ... إنى عذيرك، مسياك لا تنبىء عن رجل رياضى ، بل أكبر الظن أنك من رجال الأعمال أو حَفَظَة ِ الحجازن ٠٠ أو ١٠٠ إن لم يخب حدسى ١٠٠ من أدلاء السفن فى الشغور ؛ ومن يدرى ؟ فقد تكون عيّاراً أو قرصاناً !!» .

وعبس أوديسيوس و بَسر ، وانتشرت فوق جبينه ظامات من المم ، وتهدج صوته فقال : « إلك لم تحسن كيف تتكلم أيها السيد ، و إنك لم تبال أن تطلق في السانك بهجر القول كأنني رجل لا اعتبار لى ٠٠ على أن الآلهة — جلّت وعلت — لم يتفق أن منحت أحداً من العالمين كل آلائها في وقت معاً ١٠٠٠ بساطة الجسم ورجاحة العقل وقوة البيان ١٠٠٠ فقد يلوح لك هذا الرجل مُهدّماً محطا في حين قد وهبه جوف بياناً متيناً ولساناً مبيناً حتى ليخلب ألباب سامعيه ، وحتى ليرتفع في نهوسهم إلى مصاف الآلهة ١٠٠٠ وقد تنظر إلى ذاك الرجل كأنما تتدفق في عصلاته قوى السماء وهو لا يحسن أن يقول كلة ١٠٠٠ مثلك ١٠٠٠ مثلك تماماً ١٠٠٠ فلقد أوتيت يسطة في الجسم ، حتى لتوسك في ذلك أن تكون مثالا تقيس عليه الآلهة ، إذا أرادت أن تخلق مارداً جباراً . ولكنك _ وا أسفاه ! _

⁽١) يحهر بالقول.

لم تؤت بياناً ولا حكمة إ فلقد أثرت ثائرى بكاياتك الغلاظ .. العجاف! إنى — أيها السيد — كما ذكرت — لا أحسن من هذه الألعاب قليلا ولا كثيراً .. ولسلمى كنت فتاها وفارس حلبتها أيام كنت شاباً يافعاً غص الإهاب ريان الشباب .. أما أنا الآن ا فوا أسعاه!! إن حدثان الزمان لم يُبق منى .. ولا على إلقد ذبل شبابى فى نقع الحروب وسوح الوغى .. وفى هذا البحر اللجى يغشاه موج من خلفه موج .. كالجبال .. بيد أننى .. على الرغم مما ينقض ظهرى من ويلات ، سأثنت فى سجل بيد أننى .. على الرغم مما ينقض ظهرى من ويلات ، سأثنت فى سجل شجاعتكم قوتى ! فإن لما هرفت به من قول السوء لأنيا با تعضنى وتنهشنى .. أو أدلًا على قوتى وجبرونى ... » .

وكان إلى جانبه قرص القذف الذى يستعمله أبطال الفياشيين فى مبارياتهم فانقض عليه واحتمله بيده القوية المفتولة ثم دفعه دفعة هائلة كان لها هزيم وقصف ، واستهولها محارة الفياشيين الشجعان فخفصوا رؤوسهم حتى استقرت بعيداً خلفهم … وهنا بدت مينرقا بين الملأ فى صورة أحدهم ، وهبت عجلانة تقيس مدى القذفة ، ثم قالت : «ألا أيهذا الغريب! الأعمى نفسه لا يذكر برهانك الدامغ القوى! إنه سدى لا يستطيعه أحد غيرك ، فيه على هؤلاء الفياشيين! إن منهم من لا يستطيع أن يباريك فى أى من هده الألعاب فادعهم إليك وما عليك من بأس» وشاعت الكبرياء فى نفس أوديسيوس حين سمع هذا الهاتف من صميم الفياشيين يطريه و يثنى عليه و ينصب من نفسه قاضياً له ، فقال ، وقد الكسرت حدة غضبه :

« هلموا أيها الشمال فاقد فوا هده القذفة ، أقدف أبعد مها و مقر ص أكر ورماً!! هلموا!! ليأت أقوى ملاكميكم فإبى له! وليقف أضرى مصارعيكم فأنا أخوه ! وأيجر معى أسرع عدّائيكم فان يلحق غبارى ! لقد هجتم ثائري فهلموا ! إبي أتحداكم جميعاً إلا لوداماس فابه مضيعي وصاحب قِرای ، ولیس بی أن أنارل من أكرم متوای فی دار عراتی ؟ وليس من البرق ما يحملي على شيء من دلك ١٠٠ أما غيره فأما له ، وسيعلم مبازلي مهما يكن مبلغ قواى ... إنه ليس من ألعاب الناس ما يعجزني .. غأنا رب القوس ، وطالما صَرعت الألوف من الأعداء تحت أسـوار طروادة ، وأبدا ما رمى أحد سهماً كما رميت إلا فيلكتيتس نوم حاز قصب مَتَبْقِها دوني . على أنه من ؟؟ إنني لم أبلغ من الحول بعض ما للغ هرقل أو يوريتوس الدى نفس عليه أبوللو مهارته في الرمابة فقتله ··· هذا . وإلى الرمح السمهري ، فإبي أبلغ به المدى الذي لا تملغه سهامكم !! على أنني لا أطمع أن أيلع خفتكم ورشاقة حركاتكم - ولقد قاسيت من الأرراء ما قصم ظهري ، وصارعت موج هذا الخضيم حتى حطمني وأوهإني ، · . ولقيت من الطوى ما برابي ا! » .

وصمت الهياشيون ولم يندسوا . ثم تكلم الملك فقال: « عرك الآلهة أيه دا النازح السكريم لقد جلجلت في آذا بنا كلماتك ، فدات على شجاعة وعنفوان ، وأفحمت هذا الشاب الذي حرح عزتك وأهان كبرياءك أمام الجميع ، نم سكت عن تحديك ... ولسكن تعال فانظر إلى ما نريك من ضروب الخفة وفنون الرقص وفتون الغناء والسبق في العدو ، ومهارتنا

حين نسوس الفلك فوق أعراف الموج ورعاء الثبيج ، كيا تتحدث بهذا كله إلى أقرانك وبين ظهراني قومك ، وتحكيه لأطفالك . عمرك الله أيها الغريب المسكرم إنه لا غر لنا في ميدان الله م والمصارعة ، بل غاية المتاع عندنا ثوب مُوسَّى ، وطعام ملوّن ، وقيثار مُس نة ، ورقصة خاطفة ، وحمام دافيء ومراش وثير والآن ... هلموا أيها الهياشيرن فالهوا أمام ضيفكم والعبوا ، وأروه من رقصكم وشنفوا أدنيه بغنائكم ، فلسوف يتحدث بكل ذلك في الآفاق، وحسبكمأن يذكر عنكم أنكم أمهر من ركب البحار ا هلموا ... ليحضر أحد كم دمودوكوس الإلهى ... يعزف على البحار ا هلموا ... ليحضر أحد كم دمودوكوس الإلهى ... يعزف على قيثاره و يلاعب قلو بنا بغنائه .. ابحثوا عنه في بعض ردهات القصر ...»

وانطلق منادى الملك يبحث عن المطرب الإآهى ، والطلق آخر يعد قيماره ، ثم نهص تسعة فياصل يمهدون أرض الملعب ويهيئون الحلقة ، وجلس ويزحزحون الجاهير ... وأقبل المنادى والمطرب يسعى بين يديه ، وجلس في وسط الحلقة حيث أحدق به الولدان اليوافع اليوانع يميسون ويرقصون بسيقان تخطف كمثل خطيف البرق ، بين دهش أوديسيوس وشدة تعجبه والمطرب فيما بين ذلك يوقع لهم النغم الحلو ، والموسيق العالية ... وفرغوا من رقصهم ، فشرع المنشد يتغى أسطورة مارس ومعشوقته الآثمة سيتريا (1) إذ أغواها رب الحروب المستهتر بمعسول الكلام ومطلول الغرام فلانت له ... وكان أبوللو — إله الشمس — يرقبهما من الغرام فلانت له ... وكان أبوللو — إله الشمس — يرقبهما من مركبته الذهبية في علياء السماء ، فطار بالفصيحة المشئومة إلى الزوج

⁽١)، قيموس. (الأسطورة في كناما أساطير الحب)

التاعس … قلكان … الذي استطير وثار ثاثره ، فراح يصنع أنشوطة كبيرة كالشرك من حلق الحديد المفرغ الذي لا يقوى عليه أحد ، حتى إذا فرغ منها حملها إلى داره ودسها حول سريره ثم ألم بالمنعرج النجس حيث أوى مارس إلى قينوس — الزوجة الآثمة — وكان مارس يغالب في عينيه أخريات غفوة الضحى ، فلمح قلكان يطوى الرحب إلى أرض لمنوس — أحب المدائن إلى قلب الإلَّه الحداد · وطرب مارس أيما طرب ··· وأ يقظ معشوقته قائلا: « هلمي ڤينوس · انهضي أيتها الحبيبة لقد ذهب زوجك إلى لمنوس أرض البرابرة ... هلمي إلى البيت ... إلى السرير الدافيء ··· إلى الحب ··· إلى نعيم الهـــوى!!» وهبت قينوس ... وانطلق الأثيان إلى سرير فلكان ، وفي قلب مارس غلة ، وملء جوانحه غواية و إنم ... وفي دمه شبق إلى هذه الفاكهة يكاد يقتله ... واكن … وا أسماه! إنهما ماكادا ينطرحان موق الفراش الوثيرحتي انطرحت فوقهما الأنشوطة الهائلة .. وأمسكت بهما إمساكا شديداً ... لم يجدا منه حِوَلا ، ولم يجدا منه تخلصاً ... وكان أبوللو يرقمهما كذلك ، وقد حدث قلكان بما رأى ... فعاد الإِلَّه الحداد على عجل ، ولم يكن قد بلغ شطئان لمنوس بعد ... وكان قلبه يدق ... لا ... بل كان قلبه يكاد ينخلع فوقف في البهو الكبير ثم أرسل صيحة مدوّية يستصرخ بها الآلهة : يا چوڤ العظيم ! يا آلهة الخلودِ جميعاً ! أنظروا ! إشهدواكيف تفضح ڤينوس زوجها مع عشيقها الفاجر مارس! ولِمَهُ ؟ لأنه وسبم قسيم قوى ولأننى محطم موهون ا ذنب من ؟ إنهــــا جريرة من أنسلونى وجاؤوا بى إلى الحياة! أنظروا كيف يتمرغ الأحبثان الأفسقان فوق فراشى! لقد تثلجت مشاعرها فهما لايباليان أن يأكلنى الغيظ أو يقتلنى ألحنق ولكن لا سحسهما هذا الشرك الذى لن يفلتهما حتى يرى جوف فيهما وأيه وجوف الكمير المتعال سوالد قينوس! الدى أطلب إليه أن يرد إلى قناطير الهدايا الزوجية التى قدمتها عاسم ابنته العاهرة كشروط لإطلاق سراحها!».

ولم يكد بمرع من صرحته حتى اجتمع في بلت جوف ذي الأرض النحاسية جميع الآلهة ٠٠ وكان أول من أقبل نبتيون رب البحار ، نم تلاه هرمن رسول الآلهة وصاحب القوس ، "م أيوللو ٠٠ شم غيرهم وغيرهم ... ولم يحضر من ريات الأولمب واحدة! فقد احتجزهن الخجل عن شهود هذه الفضيحة ! ثم هاهم الآلهة يقهقهون ويضحكون ... ويتلهون بهذا للنظر العجيب، ويفول «بعضهم لبعض : « يا اللائم ساق إلى أوحم المواقب! ويا للأعرج الأكسح ، بشائي (١) السُّبَّاقَ الحجلي !! لقد استطاع فلكان أن يمسك بتلابيب مارس ، الذي هو من هو ١٠٠٠ مارس ! أسر ع العَدَّا تَين ! إن عليه أن يؤدى الغرامة الفادحة اللاله الأعرب ٥٠٠٠ م خاطب أيوللو - رب الشعاع الوضاء - هرمز فقال : « يا ابن چوف ، يا رسول السماء ، ألك في هذه الغفوة الحلوة في حضن ڤينوس ، على أن تقع معها في هذا الشرك؟ » وأجابه هرمز عابساً: «يا رب الرماة! بنفسي بنفسي!! منذالذي يأبي حضن فينوس في شرك هوثلاثة أضعاف هذا الشرك ، على أن

⁽١) إسبقه فيسبقه ،

برمقه سكان الأرض والسهاء ؟!» : وتصاحك سكان السهاء ، ولكن نقيل الذي ساءنه هذه الحال خاطب الحكان فقال : « هلم فلحكان الذي ساءنه هذه الحال المالاسل والأغلال ، وإلى رعم لك ، كفيل أنه ،ؤد إليك كل ما نقرض عليه من غرم!» ورمص فلحكان أن يطلق فريسته ... « لأنه من يصمن ألا يمطلني مارس وهو لا يلوى على شيء ، غير على المكل ما عساه أن يعد ؟» . وقال رب المحار : « ليطمئن قلمك يا فلكان موعرتي وجلالي إلن لم يف مارس لأيجزن أنا ، ولأؤدين عنه غرامته!!» . فأجاب رب الحديد الصماع : « إذن ، فلن يخيب رجاؤك ، وان يرد طلمك !» وتقدم فعك الأعلال عن العاشقين العاسقين ، وانطلق مارس الله مأواه بأرض تراقيه ، وانطلقت فينوس إلى مرتمها الجميل بأرض بافيا — حيت تلقاها ربرب من أترابها بالبشر والترحات ، فغسلنها ، وضيخها بالطيوب القدسية ، وأسملن عليها شفوف الصبا وأردية الشماب .

وفرغ دومودوكوس من إنشاده بين تأثر أوديسيوس وتلهف البحارة الفياسيين ، ثم أوماً الملك إلى أبنائه فوشوا وسط الساحة ، وأخدوا يرقصون فى حفة ، و يتقاذفون كرة غالية من صنع بوليپ ، فكان أحدهم يرسلها عالية حتى تدنو من السحب ، فيثب الآحر فيلتقطها وهو معلق فى الهواء ، ثم يتقاذفها أحدهم بعد الآخر ، بين تهليل الفتيان وتصميقهم الشديد . وسر أوديسيوس ممها أبداه أبناء الملك فى الرقص ، وأبنى عليهم لأبيهم ، ورجاه فى الذى رجاه فيه من تهيئة عودته ، فتوحه اللك إلى زعماء شعبه ورجاه فى الذى رجاه فيه من تهيئة عودته ، فتوحه اللك إلى زعماء شعبه

وقال: «يا زعماء الفياشيين وأشياخ الأمة! حرى بنا أن نكرم مثوى هذا الضيف الذي بدا لسكم من وقاره وحكمته وأثير أرومته الشيء السكثير؛ هلموا إذن أس إنكم إثنا عشر زعيا ، وأنا الثالث عشر ... فليحضر كل منكم بدرة من الذهب وصداراً مُفَوّفا فتكون من الجميع هدية سنية له ... أما يوريالوس فعليه هدية كذلك ، وعليه أن يعتذر مما فاه به » . ووافق السكل على ما اقترح الملك ، وأرسلوا رسلهم يحضرون البدر والصُّدر ؛ ثم نهض يوريالوس يعتذر ويقدم لأوديسيوس سيفا بُجراراً له مقبض من فصة ، وقراب مطم بالماج ؛ ؛ ودعا له أن تكلاه الآلهة بمين الرعاية حتى يرى زوجه وولده و بلاده ، بعد كل الذي احتمل من عناء وبصب . وتقبل أوديسيوس الهدية ، ودعا لصاحبه بحياة الأمن والسلم والرفاهية . ثم علق الجرار فوق كاهله الصخم .

ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس ، فنهض أبناء الملك يتسلمونها ، ويحملونها إلى داخل القصر ، حيث أمهم أريتا الملكة ... ونهض الملك وتوجه إلى الداخل كذلك ، وسأل الملكة أن تحضر ثوباً وأكسية ، وأن تعد صندوقا يتسع لهدايا الزعماء ، ملوك البحر ، التي خلعوها على الضيف ؛ وقدم هو هديته ... كأسه الخاصة من الذهب الخالص ، المحلاة بأبهج الطرف وأبهى التصاوير ... « ليذكري بها ، كلما أفرغ منها الخر تقدمه للآلهة » . وسألها أن تعد للرجل حماماً ينعشه ، وأن تعطيه الأثواب والأكسية كما يتدثر بها .

وأمرت الملكة حدمها وأعددن الحام ، وأحضرت هي ثو با فضفاضاً

فوضعت ميه بدَرَالذهب وكأس الملك وسائر الهدايا ؟ ثم تلفتت إلى أوديسيوس فقالت له : « والآن أيها السيد هلم فغلق هذا الصندوق فهو لك ، لتكون آمناً عليه إذا غفوت في السمينة » . ولبي أوديسيوس ، وأغلق الصندوق ثم ربطه بحمل طويل عقده تعقيداً . ثم دعته ربة البيت إلى حمامه ؛ ولله كم ألقت عيداه حين رأى الثوب الديباجي العظيم، الذي لم يلبس مثله منذ فارق كلييسو · · ثم اغتسل وتدثر ، وتضمخ بأحسن الطيوب ، و برركا حد آلهة الأولمب س و بينا هو يطوى الأبهاء إذا صوت جميل ذرغنة يهتف به ٠٠ وإذا هي الأميرة الفينانة — نوزيكا — واقفة خلف عمود وهي تقول : «س . س . ٠٠ أيها الغريب النازح ادكرني دائما ، أنا ، أول من لقيك هنا !! » وتبسم أوديسيوس وقال : « نوزيكا !! أنت؟ ابنة أكرم الملوك ألكينوس؟! لك الله ألاوحق جوف رب الصواعق لو صحت الأحلام ووصلت سالما إلى بلادى لظللت آخر الدهر أعبدك عبادة أيتها الجميلة العذراء كما أعبد الآلهة أربابي (» . و بلغ محلس الملك فاستوى إلى كرسي بجواره ، واجتمع الفياشيون مرة أخرى ، ودارت الأقداح ، وأجلس المطرب الأعمى الإلمى ، فخر شيرا ، قريباً من العرش ، وقدم إليه أوديسيوس جزءاً من شواء حمله أحد الندُّل ، فأقبل عليه المطرب حتى اغتذى؛ تم توجه إليه أوديسيوس بالحديث فقال: «كم أنت جدير بالثماء يا دومودوكوس ، بل أنت أولى به من أكثر الناس ! ليت شعرى ! هل ثقفت موسيقاك عن عرائس الفنون ، أم أنت قد حذقتها على أبوللونفسه ؟ لقد أنشدت ماكان من جيش الآخيين كا نك كنت شاهد عيان ، أو

كأن شاهد عيان قد قصه عليك ! أنشد لغمرك ا تحدت عن الحصان الهولة الذي صنعه إبيوس بإرشاد مينرقا ، والذي حمله أوديسيوس الجبار هو وصحبه إلى قلاع طروادة ، ثم احتبأ هو وهم فيه ، فسكانوا أول حراب إليوم!! تعن! إنى سوف أحمل اسمك فأنشره في الآفاق أيها المطرب المعجز الذي لا يماريه إلا عازف موسيقي السماء ، أيوللو ! تقدس اسمه » . وتمرلأ وللوعلى لسان المنشدفر احيقص الوعائع الطروادية مدحرق اليو بانيون معسكرهم ، و بعد إقلاعهم من شطئان إليوم ، وذاك الانقسام في الرأى بين الطرواديين بسدب الحصان الهولة أيقصمون ظهره أم يدقون عنقه أم يحفظونه تذكاراً لهذه الحرب وبصباً للآله سعلي كل حال لقد نقلوا الحصان داحل أسوارهم ليكون القاضي عليهم عن فيه من هذه النخبة أولى القوة من أبطال الإغريق ... وهكدا قدر علمهم في الأزل أن يهدموا قريتهم مأيديهم ... تغنى الشاعر المُفْتَنُّ بكل هذا ، وأثنى أيما ثناء على أوديسيوس الدى كان يكر كأنه مارس ، ومناوس الدى كان يفر كالصاعقة ، وعلى بقية الأبطال الصناديد الذين فازوا بالنصر في ظل ياللا — مينروا — رية الحكمة . وكان أوديسيوس بنصت إلى غناء المطرب و إنشاده ، ودموعه تنحدر غزيرة على خديه ، والآهات العميقة تشق صدره شقاً . كأنها آهات تلك الأم الرؤوم التي وقعت فوق جثمان زوجها الباسل تمكيه وتنعيه ، وقد سقط في الحومة يدفع عن مدينته أعداءها ، وقد وقف من خلفها أبناؤها خُضراً يتامى كأفراخ القطا · ثم يقبل الأعداء ميخمدون

أنفاس هذه الأم بضرية لازية ، فتنظر مرة إلى روجها القتيل ، ومرتين إلى أبنائها التاعسين ! كذاك كان أوديسيوس ، وكداك كان يخفي دموعه في طرف ردائه فلا يراها أحد إلا ألكينوس الملك الجااس قريباً منه .. وقال الملك متحدنًا إلى رعاياه : « أيها الزعماء والأشياخ المياشيون ، أولى المنشد ثم أولى أن يمر غمن إنشاده ، فلقد تصدع قلب ضيمكم ووهنت روحه مما يسمع من هدا القصص الحزين! لقد أحبيناه كأخ، ووهمنا له محبتنا وودنا وصافى أحوتنا لا ليحزن أو يأسى ٠٠ والآن ! هل يسمح ضيفنا میذکر لنا اسمه الذی یمرفه به آله و یدعونه به ؟ لقدکتم هذا عنا ، مهل ولد أحد ولم يحمل اسماً ؟ من أنت أيها العزيز ، وما الددك؟ وإلى أين تحملك سفينتي ويبحر بك رجالي ؟ القد منحنا نبتيون - رب البحار -الأمن في ذلك اليم وذلل لنا غواشيه ، ولسكنه ايس أشق عليه من أن تحمل سفننا أغراماً مثلك لا نعرفهم، فنبحر بهم إلى الادهم!! إنه يغصب علينا ، وقد يغرق سفننا تشفيا وانتقاماً حينها تعود أدراجها إلى بلادنا ، فتهوى إلى الأعماق ثم يسحرها إلى جبل ناتىء فوق العباب ، قِبَلَ شيريا ! تكلم أيها السيد ا أصدقنا! من أنت ؟ ومن أى البلاد قدمت ؟ وأين ضربت بطون الركائب ؟ وأى الأمصار شلهدت ؟ ومادا يفجر هذا الأسي في أعماقك كما سمعت عن جنود الآخيين ، وكمَّا ترددت في أذنيك أغنيات طرواده ؟ إن الآلهة تحيك من حاضر المرء طيلسان الهموم لغده ! أُقْتُل أُنُوكُ ثُمَةً ؟ أَمْ صَرَعَ أُخُوكُ تَحْتَ أُسُوارِهَا ؟ أَمْ قَضِي حَمُوكُ فَي سَاحَاتُهَا ؟

أم أودى أصدقاء لك أحباء في حلبتها ، كنت تعدهم كبعض أهلك ، أو أعز من أهلك ؟ تكلم!».

في أرض المردة (السيكلوبسر)

وشرع أوديسيوس يجيب عما تساءل عنه الملك فقال : « أيها الملك تعالى جدك ، لشد ما يُطرب ما تغنى هذا المنشد غناء الآلهة ! ولقل ماتعدل الدنيا بأسرها هذا المجلس الشادى ذا الأضياف والآكال والأشريات ا على أنني مجيبك على ما بدهك من دموعي وهمومي ، وما لقيت وما سوف ألقى مما قسم لى من أشجان وأحزان 1 إذن فاعرف اسم ضيفك الشريد الذي لا يجهل اسمه أحد ... ضيعك اللائذ بكرمك ، المستذرى بحاك، المتشبث بك ليصل في ظلك إلى بلاده مهما تقاصت ومهما نأت ... أنا أيها الملك ١٠٠ أوديسيوس ١٠٠ أجل ١٠٠ هو أنا أوديسيوس ذو الدكر، المعروف في السموات بالدهاء والمسكر ، ... ابن ليرتيس رب إيثاكا ، وملك نريوس ذى الشعاف السامقة ، والجزائر الآهلة حول ساموس ودلخيوم وزاسنتوس ، أم الجزائر التي تصافح تباشير الصباح بكل روضه فيحاء وخميلة لَفَّاء ، وجنات ذوات شجر وثمر ، صِبْغًا لأبنائها الأوفياء ... هناك ... حيث احتجزتني عروس الماء كلييسو في كهفها ، وراودتني لأكون بعلها … وهناك … حيث أغرتني سيرس هي الأخرى ، سيرس صاحبة جزيرة إيايا … التي حاولت أن تتخذ مني خليلا فأبيت ، ولم أقبــل أن أضمى أهلي ووطني ، ولو أصبحت زوجاً لإحدى الربات الخالدات …

ولكن لا ، هلم قبل كل شيء أقص عليك من أنباء رحلتي منذ بارحت إليوم ، ولأدع ما قبل ذلك فهو معلوم مشهور :

« أقلعت بما الفلك إلى بلد السيكون (إزماروس(١)) ، (فبدا لى أن أزيد في ثروة رجالي وما فازوا به من أسلاب طروادة ، فأشرت عليهم بمتح للدينة واغتنام ما فيها من كنوز وأذخار (٢)) وسرعان ما تم لنا ذلك ، فقتلنا المسكر وملكنا القرية ، ووزعت السبي والأسلاب على جنودى ، ثم أشرت علبهم بالرحيل معصوا أمرى ، وعثوا في المدينة مفسدين ، وعاقروا من الحز ، وعقروا من الشاء ما أذهلهم "عن أنعسهم ، وأتاح لأعدائهم لم الشعث ، فعجأونا مجيس عرامرم منهم ومن جيرانهم ، وناضلونا عن مدينتهم فأوقعوا بنا ، ولم يغننا أبا قاتلناهم حتى مطلع فحر اليوم التالي ، بل ظل مرسانهم الصناديد يكرون ويفرون ، حتى قذفوا بنا في البحر ، فوقفنا في سمائننا نناوشهم برماحنا . وصمدنا لهم حتى توارت الشمس بالحجاب فانسحبنا نجر أذيال الهزيمة والخزى ، بعد إذ انتزع السيكون فخار النصر . وعدت إلى الجند ... فوا أسفاه! ... لقد افتقدت ستة من رجال كل سفينة ... سقطوا في المعركة الخاسرة! وأجئنا الليل ، فجلسنا نتذاكر أسماء القتلي ؛ وماكدنا نفعل حتى سخر علينا حوف رب السحاب الثقال - ريحاً صرصراً عاتية أثارت البر والبحر ، وعصمت بمراكبنا فأطاحت قلاعها ومزقت شراعها ، ففزعنا إلى المجاذيف وأعملنا السواعد ، مستقتلين مستميتين ، حتى نجونا بعد لأى

⁽١) على النا الهيء اشمالي المحر إبحه .

⁽٢) مَا بِينِ القُوسِينِ مِن شَرَحَ الأَسْتَاذَ جَرِيرِ وَلَيْسَ مِن مَنْ الْأَرْذَ...ة .

إلى البر ، حيث تلبئنا ليلتين طو بلتين في أين و إعياء ، وشكاة وشقاء ، نصلح القلاع ونرتق الشراع . . وفي صباح اليوم الثالث تطامن السحر ونام هائجه ، فبادرنا إلى الفلك وأقلعنا باسم الآلهة مجراها ومرساها. وما كدنا نامتح شطئان ماليا ، حتى هبت روبعة عنيفة تلاعبت منا ، وحملتنا إلى جزيرة سيتيرا ... وطفقنا معدها مذرع العباب تسعة أيام أحرى ، حتى بلغنا بلاد (لوتوفاجي) ، هذا الشعب الغريب الذي يقعات بالفاكهة فحسب ، من دون ما تنبت الأرض وما يدب عليها ... ورسوما ثمه ، وأهر ع الملاحون إلى البر فاستراحوا وسمروا ؛ ثم تخيرت اثنين من أوثق رجالي ، وجعلت عليهما ثالثاً رئيساً ووجهتهم إلى سكان هذه الأرض ليتعرفوا أحوالهم ، فاختلطوا مهم ، وقابلهم اللوتوفاجي ماليشمر والترحاب؛ ثم عرضوا عليهم من ثمر اللوتس العجيب، الذي ينسي آكله ما سلف من حياته ، وَيَذَّبَتُّ ما بينه و بين وطنه من وشيحة فما يفكر عيه ، و إذا مكر ميه فمايؤثر أن برتدإليه ، بل يصبح كل مناه أن يأكل ويأكل ويأكل من هذا اللونس العجيب، وأن يعيش أبد الدهم بين أُولئكُ اللوتوفاجي السيحراء ! ... وتنظرت عودة رجالي ، بيد أنهم لم يرجعوا ، الضطررت أن أذهب بنفسي إلى حيث سحروا، فحملتهم قدراً إلى الشاطئ بين العويل و الضجيج ، وقذفت كلا منهم في قمزة مفاولا مكبلا مشدود الوثاق ، ثم أمرت الملاحين فأبحروا على عجل قبل أن يأكل سخمهم من اللوتس الملمون فيضلوا ضلالهم وينسوا أوطانهم ، ويظلوا في في هذه الأرض جائمين .

«وما عتمنا أن وصلنا إلى أرض المردة الجبائرة _ السيكاويس _ الطفاة العتاة ، الذين لا يخصعون لشريعة ، ولا يأتمرون بقانون ؛ الذين تؤتي أرضهم أكلها رغداً من غيركد ولا عناء حَبًّا وأبًّا ، وحدائق علباً وقضباً وعنبا ، كُسقى مما يفيض عليها چوف من ما له المعين ... يعيشون فوضى ، لا تر بطهم رابطة ، ولا يقوم بينهم نظام ؛ يأوون إلى كهوف موحشة ، وغيران سحيقة ، في قلل الجبال وأحيادها ... يُعني كل منهم بنفسه وزوجه وأولاده وقطعانه ، ولا يأبه للباقين ، وتلقاء أرضهم توجد جزيرة معشبة أريصة شجراء ، فيها من الماعز السائم قطعان لا حصر لها ، ولكنها مع ذلك يهماء (١) مُضلة ، لم تطأها فما غبر قدم إنسان ، ولم رُيرَش إلى حيوانها سهم صائد ، لأن السيكلو پس لم يحاولوا أن يركبوا البحر مطلقاً ، ولم يعرفوا طوال حياتهم هـذه الجواري المنشئات فيه كالأعلام . لذلك سلمت الجزيرة بما فيها من خير ، وتكاثرت قطعانها حتى امتلأت بها مروجها الخضر السندسية .. وثمة ، في جوْن هادى * جميل ، ألقينا مراسينا ، ونزلنا من سفائننا ، في ظلام الليل الدامس ، وفى حراسة الآلهة ، بعد إذ ارتطمنا بسيف البحر … ثم نمنا على الشاطئ * حتى مطلع الفجر ؛ وأشرقت أورورا تنضر بالورد مشرق الأفق ، فنهصنا نحوب الجزيرة ، ونتفيأ ظلال الحور ، ونرى عرائس الماء ترعى الماعز ؛ فبادرنا إلى سفننا ، وأحضرنا الحراب والأقواس، ثم تفرقنا ثلاث فرق ، وشرعنا نصيد من هذا الحيوان ، فاجتمع لنا منه الشيء الكثير ، ونال

⁽١) مضلة لا يهدى فيها .

كل من رجال سمائننا الإثنتي عشرة تسع أعنز ، بعد أن تخيرت عشراً لنفسي ؛ وابثنا يومنا هذا نغتذى بكل شواء حنيذ ، ونكرع كل كأس روية ، في غير تخمة ولا شجى (١) . وللآلهة تلك الحر السلاف السيكونية التي افترعناها من زقاق أزماروس ! ثم نظرنا ناحية الغرب ، فما راعنا إلا دخان كثيف يَصَّاعد في الأرض القريبة ، ورغاء وضوضاء كالرعد تنتشر في جنباتها ، وإذا هؤلاء السيكلو پس المردة ينتشرون في الأرجاء ، وأمامهم قطعانهم من الشاء والأنعام . أعداد لاحصر لها ... عليها إذا عدَّ الحصى يتخلف !

ونمنا ليلتنا مروعين ، حتى إذا بزغت أورورا نهضنا واحتشدنا في صعيد واحد ، ثم قمت في رجالي خطيباً ، فقلت : « أيها الإخوان ا لتبق غالبيتكم في هذه الجزيرة ، فإنى ذاهب في نفر منكم نرود هذه الأرض ، ونعرف من أنباء أهلها ، ونعلم من أحوالهم ، ونرى هل قوم ظلم وضيم ونضال أم هم ربيون بهشون للمكرمات ، و يخبتون للآلهة ؟ »

« وأقلعت في نخبة من رجالي فوصلنا طرفاً من الجزيرة ناتئاً في البحر، فوقه قلاع مشرفة عليه ، فهبطنا فيه ، وذهبنا نروده ، حتى انتهينا إلى كهف عظيم ضارب في الصخر ، وقد نما الغار الجميل عالى بابه الضخم ودخلنا ... وأثار دهشنا هذه الحظيرة الكبيرة في وسط الهكهف ، تتسع القطعان لا عدد لها من الأنعام والأغنام والماعز ، ثم هذا العناء العظيم المحدق بها يفصله عنها سور عتيد من الحجر الصلد ، مُتَرَّس بجذوع الحور المحدق بها يفصله عنها سور عتيد من الحجر الصلد ، مُتَرَّس بجذوع الحور

الشجى هو العصم بالشراب

والسنديان ؛ ولقد عرفنا فيما بعد أن صاحب هذه المغارة مارد جبار من أراذل السيكلوبس ، لصق تهذا الطرف من الجريرة يعسف ويظلم و يملؤه نغياً وعدواناً ٠٠ ثم هو إلى الجان والشياطين أقرب منه إلى أى خلق آحر ؛ فوجهه مربد عبوس أبدا ، وهو إلى ذلك هولة تحسبه إذ تراه قطعة من الصحر محت منها ناطور فوق ناصية الجبل .. ؛ ... وتوقلنا(١) وكان معى رق من خمر معتقة مما أعطانيه مارون بن إيقانت ، قَسِّ فو بوس ، رب إزماروس ، لقاء ما أبقينا عليه وعلى زوجه وأولاد. يوم غزوتنا لقريته ... يا له من كاهن سمح طيب القلب ؟! لقد مفحني بأكرم اللهي(٢) وأجزل الهبات ؛ وهل أنسى ما حييت تلك البدر السبع من الذهب الخالص ، وذلك الدّن من الفصة الغالية ، وتلك الجرار الإثنتي عشرة من الخندريس الصرف التي تشرب باسم الآلهة ؟ لقد كان يغديها بنعسه وماله ، فلم يكن يعرف مخبأها أحد غيره وزوجه وأمينه ... لقد كانت كأس روية واحدة من هذه المدامة تمزج بعشرين ضعف من . الماء القراح ، وهي مع ذاك سكر ولذة وروح علوى للشار بين ؛ ثم كان معنا رُكُورُ (٢) به أكل كثير، وكنا عدداً عديداً من الأبطال الصناديد، ولـكنا مع ذاك كانت تعترينا رعدة ، وكان يشيع في قلوبنا مزع ، أن يفجأنا هنا الجني صاحب المركان ، الذي لا يخشى فينا شريعة ، ولا يرده عن أذانا قانون سن شم توقلنا كذلك ، فأشرفنا على مغارة سحيقة مي

⁽١) أَوقل: صعد فوق جبل ،

⁽٢) المطايا .

⁽٣) الركز (الحر جُ) بضم الراء ١٠ يحمل قبه الراد .

مقام السيكلوب ومنامة من غير ريب ؛ بيد أننا لم مجده عندها ، فقلنا ربما انطلق بقطعانه يرعاها في المروج القريبة ورددنا الطرف في المغارة فرأينا مصافى كثيرة معلقة ينز الحصير(١) منها ههنا وههنا ، فعرفنا أن السيكلوب يصنع الجبن من ألبان مواشيه ، سما وقد امتلاً المكان بمواط كثيرة مفعمة بالحصير والمخيص . وعلى مقرية منا شهدنا حظائر واسعة لصغار الشاء والحملان والماءز ، وقد قسمت فرقاً حسب سنها ... وقد بدا لبعضنا أن نذهب بما هنالك من جبن وزيد ، وأن نستاق الحلان والجذعان إلى سفائننا ، غير أبي - وا أسفاه! - تأبيت ، لأنني آثرت لقاء السيكاوب ، رجاء أن ينفحني من كنوزه ، ويسبخ على من آلائه ؛ ولذا ، جلسنار يثما يعود ، وأكلنا منجبنه وزبده ، وأشملنا ناراً نستدفى ، ثم إذا هو يطوى المروج الخضر بقطعانه ، وإذا على كاهله الرحب أثقال وأحمال من الحطب وفروع الشجر اليابس، حتى إذا كان لدى الباب ألقاها في بطش فاهترت الأرض ودوَّى المكان ، وانحبس وصيد الكهف ، فانقذف الرعب في أمئدتنا ، فهرولنا مذعورين صعقين ، واختبأنا كالخفافيش في زوايا المغارة وشقوقها ... أما هو ، فقد أدخل قطعانه ، واحتجز ذكرانها في الفناء الخارجي ، ثم أخذ في حلب الإناث في الرحبة الداخلية .. ونهض بعد ذلك فسد مدخل الكهف محجر واحد كبير لو وضع على عربتين عظيمتين لم يستطع عشرون ثور ضخم أن تزحزحه من مكانه س وجلس يحلب النعاج والماعز ، وكلما فرغ من

⁽١) الماء يستط من الجين .

واحدة أرسلها إلى جذعانها(١) ترضع ما تبيقي في ضرعها .. وكان يقسم لمنه قسمين ، فيحتفظ بأحدها لشرابه ، ويمخض الآخرلز مده وجبنه ؛ ثم فرغ من هدا كله وأضرم ناراً عظيمة ماكادت تلتهب حتى رآنا معلقين فوق نؤى الـكهف . فصاح بنا : « من هنا ؟ وي ! من أنتم أيها الغرباء ، ومن أى البلاد تزحتم وفيم خضتم هذا العباب إلى هنا ؟ آفاقيون ؟ أم تجار؟ أم قرصان تعيثون في بلاد الناس؟ » وزلزلنا زلزالاً عظما ، وكان صوته الأجش الخشن يلقي الرعب في قلو بنا فتعتلج اعتلاجاً نمم إلى جمعت ماتبقي من وعيي ، وما أنتي عليه الروع والهلع من إدراكي ، فقلت أجيبه : « نحن إغريقيون أيها العزير وقد ذرعنا البحر اللحي شرقاً ومغربًا ، وتقاذفتنا فوقه كل ربح ، منذ بارحنا إليوم التي فتحها الله علينا ، لأننا من عساكر أجاممنون الملك ، ابن أتر يوس الـكريم ، قاهم طروادة ، ومبيد الطرواديين … وها محن أولاء ، قد لذنا بك بعد طول النصب ، فنضرع إليك أن تفيء علينا مما أفاء حوف عليك ، وأن تردنا عامين ... فيا مولانا أكرم مثوانا ، فنحن الأغراب في كنف چوف أبداً ، وأينها نول ّ فإنه معما » .

وتجهم السيكلوب الجنى وقال مغضباً مستهزئاً: «حسبك أيها الأخ المغفل ما حوفت من چوف ، فنحن السكلوپس لا نبالى چوف ، حامل إيجيس (٢) ، ولا سكان الساء قاطبة … أنا أقوى منهم بكثير ، وأنا مفسى ، لن آبه لأيما نذير من چوف كبير الأولب … ولكن حدثنى

⁽١) جمع جذع بفتحتين كل حيوان صغير عير مفترس .

⁽٢) درع .

قبل كل شيء متى ألقت سفينتكم مراسبها في أرضنا ؟ وأين هي ؟ أقريبة أم قاصية من هنا ؟ قل الحق ولا تخف عنى شيئًا » ... وأجبته في حيطة ورفق ، وقد عرفت ما رمي إليه : « لقد نسف نيتيون رب البحار مركبنا في اليم نسماً ، وسلط عليها الزوابع فحرت بألواحها بعيداً .. بعيداً من ههنا ... وبجوت مع هذا النفر من رفاق فقط إلى شاطئكم ٣ ولم ينبس السيكاوب الجبار بكلمة ... بل أقبل نحونا ، وانقض على رجالى كالصاعقة ، ثم أمسك باثنين منهم ، وأرسلهما في الهواء ، ثم ضرب بهما أرض الـكهف ذات النؤى ، فتهشم رأساها ، وانتثر المنح فوق الحجارة هنا . . وهنا . وألقاها بعد ذلك في الجمر المتأجج حتى نصجا ... واستوى كالسبع الرئبال ، وطفق ينهشهما ... ولم يمض وقت طويل حتى أتى عليهما ، غير مبق على عظمة واحدة ؛ أما نحن ميا لآلهة السهاء.. لقد كان هذا المنظر الفاجع يعصف بنفوسنا ، ولم عملك إلا أن نرفع الأكف فنبتهل إلى حوف أن ينجينا . وأن يرحمنا ؛ ولم يكن لنا معذاك من أمل في تجاة إ

و بعد أن أشبع الجبار نهمته من هذا اللحم الآدمى الفريس ، و بعد أن شرب من اللبن شرب الهيم ، انطرح بين قطعانه ، وجعل برسل في السكهف شخيراً مزعجاً ، وقد حدثتنى نفسى أن أنقص عليه فأحوض في لَبَّتِهِ بجرازى ، ولكن مكرة سودا طافت برأسى ، حينما نظرت إلى باب السكهف فأبصرت الحجر الضغم الذى لا يطيق أحد أن بزحزحه ، وتذكرت الموتة الجاهلية المفزعة التي سنموتها إن علت ، فقنطت قنوطاً

شديداً ، وأرسلت آهات الحسرة والندامة أنا وأصحابي وانتظرنا بقلوب فارغة تباشيرالمجر، ورأينا أورورا الوردية ترسل أول أشعتها من الكوى البهيغيرة ، فهب السكلوب إلى قطعانه ، وأخد في حلب إناثها ، وكلا فرغ من واحدة أرسلها إلى صغارها ترضع وتنخب ؛ ثم إنه قبض على اثنين من رجالي وفعل بهماكما فعل بصاحبينا أمس ، حتى إذا فرغ من إفطاره ، هب إلى الحجر وزحزحه في سهولة ويسر ، كأنما كان بزحر م غطاء آلية ، ثم استاق قطعانه ، وأعاد الحجر إلى مكانه ، ومضى يرعى بُهمه ، و بقينا نحن ندعو ثبورا ٠٠ وفكرت ألف فكرة في وسيلة أنتقم مها من هــذا المارد الوحش ، وتوسلت بمينرڤا أن أستطيع … وانعرجت أسار برى فجأة ، وأشرق وجهى بنور الأمل … ذلك أنني أبصرت بجذع زيتون مشذب أعده الجنَّى ليكون عصا يهش بها على قطعانه ، فقلت. في نفسي : «ولم لا يكون في هذا الجذع خلاصنا؟» ، ثم إني أمرت رجالي ببرعي أحد طرفيه ، وكان الجذع طو يلا جداً ، يصلح سارية لسفينة كبيرة يعمل فيها عشرون بحاراً … فأقبلوا عليه ينحتون ويبرون ، وأكببت أنا على نهاية الطرف أحدده س ثم انتهينا من عملنا وأخفينا الجذع تحت القش الكثير اللقى فى الكهف ، وجلسنا نتخير من بيننا أشجعنا وأكثرنا أيداً وقوة ، وأشدنا استعداداً لحمله وغرزه من طرفه المحدد في عين السيكلوب ... وانتهينا من ذلك إلى أربعة ، وكنت أنا خامسهم ... ثم عاد الجني في موعده فأدخل قطعانه وأرجع الحجر إلى مكانه ، وجلس يحلب الإنات ويقسم اللبن ويمخضه ، ويرسل كل جذع إلى أمه ؛ ثم نهضُ إلينا فبطش

باثنين منا وتعشى بهما ، وقبل أن يستلقى على الأرض ليستريح أفعمت كأساً كبيرة مما كان معنا من خمر مارون وتقدمت بها إليه وأنا أقول : « ألا أيهذا السكاوب! هاك كأساً من الحرر إذا تحسيتها بعد أكلتك الهنية من اللحم البشري عرفت أي خمر فقدنا في سفينتنا المغرقة . لقد كنت أحضرتها تكرمة لك إذا أنت أكرمت مثوانا وأطلقت سراحنا وساعدتنا على العودة إلى وطننا سالمين! ولـكن! أواه ا إن سورتك طامية أيها القاسي الجبار، و إن أحداً من البشران يجسر على أن يقترب من جزيرتكم بعد اليوم ! » . وأخذ الـكأس فعبها عباً ، وسر بها سروراً كبيراً ، شم سأل أخرى فقال: «أيها الفتى ما اسمك ؟ إعطني كا سا أخرى و إنى متيبك عليها . إن لدينا خراً صرفاً من أكرم ما تعصر العناقيد ، يسقمها چوف من شآ بيبه ، ولـكنها أبداً لا تبلغ هذه الحمر البكر جودة » وأعطيته ثانية وثالثة ، وراح المجنون يشرب ويشرب ، ولما شهدت النشوة ترقص برأسه قلت له في ظرف : « أيها السيكلوب لقد تساءلت عن اسمى ، ألا فاعلم أنه أوتيس (١) ، و به أسمى في بلادي ! ولـكنك وعـدت أن تثيبني على ما قدمت لك من خمر ، فماذا عساك مانحي ؟ » فاستهزأ السيكاوب وقال: اطمئن ياصاح! سأهب لك أن تكون آخر من آكل من خوانك .. هذا هو جزاؤك ! » وتثان وتثانب ، ثم انطر ح وسط قطعانه يغط في نوم عميق وكان يصعد أنفاسه بقوة فتنقذف من بلعومه

⁽۱) أوتيس Outis معناها (لا أحد) ولم يستحسن مترجمو هومر، ترجتها ، لأنها قد تدى (ذو الأذنين الكبرتين) ولم نؤثر ترحتها كذلك.

شوائب من خمر ، ممنزجة بقضات من لحم بشرى ؛ وقفزنا إلى جزع الزيتون فوضعنا طرفه المحدد المبرى فى الجمر المتأجج حتى تأجج مثله ، و بكامات قليلة أثرت النخوة في نفوس إخوابي حتى لا تخذلهم قواهم ، ثم استعنت الآلهة فابتعثت فينا قواها السحرية ، واستجمعنا كل ما مينا من مُنَّة اليأس ، ووضعنا الطرف المشتعل في عين السيكاوب المقفلة ، وحركنا الجذع وطفقت أنا أقلبه فيها من مكان عَل ، كما يفعل السَّعان الصناع عتقامه في خشب السنديان … وانبجس الدم من عين السيكاوب العمياء، وجحظ إنسانها كأنه عين حمئة من دم وعَــَلز · وقصاراى : القدكنا كالحداد الماهم الذي يطغيء سلاحا محمى في ماء بارد!! ولقد صرخ السيكاوب(١) صرخة ردد أصداءها الكهف به ثم رددتها الغيران والجبال المجاورة ؛ وذعرنا نحن ، فلصقنا بالشقوق والزوايا ؛ وراح الجني الجبار يخبط في ظلام العمى بعسد إذ انتزع الجذع المشتعل من عينه ، وهرول كالجبل محو الباب فوقف عنده ، وطفق يولول و يهتف و يصيح ، ويدعو جميع إخوانه السيكاو پس كلاً باسمه ، فاجتمعوا إليه من كل فج عنيق ... وقال قائلهم : « ماذا دهاك يا پوليفيم حتى تروعنا هكذا فى ظلام الليل وحتى تقض مضاجعنا بصراخك الفظيع ؟ هل خِفْتَ أن يستاق أحد قطعانك ، أم خشيت أن يقتلك أحد بقوة أو غذر؟ » وقال يوليفيم وهو يتصدع : آه يا أصدقائي ! إني أموت ! ولقد قتلني أوتيس! » فقال

⁽١) يحسس أن ملفت نظر القياري، إلى طبيعة السيكلوب وأنه لا يملك إلا عيا والمدة

قائلهم : « إن كان أوتيس — الذي هو لا أحد — قد ألحق مك أذي هَا صنع بك هذا إلا حوڤ ؟ تجلد يا صاح ، وادع أبانا ستيون ايساعدك ، يأتك من أعماق اليم» ثم تركوه وانصرفوا لشأنهم، وضحكت أنا في سريرتي لأنى استطعب أن أعمى عليهم بهذا الاسم الملفق المفترى: وما برح بوليميم يبكي ويعول ويهزه الألم والأسي ، حتى زحزح الحجر الذي يسد الباب ، وجلس عنده ، ماداً ذراعيه ليمنع أحداً منا أن يفلت أو أن يذهب بعض أنعامه ... إنه يحسبنا بلهاء مثله !!. وجلسنا نعمل الفكرة بعد الفكرة ، ونرسم الخطط تلو الخطط لنجاتنا ... حتى تاحت لى مكرة حسنة ، أيقنت أنها تعلتنا من هـذا السجن السحيق إن كان شيء مستطيعاً أن بطلق سراحنا منه ؟ لقد مكرت وفكرت ، فبدا لى أن لدى السيكاوب كباشاً كنازاً تستطيع أن تحملنا إذا رُبط كل منا تحت بطن واحد منها . لقد كانت الـكباش سمينة حقاً ، ذات فراء كثة وقوة كبيرة فقمت من فورى فجدلت من أغصان الصفصاف التي كان السيكاوب الشنيع ينام فوقها، وجعلت من كل ثلاثة حبلا واحداً، ثم ربطت كل رجل تحت بطن كبش كبير قوى جعلته بين كبشين لا يحملان أحداً ، بل يكونان وقاية للمكبش الذي يحمل رجلا بينهما ١٠٠٠ أما أنا فتعلقت بصوف المكبش الأخير ، وبقيت ساكناً صامتاً ، ومكثنا هكذا ننتظر الفجر المقدس الرهيب ، بعيون وآكفة وقلوب واجمة ... حتى بزغت أورورا مهروات الذكران كعادتها للمرعى ، و بقيت الإناث لـكي تحاب ، وتهادت الكباش بالأثقال المعلقة تحتها وهي تكاد تنوء بها، وكان السيكاوب

لايزال يعول ويشكو بنه إلى غير سميع، وكان يلمس بيديه ظهور الكباشي وهولايدري ما تحتها ، حتى إذا رزكبشي ، زلزلت زلزالا، وسمعته يقول له وهو يتحسسه : « ياكبشي الحبيب مالك استأنيت هكذا وكنت دائمًا سباقاً إلى المرعى على رأس القطيع تقصم المكلاً الحلو . سباقاً إلى الغدير ذى الخرير تنهل من مائه السلسبيل؟ بلكنت سباقاً كذلك إلى مأواك هنا . في كل مساء ؛ ويحك و يحك يا كبشي الحبيب! لقد أسيت لي ، وحزنت من أجلي ، وشعرت بما دهي صاحبك من التعس الرجيم أوتيس، وأتباعه اللؤماء المفلوكين - أوتيس الذي سحرني مخمره ٠٠ ويل له ؟ إنه لن يُفلَت من الموت اليوم! آه لوكان قلبك مثل قلبي ، وآه لوكان بي بصرك الحديد ميداني أين احتبأ أوتيس التَّوسِ ! إذن كنت أحطم رأسه فوق هذا الصخر، أوتيس الوغد ··· الذي اسمه لا أحد!! فهو لا يساوى شيئًا؟». ثم أعلته المغفل فانطلق الـكبش في إثر رفاقه ، حتى إذاكنا بعيدين من الـكمف ومن صاحبه قفزت من مكمني ، وعدوت فأطلقت سراح رفاقي ، وسقنا مخبة من أحسن النعاج إلى حيث سفينتنا المختبئة في الجون الهادىء في ظلال الحور والسنديان ... وأبحرنا من فورنا وصانا إلى إخواننا في الجزيرة الأخرى، الذين هنأونا بقدر ما ذرفوا الدموع على ضحايا بوليميم !! واعترمنا الإبحار فاستعد كل فى سفينته ، وأقلعنا لا نلوي على شيء . حتى إذا كنا على مبلغ الصـوت من الثامليء ، نهضت وجعلت أهتف بالسكاوب بوليفيم هكذا : « بوليفيم ! لقد بؤت بما صنعت يداك ، وكان جزاؤك وفاقاً ، أيها النذل الخسيس ! لقد حسبت أنك تغتال رجال

قائد لا سلطان له عليك ، ولا قدرة له على الانتقام منك ، فرحت تغتذى كالوحش بلجم ضيوفك الذين لجأوا إليك وتفيأوا ظلك . فاهنأ الآن أيها الهولة بما حل بك !» . وماكدت أصمت حتى ثار ثاثره وغلت مراجله ، وانتزع صخراً كبيراً من شعاف الجبل، وقذف به فى قوة وعنفوان ناحية الصوت ، فهوى الصخر على مقربة منا ، وكاديهشم سكان الســـفينة ؟ وقد انفرج البحر، وانشطرت أمواجه، وارتدت السمينة نحو الشاطىء حتى لـكادتأن تغوص في رماله وتتحطم على أواذيَّه ، لولا أن أمسكت طالسارية الكبرى وجعلت أدفع وأدفع حتى عادت السعينة إلي مكانها في البحر · وابتعدنا قليلا · وجاهد رجالي بمجاذيفهم حتى كنا على مسافة هي ضعف المسافة الأولى ٠ وهنا ، حاولت أن أصيح بالسيكاوب مرة أخرى ، غير أن إخوانى حالوا بينى و بين ذلك ، وسمعت بعصهم يقول : « ويك أوديسيوس ! لم تهيج الجني بكاياتك . وقد كاد الحجر الذي قذفه إلينا يودي بنا جميماً ويحطم سفينتنا على الشاطيء ؟ أما محمد الألهة التي أنقذتنا من ساعديه الجبارتين ، وهو لو سمع ركزاً من أحدنا لهشمنا جميعاً قبل أن نغادر غارِه ؟ » على أنني ما أصخت لهم ، بل هتفت طلارد الجبار أقول: «أيها السيكاوب الطاغى! إذا سألك أحد عن عماك فقل له أعماني أوديسيوس ابن ليرتأيس الإيتاكي ! » وتأوه المارد حتى كاد يتصدع وقال : « و يلى منك ! لقد صدقت النبوءة ، وتحقق ما قال تلموس يوريميد النبي الذي شب بيننا وطالما تحدث إلينا معشر السيكاو بسعما حباً القضاء في صحف الغيب لنا ؛ لقد قال لي إني سأفقد بصرى على يد

رجل من البشريدعي أوديسيوس، فظلات أنتظره، وكنت أحسبه مخلوقاً طو يلا عظيم الجسم بادى القوة ٠٠٠ فإذا هو أنت أيها القزم - اللاشي ا ! -الذي قهرتني أولا بالخرثم أذهبت بصرى وأطمأت النور من عيني ! أوه ... ولكن · عد إلى يا أوديسيوس وحل غلى ضيفاً من جديد ، أكرم مثواك ٠٠ وأصل مرن أجلك لأبى ٠٠٠ نيتيون ٠٠ الفخو. بى ، أن يمهد لك البحر ، ويطامن من تحمَّكُ الموج حتى تصل إلى بلادك سالما ... إنه وحده هو اللطيف بي ، وليست قوة في الوجود غيره تستطيع أن تشفيني وترد على مصرى! » فقلت له: « بنفسي لو استطعت فقذفت بك من حالق إلى قرار جهنم فلا يقدر أحد على رد بصرك إليك - حتى ولا ألوك هذا ! ٥ . وغيظ السيكاوب وحنق ، ورفع كفيه إلى السماء يصلى لأبيه هكذا : « أبتاه نيتيون الحيط بالأرض اسمع دعائى ، يا صاحب الشــــمر اللازوردی، إذا كنت حقاً أبى، و إذا كنت حقاً تفخر ببنـــــوتى فاحرم هــذا القزم المدعو أوديسيوس بن ايرتيس الإيثاكي من العود إلى بلاده ، إلا أن يكون هذا قضاء في الأزل فأقم العقاب في طريقه ، وشرده طويلا في البحر ، وأغرق سفائنه ، واقبر في الأعماق أصحامه ، وأحوجه إلى ذل السؤال وطلب المعونة من الناس ليمدوه بمركب يعود عليه ؛ و إذا عاد فليلق الهم والغم مقيمين ببابه ... آمين ! » ولي نيتيون ، ورفع السيكاوب حَمْجُراً أَضْخُمُ مِنَ الْأُولَ ، وَجَعَلَ يَهُومُ بِهُ بَكَامًا يَدَيُهُ ، ثُمَّ قَذْفَهُ قَذْفَةُ هَاثُلَة ، فَذَهِبِ يَرِنْقِ فُوقِنَا ، وسقط وراءنا بمقر بة من السكان ، فانشطر البحر فِرقين كل فرق كالطود العظيم ، ثم انحسر الماء فجرت السمينة إلى الشاطىء

مرة أخرى ، ولكنها هذه المرة أرست على الشاطىء الآحر الذى أرست عنده سفائننا الأخرى ، حيث أقام إخواننا يشهدون المعركة الهائلة ويجزعون … ثم إننا نزلنا إلى البر ، وفرقنا الأنصبات من نعاج السيكاوب بيننا وكان من نصيبي ذلك الكبش المقدى الذى مجانى ، فذبحته على رمال الشاطئ قربانا لجوق المتعالى … وا أسعاه! إن أكبر ظنى أنه لم يقبل قربانى ، لأن أكثر سفائننا أغرقت فيا بعد … وأكلنا هنيئا ، وشر بنا الخر المعتقة ، وانتظرنا مد البحر ، ولكنه استأنى علينا ، فنمنا وأصلحنا القلاع ، وأبحرنا ، بقسلوب واجفة ، ونفوس نال منها الهلع ، وأصلحنا القلاع ، وأبحرنا ، بقسلوب واجفة ، ونفوس نال منها الهلع ،

أودسيوس يروى قصته

ا يولوس وجعبة الرياح الأربغ
 ا في جزيرة الجبابرة
 ا سيرس

« و بلغنا جزيرة الأيوليين حيث يحكم الملك إيولوس بن هيوتاس ، حبيب الآلهة . وهي جزيرة تلوح طافية فوق العباب بسورها النحاسي الهائل ، وأواذيها التي يتكسر فوقها الموج . ولقد زوج الملك أبناءه الستة من بناته الست ، وهو يقيم معهم في قصره المنيف ، في فيء وارف من حب الملكة ، في بُلَهَدْيِة ورغد ، وعيش واسع مُخفرج ، و نعمى من حب الملكة ، في بُلَهَدْيِة ورغد ، وعيش واسع مُخفرج ، و نعمى

طائلة ، ولذائد شتى ... يقضون وقتهم فى لهو برى، ومرح ، ويأوون إذا أجهم الليل إلى سرر موضونة ، وزرابى مبتوثة ... وأرائك من حرير .

ولقد لقيتًا لللك بالبشر والإيناس ، وأقمنا في كنفه شهراً كاملاً ، ناعمين طاعمين ؛ ثم سألني فقصصت عليه قصة (إليوم) وكيف سقطت في أيدينا ، وما كان من إبحار أسطول الآخيين بعد ذلك ، وما تم من رحلتنا في ذاك العماب ، عاشين ، ضاربين على غير هدى ... ثم إنى ضرعت إليه أن يعيدني في خفارته إلي بلادي ، فأجاب ُسؤلي ، وأمدني بكل ما ييسر رحلتي ، ثم تفضل فشي معى إلى البحر ، حيث قدم إلى جعبة مصنوعة من جلد عجل كبير جسد ، خيل إلى أنه ذبح في سن التاسعة ، وهي جِعمة من صنع جوف سيد الأولمب ، حبس فيها عظيم الآلهة رياح العالم أجمع ، وأحكم رباطها بسلك فضى متين ، حتى لا يُفلت منها نمس واحد إلا بإذن ... وانطلق الملك بعد أن أمر زفيروس ـ رب النسيم الحلو _ فملأ شراعنا ، وهب بين أيدينا … وا أسفاه ! لقد كانت حباته اللطيفة الرخية عبثاً ، وضاعتٌ في غفلة من رجالي سدى! فلقد جرت بنا الفلك آمنة مطمئنة طوال تسعة أيام بلياليها ، ثم مدت لنا شطئان إيتاكا فخفقت قلو بنا فرحا ، واستطعت أنا نفسي أن ألمح مواطني الأعنهاء يوقدون النار في شعاف الجبال ... بَيد أني كنت منهوكا موهوناً من كترة العمل ووعثاء السفر ، وطول السهر والمراقبة ، فداعبت عيني سنة من المكرى ، لأني كنت أسهر على القيادة بنفسي طيلة الرحلة ،

ولم أكن آمن أحدًا من رجالي على الاضطلاع بها خشية الوَنِّي، ومخافة التأخير ... وبنيا كنت ناعماً ، لعب الوسواس في صدور رجالي ، زاعين أني أحمل أذخاراً من الذهب والفضة أسبغها على " إيولوس لللك ... قال قائلهم : « يا للا كلمة ! أبداً ما وطئت قدما أودسيوس بلاد قوم حتى تهالكوا عليه ورحين معجبين مكبرين! وهو اليوم يعود من طروادة ومعه من طُرُ فها وسَلَمها الجم الكثير … أما نحن فوا أسفاه علينا 4 لقد شاركناه تلك الرحلة المشئومة ، وها نحن نرضى من الغنيمة بالإياب ، ونمود منها أصفار الأيدى ، لا أمامنا ولا وراءنا ! وها هو أيضاً قد فار دوننا رفد ملك الرياح ، إيولوس العظيم ، هلموا يارفاق ! البدار إلى هذه الجعبة ننظر ما احتوت من أصفر وأبيض ، وأعطيات وهبات ... وَاُهَى! » ، وأقبل بسضهم على بعض ، وامتدت أيديهم إلى الجعبة فحلوا ر باطها … واحسرتاه! لقد انطلقت الرياح الحبيسة ، وزمجرت العواصف الهوج من كل صوب ، وطفقت تكسحنا في شدة وعنف .. بعيداً ... من إيثاكا ! ولقد قفزت من غفوتي خائفاً مذعوراً ... حتى لخيل لى أن طوفانًا قد غمرنا ! ... وظللت برهَّة في ذهول ودهش ، وطفت الأحزان على قلبي ، ورانت الهموم على نفسي ، وفت اليأس في عضدي … ولكنني لم أجد من الصبر بدأ ؛ فتحملت الــكارثة في هدوء وصمت ، وعصبت مُ رأسي بثوب شف ، وانبطحت في قمرتي ... وراحت العواصف تدفع الأسطول في غير هوادة ، حتى بلغ شطئان الأيوليين مرة أخرى ... وهنالك بكي صحبي ... ولات حين بكاء! وهبطنا الشاطي"، وكان همنا

أن نرتشف من ماء إيوليا المذب رشمات ، ثم جلسنا نعد أكلة عجلي ونلتهمها ؛ وتوجهت أنا وصديق إلى قصر الملك ثانية ... وقد كان يجاس لولمة كبيرة هو والملكة الحسناء المصون ، وأبناؤه الغر الميامين … واشد ما بدهه أن يرانا بعد طول النأى ، فحدجنا وقال : «ويك أودسيوس ميم عدت أدراجك ؟ وأى سلطان مشئوم لوى عنانك بعد إذ أرسلناك مزوداً بخير زاد لتصل إلى بلادك ، وتلقى آلك ؛ أو أى آل آحرين ؟ ١ » ، وكان فؤادى ينخلع حين قلت أجيبه : « تبارك الملك ! لقد حانني رجالي اللؤماء ، وخانني معهم طائف من الـكرى ! فإذا شاء الملك مليجبر ما انصدع منا ، وهو لا يزال صاحب الحوال والطوال ! » ... وهكذا شاءت المقادير أن أقف ضارعاً إلى هذا الملك من أخرى .. وقد تلمث . أبناؤه صامتين لا ينبسون ·· واكفهر وحه الملك وقال : « أيها الرجل انطلق . أغرب عن جؤيرتنا هذه يا أتعس الناس! إنطلق موالله إبي لأستغفر الآلهة أن أكرمت مثوى رجل مثلك عدو نفسه ، ممقوت من الأرباب ، مغصوب عليه من السهاء! » وهكذا طردني الملك شرطردة ، فمنيت على وجمى ، واقيت أصحابى ، وأبحرنا نذرع اليم المصطحب بمجاذيفنا ، ونسكب في هذه الأعماق المصطرية قوانا ، لا أمل الما في الوصول إلى بلادنا ، ولا رجاء في الخلاص من هذه البؤوس! ووصلنا مدينة ليستر يجونيا بعد نصب ستة أيام بلياليها ... تلك المدينة الموحشة التي بناها منالاموس العظيم … والتي (تغزو الحشرات مروجها نهاراً ، (1-c)

فيخرج الرعاة بقطعان الغنم ذات الفراء الكثة التي تحمى الحيوانات من ذباية الماسية وتدفع عنها غائلتها ، فإذا جن الليل عادوا بأغنامهم إلى حظائرها ، وذهبوا بالنعم لترعى في هدأة الليل ، ولتكون بمأسن من غوائل الذباب الذي يكون قد غلبه النماس)(١) . . وصلنا إلى هذه المدينة فألفيناها محصنة بسور عظيم من الحجر الصلد ، ينحدر قليلا قليـــلا إلى الميناء ، بمضيق صغير لا تعلو فيه موجة ، ولا يتحرك فيه الماء ... وقد أدخل رجالي سفائنهم في هذا البوعاز ، وآثرت أنا أن أظل بسفينتي عند فمه مما يلي البحر ، فألقيت مرساى ، وثبتها في حجر كبير ، ثم وثبت إلى الشاطي، وتسنمت ربوة عالية ، وأخذت أجيل ناظرى في الجزيرة... ولم أقف لإنس أو حيوان على أثر ، و مذت الأرض جرداء بلقعا ؛ بيد أن دخاناً كثيفاً كان بَصَّاعد من وسطها ؛ فرأيت أن أبعث ناثنين من رجالي جعلت عليهم ثالثاً رئيساً ، ليعلموا لنا من أنباء الجزيرة ، وليتجسسوا أخبار أهلها ... وقد قص هؤلاء آثار العربات التي يستعملها السكان في نقل الأخشاب من الغابة إلى مدينتهم ؛ واقوا عند مدخل المدينة فتاة عذراء تملزُ جرتها من عين ماء هنالك ؛ فما كادوا يسألونها حتى علموا أنها ابنة الملك آنتياتاس ملك هذه البلدة ... ومشت بين أيديهم حتى كانوا في قصر الملك، وهناك لقيتهم امرأة هولة عظيمة الجسم ، كأنها هضبة ، فلم يجسروا أن يمدوا إليها أبصارهم مما غشيهم من

⁽۱) کلام هوس هما غامض شدید اله وض ولدلك انكلنا فی إبانته علی شرح مترجیه

الفزع وكانت هذه هي الملتكة ، التي صاحت ، عند ما لمحت رجالي ، بزوجها ، فأقبل يهتز وتزلزل الأرض من تحته ، وما كاد يلمح هؤلاء الغرباء حتى أمسك تواحد منهم وخبط به الأرض فحطمه ... كأنما أقبل ليخوض معمعة .. ؛ وانطلق الآخران لا يلويان على شيء ؛ حتى بلغا سمائلنا ٠٠ ثم زمجر الملك بصوت قاصف كالرعد يدعو إليه رعاياه، فأقبلوا إليه من كل حدب ، مردةً جبارين كالأغوال ، لا عددٍ لهم ، ولا تقع العين على أبشع منهم " ثم تهاوَوا إلى الشاطي حيث أرست سفننا ، مجملوا يقذفونها محجارة من سجيل ، جعلت رجالنا كعصف مأكول، وجعلت مراكبنا حطاماً كان يهوى إلى الأعماق؛ بينها هؤلاء الجبابرة ينشلون قتلانا بحرابهم ليعودوا بهم إلى بيوتهم فرائس سائغة عِلاَ ون بها مطونهم ... وهكذا استمرت هذه المذبحة الدامية · وكنت واقفاً في مركبي ، وجرازي إلى جانبي ، فأسرعت إلى حبال المرساة فقطعتها به ، وبادر رجالي إلى مجاذيفهم فأعملوا فيها أيديهم … وبذلك نجونا من هذا الروع برغم الحجارة الهائلة التي كانت تتطاير فوق رؤوسنا وتتهاوى عن شمائلنا وعن أيماننا ، فتشيع في فرائصنا خطر الموت ... وظللنا نكافح الموج ونصارعه ، فرحين بنجاننا ؛ ومع ذاك ، فقد كانت تعتلج قلو بنا هاً وأسى على إخواننا ... ثم رسونا آخر الأمر عند جزيرة إيايا ، حيث تقيم سيرس ، ربة الغناء والسحر ، ذات الشعر الكهرماني ، أخت إيتيس الحكيم من أبيها الشمس ، وأمها برس ابنة

أوشيانوس(١) . وكمأنما مشت عناية السماء بين أيدينا فرسونا في حون هادئ ساكن في غير جلبة ولا ضجيج ، ثم هبطنا إلى الساحل فتلبثنا فیه یومین کاملین نستجم ونستر و ح ثما بنا من أین وجهد ، و کلما فرائس لما في أضالهمنا من شجو وهم وشجن . ثم إلى تسلحت ترمحي وسيـفي وحثثت خطاى فى أسناد الجبل حتى كنت فى ذراه الشاهقة ، ووقعت تُمة أنظر وأتحسس ، فلمحت في البعد دخاناً يصاعد بين الدوح والزهر من قصر سيرس . وبدا لى أن أتوجه إليه من فورى عسى أن أجد عنده خيراً . ولقد ترددت بعد ذلك كثيراً وكدت أعود أدراجي إلى السفيمة لأرسل نفراً من رجالي يكشفون لي الطريق إلى القصر ؛ وما كدت أخطو خطوات حتى ساق إلى أحد الآلهة ظبياً غريراً شرد من المرج المعشب الحلو ليستقى مما ألح به من ظمأ فأرسلت إليه رمحى فقصم ظهره ، وسقط يتخبط في همه ؛ وقطعت شيئاً من عساليج الصفصاف وحدلت منها حبالًا ، وأوثقت الغزال من أياطله واحتملته على ظهرى ، ومصيت تُقدُما إلى رفاق متوكئاً في كل خطوة على رمحى إذ لم تعد شيخوختى تستقیم لمثل هذا الحمل الکبیر! وهتفت برجالی فی مرح وظرف: « هاموا يا رفاق فلن نقضي قبل أن تحين آجالنا ! هلموا إلى ظبي فنيق وخمر عتيق ، واطرحوا ما بكم من هم وضيق ... » وأقبلوا مرحين وشمروا عن سواعدهم وهم يستهولون من جدل هذا القنص الغريض ، وظللما يومنا هذا نطعمُ ونشرب ، حتى إذا أرخى الليل سدوله انكفأنا على الشاطي "

⁽١) لم يتمرس شراح هومر لهذه العقرة ولذا أثبتاها كما هي .

نغط في سيات هاديء … وذرت أورورا ابنة العجر الوردية فهتفت برجالي · فهبوا ، نم جلسما ساعة نتشاور ، وأنا أقول لهم : أيها الرماق ! يا إخوا**ن** الشدائد! ها محن أولاءقد لصقنام ذه الأرض ولسنًا ندرى أيان نذهب؟ هل نَشَرُّق ، أو نغرب ، أو نظل هنا أبد الدهر ؟! ولكن هلموا ننظر لأنفسنا مخلصاً مما محن فيه : فإنى حيما تسنمت ذروة هدا الحبل أجلت الطرف في أرجاء هذه الأرض معرفت أنها جزيزة تترامى إلى مدى البصر ؛ شم إبى آنست دخاناً يعلو في الجو من وسطها ، ينبثق من سروات طوال ميها ، فَرُو الْأَنفُ كُمْ أَثَابِكُمُ الله ! » — وكأ بما سقط فى أيديهم ، وكأ نما حاقت مهم ذكريات آنتياتاس وقومه اللستر يجون ، وما لقوا من هول السَّـكالب • أ كلة اللحم البشرى ، فبكوا ساعة مر الزمان ، ثم استرجعوا حيث لا يجدى البكاء ... ثم قسمتهم فريقين ، جعلت على أحدهما يور يلاخوس ، قِرْن الْآلِمة ، وجعلت نفسي على الفريق الآحر ، وجلسنا نقتر ع على من يدهب لارتياد الجزيرة ، فوضعنا الرقاع في خوذتي ، ثم كانت القرعة على يوريلاحوس، فمضى ، وتحت إمرته اثنان وعشرون من رفاقنا ، كانوا جِميعاً يذرفون الدمع خوفاً وفزعاً مما وجهوا إليه ، وكنا تحن نبادلهم دمعاً مدمع و بكاء ببكاء ··· ووجدوا قصر سيرس في بطيحة (١) منخفصة ، فاذا رأوا ؟! قصر منيف مُمَرّ د تحدق به تمانيل حية من سباع وذؤ بان سحرتها سيرس بمقاقيرها ذات القوى الخارقة الخفية ... ولم تؤذهم تلك الوحوش، بلكانت تثب على أرجلها الخلفية في دل وتلطف، ثم تبصبص

 ⁽١) لأرض المتسعة :

بأذنابها كأنه أكلاب السادة العظاء حينا تتملقهم في وليمة من أجل لقمات ··· وتسمعوا ، فإذا سيرس تقغني بصوتها المعجب المطرب وهي تعمل على نولها ، مشغولة بنسيج سابري عبقري عجيب ، ليس يقدر على مثله إلا الآلهة . وكان في رجال الفريق أمير عظيم هو عنــــدي أربطهم جأنتاً فقال : ٥ أتسمعون أيها الأصدقاء إلى هذا الغناء الحلو تردده جنبات القصر؟ إنه لا شك غناء ربة الدار التي تعمل على نولها ، واست أدرى أر بة خالدة هي ، أم من بنات حواء ··· وعلى كل هلموا نهتف بها » . وتنادوا ،وأقبلت سيرس فهشت لهم و بشت ، وأذنت لهم أن يدحلوا ٠٠ فدخلوا ، وا أسفاه ، إلا يور يلاخوس فقد خشى أن تكون تمة مكيدة أو أحبولة . قادتهم إلى بهو كبير صفت فيه عروش فحمة من ذهب ، ما كادوا يستقرون عليها حتى أقبل الساقى بخمر وعسل ثم حيء بجبن وطعام آخر ، مخلوط بعقاقير سحرية تذهب وعي آكليها ، وتنسيهم ما سلف من أمورهم ، بل تسلمهم دكريات أوطانهم، ثم ضربت كلابعصاها السحرية بعدإذ أكلوا ورووا، واستاقتهم إلى حظائرها حيث مسخوا فكانوا خنازير ، وإن أبقي السحر على ألبابهم . أما طعامهم بعد هــذا ، فقد كانوا يتناولونه من يدها مباشرة ، فكانت تطعمهم جوز البلوط والشاهبلوط والـكريز(١) الكلابي . وما إلى هذا وذاك من أكل الخنازير الخسيسة السائبة .

وأقبل يوريلوخوس ينتفض من الذعر ، وينعقد لسانه فما يكاد يبين ، ثم هدأ روعه قليلا فطفق يصعقنا بأنباء ما رأى : «أوديسيوس

⁽١) السكريز: وجمعه السكراز بالغم الأقط، والراد هنا فاكهه السكرير ـ

ياذا ألححد! لقد ذهبنا نتحسس كما أمرتنا، ونرود هـ ذا الوادي الأنت ، فوحدنا قصراً مشيداً فوق أكمة عالية ، وسط بطيحة منخفضة ، ذا قبة سامقة جلست تحتها امرأة أوربة - لا أدرى - وهي لا تفتأ تعمل على منسج يخفةوصنعة ، وترسل ألحاناً حنوناً حلوة ؛ وما كادوايه تنفون بها حتى نهضت فلقيتهم بالبشر وفتحت بابها على مصراعيه فدخلوا جميعاً - حاشاي -فقد أوجست حيفة ، ووقر في قلبي أن ثمة شركاً نوسك أن نتردي فيه ؟ وقد راقىت رفاقى إذ هم جلوس لحظة غير قصيرة ، ثم هالني ألا أراهم فجأة !» وما كاد بنتهي حتى قفزت إلى سيفي فتسلحت به وأخذت قوسي وسهامي ، وأمرته أن ينطلق بين يدي إلى حيث ذهبو امن قبل، والكنه ركع أمامي وتعلق بساقى وجعل يرجو و يلحف في الرجاء ألا أذهب ··· « فإنك ان تهشل في إعادة رفاقنا فقط ، بل قد تفشل في أن تنجو بنفسك . فانطلق بمن بقي منا ، ويا حبذا لو استطعنا الفرار!» ولكني أجبته أن له أن يُدقى ـ هوفياً كل ويشرب في السفينة ، ويكون بنجوة مما فزع منه ، أما أنا ، فلم أر ضرورة لبِمَانِّي .

وانطلقت لا ألوى على شيء ، ولسكنى قبل أن أبلغ البطيحة التى بها القصر ، لقينى هرمن الحبيب إله العصا السحرية . وكانت محايل الصبا و بداوات الشبات تتدفق فى بردتيه ، وحمرة الورد تلتهب فى خديه ، لقينى فصافحنى متلطفاً وقال : « أيها التعس أيان تضطرب وحدك فى هذه الأرض ، وقد حبست سيرس من أرسلت من رجالك فى حظائرها بعد إذ سحرتهم إلى خنازير شقية ؟ هل أقبلت لتنجيهم ؟ أم جئت لتحتجزك

معهم إلى الأمد؟ ولكن اصغ إلى ؛ إنى سأحبط ما فعلت ، وسأحميك وأحفظك . خَذ هذا العقار (١) ولا يهمك بعد أن تدخل قصر سيرس فإنه ينقذك من كل خطر ... وهلم أعامك ما عندها من السحر ، إنها ستمز ج لك كأساً من الشراب بما عندها من رجس ، وستصع لك منه في طعام تقدمه لك فسكل وارو ولا تبال ، فهذه البقلة العجيبة التي أعطيك ستحبط كل ما تحيك لك فلا تقدر على مسخك كن مسخت من رفاقك ... فإذا عالجتك بعصاها السحرية فاهجم عليها بسيفك غير هياب، وأرسل إليها شرر الغضب من عينيك النها حينذاك تنقاد لك ، وتقودك إلى فراشها ، وتحتال عليك مصنعة الحب وتلطفات الهوى ، فاياك أن تنصاع لهما حتى تعطيك موثقها أن تبطل ما أنرات برفاقك من سحر خيرك بما ركب في طبعها من شر . » وانحني رسول الآلهة فالتقط عشبة من الأرض ثم وضعها في يدى وأخــذ يكشف لي أسرارها ويقص علي " قواها الخارقة . وذكر لي أن اسمها (مولى) ، و به يدعونها في السماء وأن الآلهة وحدهم يعرفون كيف يشفون مها رُقَى السحر ... وكانت جذورها سوداً حالكة السواد أما زهرتها فكانت بيصاء ناصعة البياض كاللبن ... وودعني هرمز ، ثم رف ورف ، وعرج في السهاء . وانطلقت أنا أخبط في ظلمات من هواجسی حتی کنن لدی باب ر به السحر التی وجدتها تعمل كما ذكر لى صاحبي على نولها ... و صِحْت صيّحة عالية ، فأقبلت تتهادى

⁽١) واحد العقاقير.

نحوی و متحت مصاریع أ بوابها ، ودعتنی ، فدلفت وراءها ، حتی کنا عند عراش عظیم ممرد فضی ، دی درج ، فاستویت علیه ، وذهبت هی فمزجت لي كأساً من الحمر بشيء من عقارها ، وقدمته لي فاحتسبته ، بيد أنبي لم أتغير ولم أتحول عن صورتي ، فضر بتني بعصاها السحرية وهي تقول: « هلم إلى الحظيرة حيث تقر مع رفقائك » ولم تكد تصمت حتى وثبت من مقعدى وامتشقت سيني ، وهجمت عليها ، وفي عيني جحمان من نار الغصب ؛ فروعت رية السحر ، وزلزلت زلزالا عظما ، وجرت نحوى ، وركمت عند قدمي ، وتعلقت بساقى ، وأخذت تضرع إلى وتقول فى بيان رائع وكلمات باكية : « عمرك الله من أنت ومن أين قدمت وما ديارك؟ تبكلم! أنت يا من لم تسحرك جرعتي الهائلة التي لم يذقها أحــد وظل في صورته لحظة واحدة! واحكنك تحمل قلباً لا تجوز عليه نفثات السحر ... هلم ٠٠٠ تمال ١٠٠ إلى إلى أعرفك أحسن المعرفة ٠ إنما أنت أوديسيوس الصناع ذو الذكر ، ولقد وصلت إلى هنا من إليوم بدورك فلم يشأ هرمز ذو العصا الذهبية أن يخبرنى عجيئك! ولكن اغمد سيفك، وهلم ننعم بالعناق فوق فراشي الوثير كزوجين ، وليفرخ روعك وليهدأ مالك .٠٠ اط. أن يا أوديسيوس هلم! » وصمت ملطة ثم انطلقت أجيها : « سيرس ! کیف تتصورین أن یفرخ روعی و پهدأ مالی وقد حبست فی رحابك رفاق وشركاء رحلتي بعد إذ سحرتهم إلى خنازير أيتها الربة ؛ ثم تخشين إفلاتي فتخادعينني وتبهرجين على بطلاسم الحب، داعية إياى إلى فراشك لتشو بي صفاء فضيلتي برجس رذيلتك ١٠٠٠ لا ١٠٠٠ إنى ان أقاسمك

هذا الفراش حتى تقاسميني أغلظ الأقسام ألا تلحقي بي أذى ، وألا تحاولي الإضرار بي » وراحت تحلف وتؤكد الحلف ، وتقسم وتغلظ في القسم ، ثم إنى انطرحت في سريرها الفخم الديباجي. وأقبلت أر بع من عرائس البحر ، حطرن من اليم وأقبلن من العيون والحرج المجاور لينهمن بخدمتنا ؟ أما الأولى فقد أصلحت من سريرنا وطرحت عليه مطارف الخز ؟ وأما التانيَّة فقد صفت الموائد ورتبت الـكراسي ، وجاءت الثالثة بزق عظيم من خمر طيبة ملأت بهـا الـكؤوس الذهبية المنضدة فوق الموائد — أما الرابعة فقد أعدت لى حماماً ساخناً وضمختني بأحسن الروائح والطيوب، حتى انتعش جسمى الخائر ، وتأرجت روحى الفاترة … ثم ألبستني ثو بين غاليين من أندر الديباج ، ومشت بين يدى إلى عرش عظيم مزدان بأحسن التصاوير ، مطعم بالذهب والفضة ، فاستويت عليه ، وأضعاً قدميٌّ على درج من لباه ناعم ٠٠ وأقبلت بعد ذلك عروس أخرى فصبت الماء على يدى من إبريق من ذهب ، في طست من فضــة ، وجاءت بمائدة حاملة بأشهى الآكال فوضعتها قدامى ، لكننى ما مددت إلى شيء من ذلك يدى ، لماكان يساور بى من الهم ، وما يشغل بالى من الانتقام ؛ فلما لحظت ذلك سيرس أقبلت تميس ، وأحذت تلاطفني وتقوّل : « مالك تجلس ساكناً هكذا يا أوديسيوس ،كالذى غشى عليه ، ما تكاد تمتد يدك إلى شيء ، كاأن ألف وسواس بخاصك ؟ ألا تزال تخشى مكيدة فتخاف أن تتردى فيها؟! ألا ما أكبر غفلتك يا صاح ، إطمئن ، فلقد أعطيتك موثني وحلفت لك بأغلظ الأيمان! » وأجبتها قائلا: «كيف تمتد يدى

إلى طعام أو شراب ورفاق لا يزالون في إسار يسحرك ؟ أبداً ان أذوق شيئًا حتى ترديهم إلى صورهم، ثم ألتقي مهم » ونهصت تحمل عصاها. السحرية ، وذهبت من فورها إلى الحظائر حيت أطلقت رعاقي ، وكا وا لا يزالون في صور الخنازير، ثم جاءت بترياق فمسحتهم به، فعادوا إلى صورهم البشرية ، وبدوا في أنضر شباب وأصباه ، ثم أقبلوا محوى يلثمون يدى ، ودموع الفرح تبلل مآ قيهم ، وطفقوا يصيحون و يصخبون وتردد أصداءهم جنبات القصر ، حتى تأثرت سيرس نفسها نما رأت ، وراحث تقول: ﴿ يَا ابْنُ لَيْرَتِيسَ الصَّنَاعِ ، هَلَّمْ إِلَى مَرْكَبِكُ فَاشْدُدُهُا مُوقّ البر لتكون بمأمن من غوائل البحر، ثم خيء كنوزك وأذخارك في غيران هذه الجبال ، وعد إلى في جميع رفاقك » وطربت لهذه المكرة فهروات إلى الشاطيء حيث لقيت رفاقي الآخــرين يندبوننا ويذرفون دموعهم علینا . وما إن رأوبی حتی أهرعوا نحوی پر قصون و بطر و ن و يحيون كهذه البُّهُم التي تعود في المساء إلى حظائرها فتتلقاها صغارها بالثغاء والرغاء والضوضاء . وهكذا تلقاني أولئك الرفاق . وبدات دموع أحزانهم بعبرات المسرة، وخيل لهم أنهم رأوا في وطنهم النائى المحبوب إيثاكاً ، حيث ولدوا وحيث نشأوا وترعرعوا … قال قائلهم : ﴿ تَاللَّهُ الحكاً نا رأينا فيك أوطاننا يا أوديسيوس ، وتالله لقد ظفرت قلو بنا حين عدت إلينا فعادت أرواحنا إلى أبدانها . حدثنا أيها العزيز كيف هلك إحواننا في هذا التيه » . وقلت لهم : « هلموا أولا نجر مركبنا على هــذا السِّيف الهاديء ، ولنخبيء أذخارنا وسلاحنا في غيران هــذه الجبال ،

والمنطلق جميعاً إلى سيرس حيث ترون جميع رماقكم فى أَمَنَــةٍ وعز وطعام وشراب ، ونعيم مقيم » . وصدعوا بما أمرتهم إلا يوريلو خوس ، فقد سُمِّرَ مكانه ، وكا أنه لم يحفل بما أخبرت به ، ثم حرك شفتيه فقال : « و يح لنا نحن الأشقياء المائسين ! فيم ذهابنا نحن الآخرين إلى قصر سيرس ، وقد تمسخنا جميماً إلى سباع أو ذؤبان أو خنازير ، ونظل إلى الأبد محرس عرينها مرعمين ؟ لقد ذهب كثيرون منا ضحية هو س أوديسيوس وقلة بصره ، يوم حبسنا السيكلوب من أجل أطاع رئيسنا الطياش (١)!» وأوشكت أن أضرب رأسه بجرازى ، فيخر إلى الأرض برغم ما ير بطني به من آصرة الوطن ووشيجة الغــر بة ، لولا أن هب رجالي الآحرون يصرخون ويقولون : « أوديسيوس الكريم ! لنتركه هنا ليخرس ملكنا ، أما نحن فراحلون معك إلى قصر سيرس ، ولوكان مِيْلَتُه الفرَع الأكبر!» وتدفقوا من السفينة على الشاطيء، وانخرط يور يلوخوس بينهم منصاعاً لنظراتي المتأججة ٠٠ أما ما كان من سيرس حينذاك ، فإنها أدخلت رفاق إلى حمَّامها ثم ضمختهم بأحسن الطيوب ، وخلمت عليهم أفخر الملابس؛ ولما وصلنا وجدناهم يطعمون، فما إن زأونا حتى هبوا يعانقون صحَابهم ويبكون ، تم جلسوا يستمعون إلى قصة ما حل الإخوانهم ، وهم يصعدون زفرات الحزن ، ترددها قباب القصر. ونهضت سيرس فوجهت إلى الخطاب إذ تقول: « ان ليرتيس العزيز هون عليك ، وليرفء رجالك عن أنفسهم ولا يستسلموا هكنذا

⁽١) الطائش.

لغو بة الحزن ، ولــترقأ دموءهم جميعاً ٠٠ إبى لا أجهــل ما تحشموا من أهوال في ذاك البحر المضطرب، وما لقوا من فوادح في كل أرض، تما كتب لهم في لوح القضاء ... واكن ، تعالوا جميعاً . أنعشوا نفو سكم الخالدة بكؤوس الراح ، واتستشعروا بأسكم الذي كنتم تستشعرونه يوم عادرتهم شطئان إيثاكا العزيزة ... إنكم إن لم تتناسوا آلامكم فإنها تفت في عصدكم وتوهى من قوتكم وتكون أبداً حلفاً لكم و إلباً عليكم ، ولا تعودون تشعرون معها بالذة العيش و بهجة الحياة ! » ، ووقعت كلماتها في قــلو بنا فأقملنا على الطعام والمدام ؛ ثم إننا أقمنا عُندها عاماً بأ كمله في أرغد عيش وأحسن حال ، متقلبين في أرفه نميم ؛ ثم استدار الزمان ، وهتف منا فانون الأزل، فدعانى رجالى إلى جلسة خارج القصر فقالوا لى : « تدكر يامولانلوطننا الأول ، فإننا محن إليه ، ونتمنى لو ساقتنا المقادير إلى شطئاله » ، وكأنما نبهوا مني عافلاً ، فتلبثنا يومنا هذا على مائدة ربة السحر في بُلَّهنية وعيش محفرج وخمر ، وأقبل الليل فأوى كل إلى فراشه ، وأو يت أنا إلى سيرس فداعبتها ولاطفتها ، ثم قلت لها في رجا ، وظرف : « سيرس يار بة ؟ حبدا لو وفيت بعهدك فأرسلتنا فوق هذا البحر رحمة بنا ، المقضى حاجات الوطن ، ولتنقطع شكاوى صحابى التي مز قت, نياط قبي » . وفالت سيرس : « أوديسيوس العزيز، المعروف بأصلة الرأى ورجاحة الفكر، إنى ان أقسرك على البقاء هنا، لا أنت، ولا أحــدًا من رفاقك ، ولـكنك قبل أن تُفـكر في شد رحالك إلى بلادك ينبغى أن تذهب في رحـــلة شاقـة بعيدة المدى ...

إلى هيدر(١) ... دار ياوتو(٢) وبرسمونيه ... حيث تلقي النبي الصِّدِّيق الصالح تيرزياس، الذي احتفظ وحده في عالم الموتى بكل أسراره وقواه الغيبية الخارقة ، والذي يثوى في رحاب مليكة الفناء يتنبأ لها وتستوحيه وتشتشيره فيعرّ ف (٢) لك عما يهمك ويقفك على ماينطوى لك من صحف الغيب » وما كادت تنتهى حتى احلولكت الدنيا في عيني وتدفقت الهموم في نفسي ، وأجهشت وأجهشت ، نهم استخرطت في بكاء طويل . وماكدت أصحو من هــذه النوبة حتى قلت لها: « أنى لى يا ربة أن أذهب إلى هيدز؟ ومنذا الذي يحدوني إليها، ولم يستهني إليها أحد من أحياء البشر؟ » فقالت تجيبني : يا سليل ليرتبس العظيم ليفرخ روعك ، ولا يحزنك ألا يكون لك إلى هيدز من دليــل. بل هلم إلى سمينتك فأصلح قلاعها وانشر شراعها وستهب الصّبا سَجْسَجًا فَتُدَهّديكم رويدا ، فإذا جزتم هدا البحر المحيط، و بلغتم الشاطىء النز(١) الذى تنمو فوقــه أشجار الحور والصمصاف الباسقة ، ثمـة باسم يرسفونيه ، فادفعوا اليه بسفينتكم ثم تهاوكوا إلى متوى يلوتو السحيق الدى يبتدىء عند الصخرة الهائلة التي تتــكسر فوق أواذيها أمواه أشيرون (٥) وستيكس وكوكيتوس فاتركوا سفينتكم ثمة ، واحفروا عندها حفرة ذراعا في ذراع صبوا فى جهتها الأولى قربانا من ابن وعسل ، وفى الثانية خمرا معتقة

⁽١) الدار الآخرة (٢) إله الموتى وزوجه

⁽٣) يتكنهن - من العرافة بالكسر

⁽٤) الذي ينز الماء معبدر استعمل صفة oozy

^(•) تطلق الشين كاداً مشددة وقد آثرنا الشين في كل كتبنا لتسميل النطق .

من أحسن ماتمصر ون ، وفي التالثة ماء قراحا ، فإذا كانت الرابعة فانثروا الدقيق فوق الجميع ، واصنعوا ذلك باسم للوتي جميعا ، ثم الذروا لهم أن تذبحوا - يوم تعودون إلى إيثاكا سالمين - عجلاً جسدا من أحسن قطعانكم : وانذروا كذلك لتيرزياس كبشا سَمُّوريا ليس في أغنامكم أسمن منه ولا أقوى جلادا ، وإذا فرغتم من صلاتكم ونذوركم وأدعيتكم لجيم الموتى من كل الأمم فاذبحوا في الحال كبشا ونعجة سمورية ، على أن تكون رأسا الضحيتين تلقاء إربوس وعلى أن تشيحوا بوجوهكم تلقاء الشاطىء، فإِذَا صنعتم كل هذا فسرعان ما ترون أرواح الموتى تقبل محوكم من كل مج ، فسارعوا إلى ذبائحكم فاسلخوها وألقوا بلحومها في النار مصلين ملبين داءين كيما تهدأ نفسا بلوتو وزوجته برسفونيه ، ولا تسمحوا لأرواح الموتى أن تقسرب أضحياتكم، وذودوهم عنهـا بأسيافكم حتى تلمحوا تيرزياس فادما فيلقاكم ويحدثكم ويوضح لـكم ماغم عليكم من سبيلكم في هذا البحر الرجراج المتلاطم بالأمواج » وسكتت ، وانبلج الصبح ، فنهضت تصلح من أثوابها وتضفى عليها من شفوفها البيض كالندف، وبنثر فوق رأسها تلك الغلالة الرقيقة كالثلج. أما أما فنهضت كذلك، وآكتسيت صدارى ودثارى ثم توجهت إلى رفاقى فأيقظنهم وحثثتهم على الإبحار من توناكما رسمت سيرس . وقد هبوا جميعا إلا فتى يافعا لم يكن له يدان في هذه الشدائد ، بل كان كل همه في كأس من خمر ينطرح بعدها وهو لا يعيي شيئًا وكان اسمه ألينور ، وكان قــد غرق في سبات عميق فوق سطح القصر ، وقد أفزعه ماسمع من جلجلة أسلحتنا فهب من

من نومه مخمورا متخاذلا وســـاقته قدماه إلى حافة السطاح وزَلْتُا وسقط إلى الأرض ، ودُق عُنُقه ، فسنقت روحه إلى هيدز . وقلت لأصحابي لما اكتمل جمعهم . أتظنون أنا مبحرون إلى أوطاننا ا ! كلا يا رفاق ! فأمامنا رحله طويلة شاقة إلى هيدز، حيث ينبغي أن للقي تيرزياس النبي الصالح ليُعَـرّف لنا ويقعنا على صفحة مما يطوى لنــا الغيب ، مهذا رسمت سيرس ، وإما المصيحتها لسامعون ! » ، وحفقت قلوب إحواني ، ونظر بعصهم إلى بعص ، ثم جلسوا يشدون شعورهم من الحسرة ، ولكنهم صدعوا أخيراً ، بعد إذ أيقنوا أن لا شيء غير هدا . ينفعهم . وانقلبما إلى البحر ، وكانوا لايزالون يذرمون دموعهم ويصمدون حسراتهم . وفيا محن ذاهمون ، كانت سيرس تسوق إلى السمينة كبشاً عظما ونعجة متمورية ٠٠ و إن كنا لم نوها قط، ومنذ الذي تستطيع عيناه أن تريا ربة كريمة رائحــة أوجائية إن لم نشأ هي أن تسكشف عن نفسها ؟ »



أودليسيوس يروى قصسة رحلنا ودليسيوس إلى لعام الشاني

« وذهبنا إلى الشاطيء وأنزلنا الفلك إلى الماء ، ثم أصلحنا القلاع ونشرنا الشراع ، ووضعنا القرابين على السطح ، وذرفنا من الدموع ما شاءت لنا الهموم والآلام ... وأقلعنا .. وأرسلت سيرس بين أيدينا ر محاً رخاء كانت خير معوان لنا وخير رفيق في سفرتنا الرهيبة هده ، حتى التركنا لها مقاليد الفلك ، وانسد فنا (١) فوق السطح من غير ما عمل . ولم تزل تجری بنا طول هذا الیوم ، حتی إذا أوشکت الشمس أن توارَی بالحجاب، وقارب الظلام أن يلقى أردانه على الـكون الهادىء، أشرفنا على تخوم الدحر الأعظم، حيث تنهض مدينة السمريين التي ينعقد من فوقها دَجْنُ ^(۲) كثيف وظلمات داجية ، فلا تنفد إليها شعاعة من نور ، ولا يحيمها رسول شمس هــذه الدنيا العاملة الدائبة ، التي يسطع في سماواتنا ركما الفخم، فهي أبداً في ليل متصل مدلهم، لا تنجاب عنها غواشيه. وهنا ، ألقينا مراسينا ، وأنزلنا الـكبش والشاة إلى البر ، وانطلقنا فوق سيف البحر إلى حيث أمرتنا سيرس ، وتركنا يوريلاحوس بن برميد عند القربانين ، وعنيت أنا باحتفار الوهدة فجعلتها ذراعاً في ذراع ، ثم شرعت أصب تقدمات الشراب ماسم الموتى ، فبدأت بمزيج اللبن والعسل

⁽١) انسدح: ام وفرج بين ساقيه.

⁽٢) السحاب الظلم .

المصفى ، وأتبعته بالحمر المعتقة ؛ وثلتت بالماء القراح ؛ ثم نثرت على ذلك كله دقيق الشعير ؛ وصليت من أجل الموتى ، ونذرت - إن عدت إلى إيثاكا - أن أضحى لهم بعجل جَسَد ذي خوار يكون أسمن وأقوى ما في قطعاني ؛ أذبحه وأحرَّقه في نار مجللة بكل ما يشوق الأشباح من أرواح وطيوب . وخصصت الكلامن الطيبي (تيرزياس) فنذرت أن أضحى له وأحسن كباشي وأعظمها مُنة ثم شمرت عن ساعدي ، وذبحت القربانين وهنا ١٠٠٠ أهرعت الأشباح من كل مج ، وأقبلت منطعة كأسراب الدُّبي (١) ... يا للآلهة!! هنا، زرافات العذاري جر عن كا س الحام في ميمة الصبا ؛ وهنا ، جموع الشباب الياسم كا مواف الزهر غالمم عادى الردى ؛ وثمة ، عرائس سادرات تسر بلن سواد الحزن ، فِحَاتَهِن المايا ليلة الزفاف ؛ وهناك ، أطفال كأ كمام الورد لما تفتح قطفتهم أيدى المنون ؛ وعن كشب ، وقفت كواكب الحجار بين الذين الطخوا بالدماء وجه البسيطة ٠٠ والآباء والأمهات والأجـداد ٠٠٠ أقبلوا يتدافعون بحو الوهدة صائحين صاحبين ، قاذفين في قلو بنا الرعب سنتم هتمت برجالي مشرعوا يحرقون القرابين و يصاون لرب هذه الدار - پاوتو-ولزوجه ، ورحت أنا أذود الأشباح الهائمة عن دم الضحايا بسه في أضرب به ههنا وههنا ، حتى لمحت روح رفيق ألينور^(٢) الذي تركناه في أرض سيرس دون أن نقيم له شعائر الموت لماكنا بسبيله من همرم . . لمحت روح رفيق فتصدعت ، ثم ذرفت عبرات وعبرات ، وكلته قائلا : « ألينور !

⁽١) الحراد.

⁽٢) الثمل الذي سقط من السطح هدق عنقه (الفصل السابق) .

يا صديقي اكيف وصلت إلى ظلمات هذه الدار الآخرة في مثل هذه السرعة ولم تحملما إلمها سعينتنا إلا بعد لأى ؟ عمرك الله هل سبحت في الهواء ؟ أم طويت إليها الرحب ماشياً؟ ﴾ والهمرت من عينيه دموع ودموع . ثم قال يجيبني : يا ابن ليرتيس النبيل ، المعروف في العالمين بالحكمة ودقة الفهم ، لقد أودي بي السكر فسقطت من سطح سيرس فدق عنقي، وأسرعت من عمة على دَرَج الظلمات إلى هيدز .. على أنني أستنحلفك بكل عن يز عليك ، سناوب ، بالنار المقدسة التي تتأجيج عن قبسها حياتك ، ولدك الأوحد تلماك أن تجمع ما تبقى من سلاحي وعتادي إذا عدت إلى سيرس، وإنك إليها لعائد حين ترجع أدراحك من عالم هيدر ، وأن تحرق جثماني فى نيران هذا العتاد ، تم تصلى لى ، وتضرع إلى الآلهة من أجلى حتى أقر هنا ، وتهدأ في تلك الظلمات روحي ، وأن تغرس فوق الـكمومة التي تشمل رفاتي ، مجدافي العزيز الدي عملت مه في السحر تحت إمرتك ، وفي ذري سلطانك وقيادتك ، حتى يذكرني في العالم الفاني الذاكرون » . ووعدته أبى فاعل . ثم لم أزل أذود الأشباح عن الدماء المتدفقة . وفجأة لمحت بين أرواح الموتى شبيح أمى ! أمى المحبوبة أنتكليا ابنة الشجاع أوتوليكوس، الني تركتها يوم يممت شطر طروادة قوية ، غريصه الصباريانة الشباب . وما وقعت عيبي عليها حتى أجهشت وأجهشت ، ثم الهمرت من مقلتي أحر العبرات ... ومع ماكان يعتلج به صدرى من الأسى عليها ، فقد ذدتها عن الدماء كذلك ، و بي من الهم لتلك الفعلة ما أوهنني وأضواني . تم أقبل نبي طيبة وكاهنها الجليل ، يتوكا على عصاه الذهبية ؛ وماكاد

يحملق في قليلا حتى عرفي وحاطبني يقول : « لم غادرت الدنيا الدافئة المشرقة أيهدا التعس ، وقدمت لترى هؤلاء الموتى ولتصرب في ظلمات هذا العالم العبوس؟! ولكن نَحِّ هذا السيف قليلا حتى أجرع من تلك تلك الدماء ، و إنى لمحدثك حديث الصدق عما جئت من أحله» . وأغمدت سيفي ، وانحني الـكاهن فعب من الدماء ما شاء ، ثم قال لى : «أوديسيوس! إنك تجتهد أن تعود أدراجك إلى بلادك، غير أن طريقك إليها محفوفة بالمكاره، ممتلئة بالعقبات؛ و إن لك فيها احدواً لدوداً يتأثرك، ذلك هو نبتيون الذي أسخطته بما سَمات عين ولده السيكلوب (بوليفيم) على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ، فإبك إن كبحت جماح شهواتك ، أنت ومن معك ، فإنك واصل يوماً إلى شطئان تريناشيا ، وتكون قد أفلت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت ثمة . فاحذر أن تمس قطعان رب الشمس السائمة في الجريرة بأذى إن كنت جد حريص على العودة إلى بلادك سالماً ، مهما اقتحمت بعسد ذلك من عُباب وعِقاب -فإِذَا مسها منكم أحد بأذى ، فو يل لـكم جميعاً ! إن فلـكك تغوص إلى الأعماق ، ويغرق رجالك أجمعون ؛ أما أنت فتنجو بعد جهد ، وتلتقطك سفينة عابرة وتعود بك بعد شقاء و بلاء ، وعناء أيما عناء ، إلى وطنك الذي ينتظرك فيه ألف ويل وويل! ستجد قصرك المنيف محتلا بطغمة أشرار من عشاق زوجك الوفية لك ، يُريغون حيرك و يُذَبِّحُون شَاءك ، ويغرون بناوب بالعطايا والرِّشي لتختار من بينهم بعلاً لها ٠ ولكنك ستنتقم منهم وتنتصف لما قدموا من سوء ، وستسيد جموعهم ؟ فإذا تم لك

النصر عليهم فانطلق من فورك إلى الشعب الذي لم ير البحر أحد من أهله ولم يذق الملح أحد منهم قط ، وليكن معك مجداف عظيم يدلك عليهم فإنهم إن رأ وه عبوا من منظره ، وظنوه مدراة ممايذرى به القمح؛ فإذا عراقهم فاغرسْ المحداف في أرضهم ، وضح لنبتيون رب البحار بعجل جسد وكبس سمين وخنز يركنار (١٦) ، ثم تبتل إليه وأخبت ، وانطلق إلى وطنك وضحٌّ بأحسن ما تملك من الشاء والنعم للآلهة ، وصلٌّ الحكل منها واخشع ، تعش آمناً غاماً ، وتمت بعد حياة هادئة موتة قريرة ناعمة بعد حكم عادل طويل ، وشيخوخة هانئة موفورة ··· هذا من أنباء الحق عرَّ فتها لك » . وقلت له : « أنا لا أكذبك يا تيرزياس فما كشفت لى من أساء الغيب ؛ ولكن جعلت فداك : إنى ألمح شبح أمي جائماً بالقرب من الدم دون أن تتعطف بكلمة واحدة على ابنها الحبيب . فمن ذالذي يشعرها أنى — أنا ابنها الأوحد — قريب منها!» فقال: « لا أي مر من ذلك يا بني ! فإنك إن تركت أيًّا من هـذه الأشباح يرشف رشفة من ذاك الدم ، فإنه يتحدث إليك بعد ، وينبئك بمــا تشاء » . ثم غاب شبــح الكاهن في ظلمات مملكة يلوتو ، وسمرت أما مكاني أنتظر شبيح أمي ، التي ما كادت تتذوق الدم حتى عرفتني، وانطلقت تكلمني في ترفق وحنان: أى سَى كيف أتبيح لك الضرب في دياجير هــذه الدار الآخرة وأنت لا تزال حياً تدب على رجليك ؟! ألاما أتسق هذا على بني الموتى من أهل الدار لأولى ! إن ههذا أنهاراً من حميم يدور بعضها على بعض، وقد تعلني

⁽١) بالسكسر سمين .

على شطئانها بعباب حمىء، وبحيط بها البحر الأعظم الدى لا تشق أجبالَه فَلَكُ ، بَلِه قدم سأثر عابر! أواه! لقد ذرعت البحار شرقًا ومعر باً فى رحلتك من إليوم ، أنت ومن معك ، ولما تصل إلى إيتاكا العزيزة! » وسكتت قليلا ، فسألتها « الظروف القاسية وحدها يا أماه هي التي قادتني الى مملكة يلوتو ، ليعرف لي الكاهن الصالح الطيبي تيرزياس ، ولقد تجشمت الأهوال الثقال منذ توجهت مع أجا ممنون للقاء أبناء طروادة • وهأندا مند ذلك اليوم لم تطأ قدماى أرض وطني ... ولكن … نبئيني يا أماه أية ضربة أودت بحياتك الغالية ؟ هل سمك دمك أحد؟ أم أصماك سهم من ديانا؟ ٠٠ وحدثيني كدلك عن أبي السند الشيخ ، وعن ولدى تليماك ، وحدثيني عن ملكي وعنادى ، هل غلب عليها أحد من سادات البلاد، حين يئس الـكل من عودتي ؟ وخبرى عن زوجي ، ألا تزال تعيش مع ولدى محلصة وفية لي ، أم تزوجت من أحد أمراء هيلاس ؟! » وقال الشبح الـكريم يجيبني: حاشا يابني ! إنها لاتزال وفية لك ، مبقية على ذكراك، مقيمة في قصرك، و إن تكن تقضى لياليها وأيامها في حرن ممض عليك ، ودموع جارية من أجلك ، وآلام ما تنتهي لبعدك . أما أملاكك فلا تزال لك ، وما يفتأً ولدك بغلها باسمك ، وما يعتأ يغشى الولائم في أمهة الأمراء ، ورُواء الأماثل العظاء! ولم يزل أبوك مقما في مرارعك ، عزوفاً عن المدينة وبهرجها، وأراثك القصور وزرا بيها، وهو يقضي أيامه يصطلى نار المدفأة في الشتاء ، قابعاً على فروته الفقيرة المتواضعة ، غارًا في أثماله ومزَّقه ، فإذا جاء الصيف، أو فجأه الحريف، اعتكف في ناحية ، وانطرح على الهشيم المسَّاقط من الأشجار، وراح يعالج من الحرن عليك، والبكاء بسببك، ما يوهيه ويضنيه، طوال تلك السنين السوالف؛ وهكدا هلمكت أنا الأخرى من طول التفجع عليك ، والنصدع من أجلك ، فلا ديانًا أصمت فؤادى بسهم، ولا اعتدى على معتد س بل الحزن وحده يا أوديسيوس ، والوحشة والصني ، وطول الوجد ، وذكراك في كل حين ؛ كل أولئك يابني اختضر عود حياتي ، وعمَّل إلى ماتي ! » وما كادت تفرغ من حديثها حتى أزرفت المرا) إليها أود لو ضممتها إلى صدری ، بید أنی فشلت سمّة وأخری وثالثة ، إذّ كانت تنفتل فی كل مرة من بين ذراعيَّ كما ينفتل الظل . أو كما يسرى الحلم . ولم أطق على ذلك صبراً فقلت لها: ﴿ لِمُعَاذَا تَأْبِينَ عَلَى "عَنَاقَكَ يَا أَمَاهُ وَقَدْ نَتَدَاوَى بِهُ ما بنا من شجو ، ولوكنا هنا في مملكة يلوتو ؟ ا أم يا ترى أرسلت إلى پرسفونیه شبحاً یعبث بی ویتضاحك علی ؟! » قالت : « أواه یابنی ، يا أنعس بني الموتى ! أبداً ما حاوات ربة هيدز أن تعبث بأحد، ولـكمنها طبيعة الموتى هنا ، فهم لا عضل و لا لحم ولا عظم ، ولا ما ذهبت به النار بعد الموت في الدار الأولى .. بل هم أرواح تشبه الظلال أو الأحلام في حفتها وسرعة انفلاتها ... ولكن هلم فعد أدراجك إلى النور ... فلقد جاءك من الحق ما هو حسبك » . شم همهمت حولي أشماح العــذاري والأرواج من بنات هيدز ، سعين من عند برسفونيه ، فامتشقت سيفي ،

⁽۱) أسرعته

وطفقت أذودهن فلا يقربن الدم إلا بإذنى واحدةً بعد واحدة ، لتقص على كل منهن قصة حياتها. ولقد كلت تيرو(١) الحسناء، كريمة المحتد، طيبة الأعراق فذكرت لي أنها ابنة سالمون وزوجة كريتيوس بن إيولوس - وأن أينيوس إله السلسبيل، أعذت أنهار الدنيا ـ قد كان مشغوفًا بها حباً ، وأنها طالما كانت تغشى شطئانه النُّضر ، وخمائله الخضر من أجل ذلك . وأنها كانت يوماً تلعب هناك ، وإذا شبيح جميل كأنه شبيح حبيمها يظهر فجأة ثم يأحذها بين ذراعيه ، ثم يعلو طوفان من اليم ميطويهما معا، ثم تفيق فترى الهسها بين ذراعي نبتيون الجبار رب البحار الذي يشاكيها غرامه هو الآخر، ويبثها حبه ، ولاعج قلبه ، ثم يهوى بها إلى أعماق مملكته الشحيقة، ويعاشرها كزوجة، ثم يرسلها بعد أن يوصيها بولديه التوأمين منها ، ثمرة الحب السرمدى المقدس . . و يغوص فى اليم . وتعود هي إلى بلدها فتضع ولديها العظيمين — وزيرى حوث الأكبر — بلياس ونليوس — ويشب پلياس ويضرب في الأرض ، فينتهي إلى مروج إياؤلخوس ويرعى تمة بهمه وقطعانه ؛ أما نليوس فيسكن الملقع الجدب من أرض بيساوس ... وتتزوج كريتيوس بعد ذلك كله ، فتنجب منه أبناءها الثلاثة الآخرين (٢) ، ذوى الشهرة والمجد. ثم كلت انتيوب ابنة آسوب التي راحت تفخر بما كان بينها و بين

⁽۱) لم نشأ أن نعفل أحاديث أوديسيوس مع بات هيد زكما فدل بن مترجى هومر . بل آثر نا إثباتها كما هي ، ونحن نحل القارىء عن الملام لأن الأوذي. ة أعلى من أن آتل .

⁽٢) حذونا هنا الأسماء مؤقناً

حِوف - كيير آلهة الأولمب - من هوى وصبابة وجب ، وأنها أنجبت له ولديه العظيمين أمفيون وريتوس منشىء طيمة العظيمة ذات القلاع والتلاع والأبواب السبعة ... ولقيت بعدها ألكمينة ابنة أمفتريون حبيبة چوف ، وأم هرقل الحديدى الجبار ... ولقد ذكرت له أنها تزوجت من كريون بعـــد، وأنجبت له ابنته ميجارا ، زوجة ان أمفتريون ٠٠٠ ؛ ٠٠ ولقيت الحسناء أييكاست (١) أم أديبوس الملك التاسع ، الذي تزوجها وهو لا يدري أنها أمه بعد أن ذبح أباه ، فصبت عليه السهاء سياط عذابها ، وذهب على وجهه في الأرض حيران ؛ أما أمه فقد سبقت روحها إلى هيدز بعد إذ شنقت نفسها في سقف ببتها ؟ تاركة ١ ولدها لربات العذاب يسمنه الخسف ويجرعنه الأوصاب … ولقيت الغادة الحُسَّان حلوريس التي هام بها نليوس ونتر تحت قدميها هداياه، فأسلست له ورزق منها أبناءه الثلاثة نسطور وخروم ويركل ، الميامين ذوى المحد ... ثم كلتني ليدا روجة تندار ، أم كاستور الصديد ويوللـكس الملاكم العتيد، إنهما ينعمان بنعمة زيوس أبى الآلهة، مهما يتبادلان الموت والحياة ، سنةً فسنة (٢) ، وفاء منهما ومحبة و إعزازًا ... ؛ ... ثم رأيث إفيمديا الحبيبة التي فخرت بهيام نبتيون والتي أمجبت له طفليــه الجيلين أوتوس وإفالت اللذين بزا بجمالهما كل من دب على وجــه الأرض ، باستثناء أوريون ... بالهما من طعلين!! لقد شبا نيران الحرب

⁽١) وردت عنهما أسطورة رائعة سنشرها قريباً في الجزء الثاني من كتابة أساطير الحب والجال عند الاغريق. (٢) چوكستا

على آلهة السهاء وحاولا رفع أوسا إلى قمة الاولمب فجملا يليون على أوسا ركاما ، وقد أوسكا أن يفلحا لولا أن ذبحهما نريوس وولده أبو للوايكونا عبرة لغيرها … فيا للموت! هـذا المعتدى على شبابهما الغض ، فأذبل الخدود وأذوى الورود!

ورأيت بعد ذلك فيدرا ، ولقيت آريادن المفتان و پروسير اللعوب ، أما آريادن فقد حملها ثيذيوس من كرين إلى فراديس أثينا ، ولكن وا أسفاه ! إنها ما تمتعت ثمة لا قليلا ولا كثيراً ، فقد أصمتها ديانا الغادرة بسهامها ، وشهد فعلتها المنكرة باخوس العظيم ، في ديا

ورأيت ميرا ··· وكليمنيه ··· وإريفيل التاعسة التي قبلت أن تنال ثمن روح زوجها من الذهب

والآن 1 وقد أوشك الليل أن يلقى علينا طيلسانه فما أحسنى أستطيع أن أحصى زوجات الأبطال العظام و مناتهم اللائى لقيت فى هيدز، وأرجو لو أمر اللك فانطلقت لأستريح فى سفينتى س أو هنا إن أذن س وكلى ثقة فيكم، وإيمان بالآلهة ، أنكم ستدبرون أمر إبحارى إلى وطني حتى الصباح …

计计计

وسكت أودسيوس، وصمت الجمع المحتشد في الردهة الملكية فكأن على رؤوسهم الطير من روعة ما حدث، حتى نهصت أريتا الملكة، ذات الذراعين العاجيتين، فقالت: «أيها الفياشيون كيف أنتم وهذا المهاجر النبيل الذي رادته الآلهة بسطة في العقل والجسم، وأضفت عليه

هذا البهاء وذاك الرواء؟ إنه ضيفي ، بيــد أنكم تشركونني في صيافته والاحتماء به ، فحليق بكم ألا تسرحوه على عجل كما يجب ، ل حرى بكم أن تستبقوه أياماً حتى تخلعوا عليه ، وتقدموا له أطرف الهدايا وأعن اللهي ، وتُفيئوا عليه ممـ ا حبتكم السماء ، فـكلـكم غنى جم الغناء ، ثرى واسع الثراء» . وتكلم البطل إحنيوس ، أكبر أمراء فياشيا وأتلدهم ذكراً فقال : « إن مليكتكم ذات الحجد والسكبرياء يا أصدقاء ، لا تبدى رغبةً فحسب ، بل هي تصدر عرف إرادة عالية وأمر سني ، فحبذا لو أصحتم وصدعتم .. على أن كل شيء هو رهين بمشيئة الملك ، فلير إذن رأيه » . وقال الملك : « إبى أوافق على ما رأت الملكة ، زهرة فياشيا وسيدة البحار؛ ليبقالضيف إلى غد إذن ، برغم ما يحدوه من الشوق إلى بلاده ، حتى أسبغ عليه ، وأدبر أمر عودته التي يُعنى بها الجميع » وكأ بما صادف مقال الملك هوى في فؤاد أودسيوس فنهض وقال: « ألسكينوس! يا ملك فياشيا العظيم ! بودى لو بقيت هنا عاماً بأكله ليتم الملك نعمته على ، وليدبر أمر عودتى سالماً إلى أرض الوطن . فما أجمل أن أعود بالعطايا والهدايا والنعم ، لأملاً عيون مواطني ، ولأ كسب احترامهم وأنال محبنهم بعد طول النأى وفدح البعاد » .

فأجاله الملك : « لله ما أروع ما حدثت يا أودسيوس ! و يكأ بما حدثت بلسان ساحر عليم يبهرج القصص و يوشى الأخبار ، و يروق و يزوق ، فى زكانة وفطانة وحذق وترتيب ؟ ! أبداً ما حملت هذه الأرض أَلَبَ منك ولا ألبق فى رواية وتحديث ؟ وأبداً ما تساكبت

الموسيق والنعم الحنو من لسان كاسانك الذرب الحبيب! ولسكن ماذا عندك من أحبار الأبطال الإغريق ، الصيد الصنايد ، الذادة الذاويد ؟ حدث يا أودسيوس! قل ، قص علينا أخمارهم ؛ أرأيت أحداً بمن شهد معك وقائع طروادة ؟ إن الليل لا يرال في عمفوان يا صاح ، وما بأعيننا من سمة فنأوى إلى فراشنا في مثل تلك الساعة ؛ هلم فحدث ، فبنا من حديثك شغف ، وكلنا إليه شوق ، ولو حدثت حتى مطلع العجر ، إن لم ينل منك وص أو يميك ملال » .

وقال أودسيوس: « بورك سيد فياشيا الملك ألكيموس! لا يزال في الوقت متسع للحديث وللنوم معاً ، وإن شئت حدنتك طائفة من الأحاديث عن أبطال الإغريق سواء منهم من ثوى تحت أسوارطروادة ومن أُملت من الموت ثمة فترصدته المنايا في أرض وطنه صبباً من كف زوجه الأنيم الزنيم ! إليك إذن ... وحينما هتفت يرسفونيه - ربة هيدز -بأشباح المذارى وأرواح الحسان فتكبكبن والثنين عنى إلى ظلمات دار المناء ، بدا بي طيف أجاممنون – إبن أثر يوس —ومن حوله كوكبة " من أشماح الدين قتلوا معه في داره بيد إيجستوس . أهرع إلى الدماء فرشف منها رشفات ، ثم نهص فعرونی ، وکا ما شاعت فیه رعدة من الدهشة والذعر، وتحدرت دموعه الحرار السخينة فوق حديه ، ثم مد إلى ذراعيه يود لوعانقني ، والكمن … وا أسفاه ! وهل يعانق الشبح إنسيًّا ؟! ونال منى الحزن فبكيت من هذا المنطر الفادح الأليم ، وقلت أكله فى أسلوب بائس وعبارة باكية : « ويحك يا ابن أتريوس يا ملك الدنيا العظيم

ماذا جرعك كأس المنايا ؟ خبرنى ! هل جرعته، في قرار اليم مُعرقاً بيد ببتيون أم دوق ظهر الأرض حين كنت تسوق قطعانك ، أم قتات وأت تحارب من أجل منات أخايا إذ هن محاصرات حلف أسوار مدينتهن ١٤ ٥ فقال یجیبنی : « أودسیوس الزعیم النبیل ، با ابن ایرتس الحکیم أمداً ما مُّن مغرقاً بيد نشيون ، ولا فوق ظهر الأرض في حومة حرب ر بون ، بل دبحني اللئيم إيچستوس معد أن دىر غيلتي مع زوحتي الآئمة ، حين ملق(١) لى و بالع جهده في الاحتمال بي ، ثم ذيحني كما يدبح الثور في مدوده وكر على رجالي فذ محهم كما تذبح الخنارير لوليمة في عرس أو في حمل لزعيم عطيم . أوه أودسيوش! لأجرم أنك قد شهدت ألف معركة ومعركة جندلت فيها أبطالاً وراء أبطال ، بيد أنها جميعاً لم تك شيئاً في ذلك الحديث الرهيب! لقد هوينا نتخبط في دمائنا التي ضرحت الأرض، تحت أخاو بن (٢) حافلة بأطيب الآكال وأشهى الأشربات من من حلجات في أدني الصرخة الرهيبة ، صرخة ابنة يريام ، فكانت ما أروع وما أفدح! لقد انبطحت على الأرض إلى جانب كاسندرا ، قتيلة بيد زوجتي كليتمسترا .. ومع ذاك لم أفقد الأمل يا صديقي مل حاولت أن أمتشق جرازى ، لـكن الخائنة انسحبت كالأممى ، ولم تعبأ بى ، بل لم تشأ أن تعمض عيني، أو تسند ذقني ، في اللحظة التي أوشكت أن أطرق فيها أنواب هيدز؟! و يلاه! وويلي على المرأة التي طاوعتها يداها فأتت هٰ ١ المنكر ، وارتكبت إثم قتل زوجها ورفيق صباها !!

⁽١) ملَّق فلاناً وملق له تودد .

⁽٢) أخاوين وخرن وأخونة ، جمع خوان موائد الطعام

اقد حسبت حين عدت أدراجي أنني سأفايل بالأهل و مالسهل ، من أبنائي وأهلي وحاشيتي ، ولكنها بي العاجرة الغادرة ، التي رزت بفجورها كل صنوف العجور ، قد سحبت على نفسها أذيال العار والحرى ، بل هي قد سحبت أذيال العار والحزى على كل أنثي لم ترالنور بعد ، وعلى كل الشي لم ترالنور بعد ، وعلى كل الصالحات الطيبات من بنات جنسها » .

وسكت أجاممون ، فقلت بدورى : « ياسماء ! ! ما أقسي ما قصت يد ريوس على بيت أتريوس ، منذ البدء ! كله من الأثنى دائما ! لقد قتلنا فى غير رحمة ولا رفق من أجل هيلين (١) ؛ وتدبر لك كليتمنسترا تلك العملة بينا أنت نازح بعيد عن ديارك!! »

قال: «من أجل ذلك أوصيك ألا تلين عربيكتك لامرأة قط، وألا نجعلها موضع سرك ومحل ثقتك، بل إن أسررت لها بثبى، فخبتى، عنها أشياء، هذا وإن تكن زوجك وفية خالصة لك، لا يخشى عليك منها رهق، ولا غدر كهذا الغدر، لأنها ابنة إيكاريوس وحسب، ذات الحصافة واللب، لقد غادرناها ولما تزل عروسا يوم غادرناها إلى اليوم، وعلى صدرها الوفى ولدك الحبيب، الذى شب ليحمل اسمك، ويعلى فى الخافقين ذكرك، والذى ينتظرك لهفان ليضمك إلى صدره يوم تعاود إلى إيشاكا مو إنك إلى إيشاكا لعائد، وبدا قضت الآلهة من . . . أما أنا فوا أسفى الغرة! اسمع يا أودسيوس، المسكين، الدى قتلتنى الغادرة قبل أن أتزود منه نظرة! اسمع يا أودسيوس، المسكين، الدى قتلتنى الغادرة قبل أن أتزود منه نظرة! اسمع يا أودسيوس،

⁽١) التي فربها ياريس وكانت سببا في حروب ماروادة

إصغ إلى ، إنى سأفىء عليك من كنوز خبرتى وتجاريبي ، عليك بالسر فِي أُو بِتِكَ إِلَى وطنك . واستعن على رحلتك بالكتمان لأنه لاثقة في امرأة بعد اليوم (١) ... ولمكن اصدقني تر بك ، أين يأوي ولدي الآن ؟ هل يقيم في بياوس ؟ أم يثوى في أرخومينوس ؟ أم هو يستدري بذري جدته ، أمى الحبيمة ، في قصرها المنيف بأسبرطة ؟ إنه لايزال حياً يرزق ، ولم يأو بعد إلى دار الظلال هيدز . واعتذر إليه أنى لا أعلم إذا كان حياً يرزق أو أنه غدا من أشباح هيدز» وظللنا نتحدث شجون الحديث ، ونذرف الدموع على كل ذكرى حتى وافي شبح أخيل البطل ، ابن يليوس العتيد ، وفي إثره شبح ترُّبه بتروكاوس العظيم وبمقربة منسه طيف أنتيلوخوس يتدهدى مع طيف البطل المغوار أجاكس الذى امتاز ببسطة الجهيم وجبروت المظهر على الجميع ما عدا بيليدس وحده … وعرفني شبح العدَّاءُ الكبير إياسيدس (٢) فقال يخاطبني في خفة وظرف: «أودسيوس يارجل الدهاء والخُدَع أي تدبير ليست فيه تدابيرك الماضية وحيلك السوالف سيئًا ما ، أنى بك إلى هذه الدار؟أضيف أنت ؟ أم هو طيشك وقلة مبالاتك جعلاك تضرب في دياجير هيدز ؟ هيدز الرهيبة بيت الأرواح والظلال والأشماح ؟» فقلت : «أخيل! يا الن بليوس العظيم ، يا أشجع أبناء أخايا قاطبة ، لقد سعيت إلى هنا لألقي الكاهن الطيبي تيرزياس ليعرف كيف أصل إلى شطئان إيثاكا الصخرية ، لأنى عييت بالزوابيع والعواصف في عرض اليم ، فما استطعت أن أصل إلى أخايا أو أن أرسو في بلادي ...

⁽١) ومكدا عاد فاستمسك برأيه في النساء حتى في بنلوب

⁽۲) قد يكون أخيل .

إنى أغبطك يا أحيل من أعماق ! فلقد عشت في هناء وعز ، و تَجَلَّكُ الناس كأحد آلهتهم ، وها أنت ذا تحكم هنا وتنهى وتأمر على حميم هؤلاء الموتى ، فيما أجدرك ألا تأسى لأنك مت هـذه الموتة في الدار الأولى » وأجابني على الفور: ﴿ أُودسيوس ذَا الذُّكُر ، لا تَخَالنُّ عَنَاء يَخْمَفُ مِن وطأة الموت! لقد كنت أوثر لو أعيش في الدنيا كأحقر الأحراء الأذلاء، وأتبلغ بلقات قليلات لا تقيم أود الشيخ الفابي ، على أن أقيم هنا مُمَا حكا فى جميع هذه الأشباح والتهاويل!! ولـكن تعال؟ هلم فحدثني عن ولدى. الحميب، هل وصل ما انفطع من حياتي الحربية ، أم هجر السيف وطاق المعمعة ؟ وحدثني عن أبي پليوس الكريم ، ألا يزال يتمتع باحترام الناس وتبجيلهم وحب الميرميدون (١) وفدائهم ، أم تجرد من الأمهة ومزل على حكم المشيب والكبر ، والأيام التي أوهنت عظامه ؟ أواه يا أبتاه ! لىس لك اليوم أخيل كان ينشر الرعب في جنبات طروادة ؛ أواه أو وسعني أن أعود إليك لحظة ، إذن لقسرت الناس على الخضوع لك ، ولأرغمت كل جبار عصى على تمليقك وذل العبودية لك ، بدل الثورة بك ، وقلة الاحتفال بشيخوختك » . وقلت أجيبه : « أنا لا علم لي بما كان من أس بليوس أبيك ، ولـ كمني ذاكر لك ما ترامي إلى من أخبار ولدك نيو پتلموس لأني حملته على ســــفائني من سكيروس إلى الجيوش الحاشدة من أخايا؛ ولقد كنا مجتمع للشورى(٢) تحت أسوار اليوم فما كان يتكلم إلا لماماً ، و ما كان ينطق عن الهوى إذا فعل ، وإذا

⁽١) حنود أخيل في حروب طروادة

⁽٢) يحسن مالقارىء أن يذكر أن أخبل قتل قبل سقوط ماروادني

استثنينا نسطور . و ... وأنا ... فما كان أحد ينهض إلى مقامه ، أو يقارن به من جميع الأبطال الإغريق ٠٠ وكنا نكر حول طروادة ونفر ، فما أعرف أن أحداً كان أجرأ منه كرًا ولا أحدق فَــرًا ... ولقدجندل من أبناء طروادة الصناديد أقراناً وفرساناً حتى ما أستطيع سَرُد أسمائهم جميعاً، بيد أنني أذكر فيمن أذكر منهم يور يهيلوس من تلفوس البطل الذي أغرى (تريامُ) نساءه بالرشي ليقنعنه مخوض غمار الحرب إلى جانب الطرواديين ، فما زلن به حتى خاضها هو وجنوده السيتيون ... لله ماكان أجمل وماكان أروع!! أبدا مارأيت زعمه ولا سيدقوم. باستثناء ممنون، أبهي منه ولا أصغي جمالا ! وما أنس لا أنس يوم حصان إبيوس الخشبي ، يوم قمت أتخير الصناديد المذاويْد من أبناء هيلاس ليكونوا معى داخله ، وكنت على أن أظل عند بابه السرى لأرى في فتحه أو إغلاقه ما أرى ... لا أنْسَ ما كان من هلع أبطالنا وذعرهم وذهاب نفوسهم وتحدر دموعهم من هذه المهمة رعباً و فركا ؟ أما ولدك، فياما كان أشجع ، وياما كان أربط حأشا!! إن عبرة واحدة لم تنسرق من عينيه ، بل إنه كان يحثني و يحرص جد الحرص على أن أحتاره ، حتى إذا فعلت تقدم متبختراً يجر رمحه الظميء ، ويغلى صدره بنار الانتقام يود لو يصمها على طروادة وأبنائها جميعا !! وما إن فُتحت علينا ، وأبنا منها بالغنائم والأسلاب والسبي حتى نظرت إليه قبل أن يبحر فما وجدته يشكو رَميّــةً ، ولا يئن من جرح ، ولا أثر في جسمه لخدش مما تصنع الحرب ، وما تسجل فعال مارس » .

وزُهي أحيل من كثرة ما أثنيت على ولده فراح يتخايل ويدل وسط شجر الـبَرْواق(١) ... وكانت جموع من أشبــاح الموتى عملاً الرحب، وقد جلس كلُّ أوهام على وجهه يبكى و يشكو بثه لغير سميع، وقد رأيت بينهم شبيح صديقي التيلاموني - أچاكس - وكان يحدجني فى الفينة بعد العينة ، ولكنه لم يشأ أن يكامني ! ! آه ! إنه لايزال ينقم على ما شجر بيني و بينه من نزاع على عُـــدة أحيل (بعد مقتله) ، وما كان من طلب ذيتيس (٢) ألا يلبس دروع ولدها سواى ، ثم ما كان من تأييد مينرفا للأم الرؤوم فيما طلبت . لقد كان انتصاراً لي ،كم كنت أوثر ألا يكون ، لأنه كان فيما يبدو سبب مقتل أچاكس المغوار ، الدى لم يكن مينا من هو أشجع منه إلا أخيل نفسه ٠٠ ولقد وجهت اليه ألين الخطاب لأفل من سورة غضبه. فقلت له: ﴿ أَيُّهَا الْعُزَيْزِ أَحَّا كُسَّ ، يا ان تيلامون الحجيد ، أما تستطيع أن تغضى ، وأنت في الدار الآخرة ، عما شجر ببننا بسبب هذه العدة المشئومة ؟ إمنتها الآلهة من عدة كُتبت فوقها صحيفة موتك ، فحسرنا فيك أشجع فرساننا وأعظم مقاتلينا! إنا ما نفتاً نبكيك ونشكو رُزْأً ما فيك ، ونعد فقدك كفقدنا أخيل نفسه ! ولكن لا تثريب على أحد قط، فجوف ، كبير الآلهة ، الذي ما ينفك يصب لعنته على جيوش آخايا ، هو الذي قضي عليك بالموت . أيهما البطل هلم محوى كما تسمع إلى الكلم الطيب الذي أجهد أن أترضاك مه ؟

⁽١) شحر كان يزرعه اليونانيون على قبور موتاهم وقد ذكره الفيروزابادى

⁽۲) أم أخبل وهي إحدى عرائس الماء . "

التخمد جذوة الغصب على في نفسك ، ولنحسم ما بيننا من حصام! » بيد أنه ما حرك شفتيه ، بل لوى عنامه وانخرط في جماهير الأسباح الهائمة وترك الرغبة الملحة المشتعلة في صدري شوقاً إلى تكليمه تنطفيء رويداً ... فقلبت نظرى في الأرواح القريبة عسى أن أعرف منها أحداً وأتحدت إليه ، فلمحت بينها مينوس سليل حوف الأكبر ، وكان يجلس على عراش ممرد للقضاء بين الموتى ، وفي يمينه صولجانه الذهبي التمين، ومن حـوله زرفت جموع سكان هيدز، فمنهم الواقف ومنهم الجالس، ومنهم المنتصب يشرح للقاضي شكواه، ويبثه بلواه، بينا قد أهطعت الرؤوس وامحبست النفوس، وتكا كأت الموتى عند البوابات الكبيرة الهائلة تنتظر دورها … ثم راعني أن أرى بين تلك الجموع أوريون الجبار يسوق قطعانه التي ذبحها بيديه في الدار الأولى ، وهو برعاها على أوراق البرواق ورأيت فيمن رأيت تيتوس الجبار، سليل هذه الفهراء، وقد كان منبطحاً على الأرض بحيث يشغل فصاء تسعة أفدنة ؟ وعلى كل من جنبيه أفعوان هائل أرقم يتغذى بمصغ من كبده الكبير الدامى ، وينغبُ من أحشائه الغِـــالاظ ، جزاءً بما حاول أن يستذل لأنونا اللعوب الطروب، عشيقة چوف سيد أو لمپ، التي فرت مرس وجهه في بطائح پيتو إلى فراديس مانو ٻيوس. ثم رأيت تانتالوس في ضِعف من العذاب! رأيته يتخبط في عين حملة من حميم ، وقد غاص فيها إلى ذقنه ، والموج يضرب وجههه ويسفعه ، وهو مع ذاك يلهث من الظمأ ، لا بجد ما يبل به غلته ، أو يطفىء جُوَاده وصداه ! فهو إن حنى .

رأسه غرته الْخَمَم، وإذا رفع جسمه كزّت الأرض على قدميه بأسرربها فهو في عذاب متيم ... ولله أشجار الفاكهة دانية قطوفها فوق رأسه، من رمان حلو وتفاح عطری ، وتین معسول وزیتون ، کلما اشتهی أن يقطف ثمرة وكاد ، هبت الرياح عاتيةً فذهبت الغصون عاليةً في السحاب!! . نهم رأيت سيسفوس ذا الأنياب يضني ويشقى ويتعذب ؛ يدفع أمامه حجراً جاموداً عظما فيجعله في رأس جبل، حتى إذا انتهى إليه عاضت الأرض من تمحته بقوة حفية فكانت بثراً عميقة ، مهوى الحجر من عَلَ ، فيعود المسكين إلى نَـصَيِّه عوداً ... على بدء ، ويتحدر عرقه على جسمه العظيم ، ويتبخر من رأ سه كأ بما ينقذف من بركان ! ... مم شهدت هرقل الحديدي القوى الجبار ... شبحه فقط ، لأنه هو قد منح بركة الآلهة وحلودها ، فهو أبداً يحضر ولائمها في شعاف الأو لمب ... شهدته يحتصن ابنــة چوف الجيلة المفتان ، هيب ، ذات القــدمين الناصمتين ، والنملين الذهبيتين ؛ رأيته وأشباح الموتى ترف من حوله صافات كالطبر، ثم يَقَبْضُن … وراءني أن أراه عابساً كالحاً كقطعة من الظلام ، وقد حملق عينيه في الأرض وفي يدّيه قوسه وسهامه يوشك أن يرميها ، وعلى وسطه حزامه الرائع المموه بالذهب ، وقد نقشت عليه صور مئات من الدببة والذؤّبان والسباع ، ينقدح الشرر من عيونها ، دائبةً في عواء وزئير وتقاتل ونهش ، صنعة معجزةٌ لم يقدر على مثلها أحد من قبل ُ ولا من بعد ... وما كاد يتبينني حتى عرفني ، وظل يقلب في عينيه السادرتين ، ثم قال لى : « آه يا ابن ليرتيس النبيل ذا المجد

ما أ تعسك !! ما أظنك إلا معنياً يبعص الحجارفات التي كمت أشغف بها في حياتكم الدنيا ٠٠ ها أنت دا ترابي هنا ، في ظلمات هيدز ، عبداً رقيقاً لإله أحقر مني شأناً وأقل قدراً ، لأنني وأنا ان حوف الأعظم ، قد كتب على أن أشقى هنا لأصل آلام الحياة ولأواءها ·· أتصدق أنه يأس ني أحياداً أن أسوق كلمه ، مع ما في هذا الأمر من سخرية وتحقير ؟ ولكني لن أنسي أني جذبته من مملكته هيدز إلى نور الحياة الدنيا بمساعدة أحى هرمز ، و بمعونة مينرفا ذات العينين الز رحديتين » ثم هام على وجهه فى ظلمات مملكة بلوتو … ثم تلبثت أيا مكانى راجياً أن ألقى غير من لقيت من أرواح الأبطال الذين عرفتهم في الدار الأولى، أولئك العظماء ذوى العزة والحجد … وكم وددت أن أرى بيريثوس وثيذيوس سليلي الآلهة ... بيد أن جموع الموتى الحاشدة التي أقبلت تصرخ قذفت الرعب في قلبي وخفت أكثر أن ترسل يرسفونيه ملكة هيدز ، رأس الجرحون من ظلمات هيدز فتفعل بي الأفاعيل ... مآثرت أن أسرع إلى مركبي ، وأمرت الملاحين فأقلعوا ، وجلسوا على الظهر ، وحملنا تيار سريع عبر البحر الحيط بعدأن أعملنا المجاذيف وقتاً غير طويل



نلم قصبة أوديسيوس

۱ – السيرينات المغنيات ۷ – سكمللا الهولة

« والآن ، وقد احتملَــنا العباب ذو الثَّبَج ، وذرعنا اليم المترامى ، وعتمنا نضرب في موج كالجبال، فقد وصلنا بعد لأي إلى جزيرة إيايا المرجانية حيت ترتع أورورا ابنة الفجر الوردية وتلعب، وحيث مطلع الشمس وراء البحر المضطرب ٠٠ وألقينا مراسينا، وتلبثنا فوق رمال الشاطيء ترقب انبلاج الفجر، حتى إذا لاحت تباشيره أرسلت طائفة من رجالي إلى قصر سيرس فأحضر احتمان إلينور (الدي خر من السطح فدق عنقه) ثم إننا بكيناه أحر البكاء ، وجمعنا له من الحطب والخشب ما وسعنا ، وطرحناه وسط الكومة التي صنعناها من هذا الوقود، وطرحما معه سلاحه، وأقمنا إلى جانبه مجداهه العظيم ؛ ثم أدِّينا له الشعائر الجنائزية التي أرويناها بأزكي دموعًا، وأشعلما الديران بعد إذ أقمنا أنصُّها جليلا، تحية وذكرى . ولم تعلم بعود تناسيرس ؟ بيد أنها مع ذاك أقبلت في ربرب من وصيماتها الحسان الأتراب يتهادين نحونا، حاملات دناناً من أكرم الحمر ... ووقفت بيننا العروس الهيفاء ثم قالت : « ويحكم أيها الأشقياء كيف حَـلاً لـكم أن تموتوا مرتين بينا يموت

جميع الناس مرة واحدة ؟ واكن تعالوا ، هلموا إلى طعامكم ، وتحَسُّوا من هذه الخر لتقصوا يومكم فوق رمال الشاطيء في شراب وآكال، فإنكم ضار بون في ظلمات ذاك البحر فَجْر غلة . و إلى منبئة كم عما يروعكم في طريقكم عسى ألا تصل بكم . وياما أكثر ما تتجشمون من أهوال في البر والبحر! ولبينا دعوة الربة المضياف، فأقبلنا على طعام شهىوشراب رَ وِى طيلة يومنا ، حتى إذا توارت ذُكاء بالحجاب ، وشملنا ظلام الليل ، تطرّح رجالي فوق الرمال النائمة ، ثم إنتحيت أنا وسيرس ناحية ، وجلست قبالتها ، وراحت هي تحدثني وتقول : « أما وقد أوشكت متاعبك أن تنتهى ، فاصغ إلى ؛ إفقه ما أقوله لك وتدبره ، فهو وحى يوحى إليك من السماء ينفعك إذا جد بك الجد ، وأزفت حولك الآزفة ... ستصل أول ما تصل في رحلتك عبر هذا البحر إلى جزيرة السيرينات الشاديات اللائمي يسحرن بغنائهن القلوب، ويخلبن بجرسهن الألباب، ويطّبين (١) كل من أوصله سوء حظه إلى جزيرتهن بحلو تطريبهن وجميل شَدُّوهن حتى ليلصق بأرضهن وينسى آله وأوطانه ، ولا يخطر في باله أن يعود إلى بلاده ليهنأ بلقاء زوجه الحبيبة وأولاده الأعناء، بل يجمد مكانه من الشاطىء حيث يكون بمسمع من السيرينات ، وتكون عن يمينه وعن شماله رفات الضحايا الكثيرين الذين عرجوا من قبل ليشنفوا آذانهم بغناء أولئك العذارى فجمدوا مثله ، وذهلوا عن أنفسهم حتى ذووا ، وذبلوا وضووا ، وحاق بهم الفناء، بينا يخطر السيرينات بين شجر

⁽١) إطبى القوم فلانا حالوه وقتاوه .

البرواق متهاديات فوق السندس الحلو الجميل .. فأوصيك أن تُفرغ ف آذان رجالك من سائل الشمع قبيل أن تبلغ أرضهن ، فإنهم بدلك لا يسمعون شدوهن ولا يسجرون بغنائهن . أما أنن ، فلك أن تنصن إلى ذاك الغناء إن شئت ؛ بيد أنه ينبغي أن يشد رحالك وثاقك في قلم سفينتك شداً قوياً محكماً ، فيربطوا ذراعيك وساقيك بأمراس وأحبال ، حتى لا يسبيك ما يُشنف أذنيك من غناء وشدو ملا ترضى إلا أن تثوى بأرض السيرينات ؛ فإذا اشتد بك الوجد من سحر ما تسمع وطلبت إلى رجالك أن يخلوا عنك لزم أن يزيدوا في رياطك و يحكموا وثاقك أضعاف ما فعلوا بك من قبل ... فإذا مُجزَّتُم تلك الجزيرة وغابت مناظرها عن أبصاركم ، فلرجالك أن يطلقوا سراحك · على أنني لا أدرى أي السمل ينبغى أن تسلكوا بعد هذا ، فهنالك طريقان أحلاها مر ، وأيسرهما عناء وضر، و إنى واصفة لك كليهما ، وأدع لذكائك أن يختار لك ... إنسكم بالغون في سبيلسكم إلى صخور هائلة ناتئة في البحر ، تشكسر فوقها أواذيُّه ، وترتطم بجلاميدها أمواجه ، وتدافعه على أحيادها أمفيتريت (زوجة نبتيون) الجبار . وقد أطلق الآلهة على هذه الصخور اسم (إبراتيك) وهي قلال موحشة لا يستطيع مخلوق أن يقترب منها ، ولا يجسر الطير أن يهبط فيها ، بل طير أبينا چوڤ نفسه الذي يحمل إليه غذاء، الإلهيّ المقدس ، لم يجازف مرة فحط فيها يستجم من سفر ؛ لما يعلم من أنها مهلسكة زَالِقَةُ . ولم ترس عندها سفينة قط إلا ارتطمت فوق نتوثها وهوت إلى القاع بما حملت ، أو ابتلعتها العواصف الهوج فغابت

حيث لا يدرى أحد . ولا يعرف أحد سعيمة جازت مهالك هده الصخور إلا السميمة (آرجو) التي حاطتها جونو^(۱) برعايتها رحمة بچاسون وحماناً من لدن سيـدة الأولمب، حين أقلعت من حزيرة إيايا ؛ وقوام تلك الصخور هضبتان شامختان تساهقتان ، تمثل إحداهما صنما هُولةً ضخا يضرب في السماء برَوْ قَيْه وتتراكم فوقه منذ الأرل ثقال السحاب التي لا يذيبها حريف ولا صيف ، لأن الشمس لم تنشر عليها أشعتها قط ... ولو أن أحداً من العالمين له عشر ون يداً وعشر ون رجلاً ما استطاع أن يرقى عليها أبداً ، لأنها ملساء ناعمة كأنما صقلتها يدا متال صناع .. وإن في سندهِ الغربي لـكهفاً سيّحيقاً نقر ثمة ماسم إر يوس (٢) ، و إني لأحذرك أن تقترب منه حين تبجوز به يا أودسيوس ، بلكن بنجوة ٍ منه ، تعيداً بقدر ما تستطيع ، أو على الأقل على مرمى سهم مراش من سمينتك إلى وصيده ؛ ذلك لأنه مأوى سكيللا المخيفة التي تدَوِّي بصوتها وعوائها ، وَيَفْرِقَ الماس والآلهة من وحهها المسكلثم القبيح ؛ وحسبك أن تعلم أن لها اثنتي عشرة قدماً كلها أمامية ، وأن لها ستة أعناق طوال ينته ي كل منها برأس كبير فظيع ، سلح شلائة صفوف من أنياب حداد أصلها نابت وحشوها سم زعاف وهي تر بض في غور كهفها السحيق ، بينها أرؤ سُها بارزة من فوهة الكهف تبحث في الماء عن الدلافن وكالاب البحر ودواب الماء وجميع حيوان مملكة امفتريت · · وليس يجسر بحارأن يفخر بأنه نجا مرة من شرها فهي تمقص كالصاعقة على السفينة العابرة، وتلتقم

⁽١) هي حيرا روج ريوس كبير الآلهة .

⁽٢) إله الطلماء الذي نروح من أمه (ليله) .

بأفواهها الستة الجائعة ستة من بحارتها مرة واحدة تقصمهم قضما ... وتلقاء هذه الهضبة ، هصبة أحرى على مرمى سهم يا أودسيوس ، وقد نمت فوقها تيمة ترية كبيرة ذات أمنان وعساليج حانيات فوق الماء ، وتحتمها عين خار ِبْدِيس الحَمْة التي يغيض فيها ماء البيحركله ثم تعود فتمجه ثلاث مرات في اليوم . وينك أودسيوس ! حذوا حذركم ! فوالله إنكم إن دىوتىم منها فإنها تبتلعكم ، ولا يستطيع نىتيون نفسه بعد ذاك أن ينجيكم و إنى أرى أن تدوا من الصخرة الأولى فتلتقم سكيللا ستة منكم ، وهو خير لكم من أن تغرقوا جميعاً » وسكتت سيرس ، وقلت أسائلها: « بحق الآلهة عليك يا ربة أن تخبرى : أما أستطيع أن أنقذ رجالي. المساكين من سكيللا إذا نجونًا من خار ثدِبش؟ ﴾ فقالت تجيبني : « أيها التعس، أما تفتأ تحن إلى مجازفات الحرب وخوض غمار الوغي ؟ إله لاسلطان للآلهة نفسها على سكيللا، وهي ليست محاوقاً مما يجور عليه المناء ، بل هي غول سرمدي شديد المراس ، شكس شديد الشراسة ، لا يغالب أحداً إلا غلبه ؛ فأطلق سفينتك للريح ، ولذ منها بالفرار . و إياك أن تفكرفي التسلح لها ، فهي لابد ملتقمة ستة من رجالكم ، و إذا حاولت مدافعتها فإنك منهم !! فإدا بعدت فاضرع إلى كرافيس ، أم هذه الهولة التي هي إلى الأبد طاعون للبشر ، أن تردكيد ابنتها عنكم فلا تتمعكم في سبيلكم ولا تلتقم منكم أكثر نما معلت ... وإنكم بالغون (تريناشيا) بعد هذا حيث ترعى الربتان الحسناوان : لمپتيا وفيتوزا ابنتا هبريون من عروس الماء نيرا ، قطعان أبيهما السبعة التي يشملكل منها خسین شاة ذوات صوف ناصع كالثلج ... وكل هده الشاء يرعى ثمة باسم رب الشمس العظيم . فإذا كنتم حقاً تتشوفون لبلادكم ، وتتحرقون شوقاً إليها ، فاحدروا أن تصيبوا تلك القطعان بسوء ، فإنكم إن فعلتم غرقت بكم سفينتكم وذهب رجالك أباديد . أما أنت ، فتنجو بعد لأى و بعد نضال وأهوال ، فتصل إلى بلادك ملوماً محسوراً! »

وتنفس الصبح الندى الرخى فذهبت تتبختر وتجرر أذيالها إلى قصرها المنيف، وذهبت أنا إلى الشاطيء فأيقظت رجالي، وأمرتهم فجروا السفينة حتى استوت في الماء ، ورفعت مراسيها ، ثم جلس كل إلى مقعده ، وأعملوا أيديهم في مجاذيفهم فتدافعت الفلك في البحر، وما هي إلا لحظة حتى أرسلت سيرس ، الربة للقدسة ، نسما رُحاءً كان خير رميق لنا ، إذ كمانا عماء التجديف ، فتطرحما في المركب ، واشتدت الريح في غير عصف فأسرعت بنا درزًا كا ... ثم كلن رجالي وفي قلبي وجيب فقات : « أيها الأصدقاء تعالوا أحدثكم عما تنبأت به سيرس لنا في رحلتنا هذه، وإِنه سيان إن أفلتنا من العذاب أو تردينا فيه ؛ بل أردت أن أطلعكم على ما حبأنه المقادير لنا لتأخذوا حذركم ، وتبرموا أمركم ، ويكون كل على نفسه وكميلاً . لقد حذرتني أن يستمع أحدكم إلى غناء السيرينات الشاديّات وحلو تطريبهن ، وأجازت لى وحدى أن أصغى إليهن؛ بيد أنها أوصتني أن أخبركم أن تشدوا وثاق بأمتن الأمراس في سارية السفينة-هلا تطلقوا سراحي حتى نبعد عن جزيرتهن . وكلما رجوتكم أن تخلوا عني شددتم وثاقى أكثر فأكثر (هذا إن أردتم أن نكون بنجوة من الهلك.

فى تلك الأرض المعونة) » . وهكدا نهت غافلهم بتحذيرى . ثم إنها الطلقنا فى المي ، وأحذنا بقترب من جزيرة السيرينات ، وعرف دلك لما هدأت الريح فحأة ، ونام الموج ، وخفتت أنفاس الطبيعة ، وشمل الركود كل شى ، حولنا ، كأنما مسحت يد مقدسة علوية كل هذا الوجود الرحب . ونشط الملاحون إلى مجاذيفهم فالتمع تحتها بساط الما ، ثم نشطت أنا إلى قدر من الشمع فعالجته بسكين ، ثم قو مته براحتى وتركته كى يلين قليلا فى أشعة الشمس ، ثم جعلت منه فى آذان رجالى واحداً فواحداً ، واستسلمت لهم بعد هذا فشدوا وثاقى فى شراع السفينة شداً عكما ، وجلس كل إلى مجدافه ، وانسر بن الفلك فى الماء تشقه وتجرحر فيه . . وصرنا على مدى مايبلغ الصوت من الجزيرة إلى آذاننا فأصغيت فيه . . وصرنا على مدى مايبلغ الصوت من الجزيرة إلى آذاننا فأصغيت وأصفيت ، وإذا السيرينات الشاديات يتغنين هكذا :

« أودسيوس أيها الزعيم ! يامن لهج بذكره كل لسان»

« ألق في جز برتنا مراسيك يافخر اليونان »

« تلتُّ عندنا أيها العزيز وشنف أذنيك بأغانيتا »

ه فما من أحد جاز بمجز يرتنا حتى عرج يترود من هذا الغناء »

« ثم يقلع أسعد ما يكون ، وأفطن ما يكون »

« ذلك ونحن نعلم من أنباء ما أصابك كل شيء »

« ما خضت من معمعان طروادة ، وما أصابتك الآلهة من مصيبة ، وما لتى قومك فى كل مكان »

« تعال تعال ... هلم نحدثاك فعندنا علم كل شيء » .

وهكذا شرع العدارى يسكبن إربانهن الجيل في قلبي ، ركاً بماكن ينمثن فيه السحر فيصفى ويصفى وتلح عليه الرغبة في الإصعاء، ورحت أنا أضرع إلى قومي أن-يفكوا قيودى ويطلقوا سراحى ويخلوابيبي و بين السير ينات المطر بات ، فلم يسمعوا لإشاراتي ولم يستجيبوا لتوسلاتي، بل هبَّ يوريلوخوس و پرميديس فصاعفوا أعلالي وشدوا على حبالي ٠ ثم معدنا٠٠٠ وظللنا نبعد ونبعد ، حتى إذا كنا حيث لا يصل إلينا من شدو السيرينات شي ، نهض رجالي فأرالوا ماكنت قد جملته في آذابهم من الشمع ، ثم عمدوا إلى فأطلقوا سراحي ... وماكادوا يفعلون حتى أبصرت في ظلام البعد موجاً كالجبال كأنه ظلمات بعضها فوق بعض، ودخانا كثيفاً ينعقد في الجو ، ثم إذا بي أسمع رعداً قاصفاً يصم الآذان ! وقد ذهل رجالي عن أنفسهم ، وطارت المجاديف من أيديهم فلم تعد تجديهم نفعاً ، ووقفت السفينة كأنها الأرجوحة على أرؤس الموج؛ وذهبت أنا أسجعهم رحلافرجلا: ه أيها الرفاق! ها نحن نلقي أولى عقباتنا ، وهي ليست على كل حال أشد هولا من مصيبتنا يوم حبسنا السكلوب في كهفه السحيق ، وكيف احتلت لمرارنا من وجهه ؛ وسيأتي يوم نذكر تلك الشدة المماجئة بمثل الغبطة التي نذكر بها الشدائد السوالف … هلموا إذن فاثبتوا في أماكنكم ، واصمدوا لهذا اللج المصطخب، واضربوا فيه في جلد وصبر، عسى أن يكلاً كم چوف ربكم فينجيكم منه وأت أيها الرمان أصغ إلى ، إنك تقبض على ماصينة الحال فتحاش أن تقترب من هذا الدخان وتلك الأمواج الثائرة إبتمد ما استطعت عنها ، وحذ سبيل هذه الصخرة، ذلك أدنى ألا تقذف

بنا في حمأة الخطر .. » وظللت أنفخ فيهم روح الصــبر حتى فاءوا إلى أمرهم فاستقطوا في مجاهدة الأمواج استقتالا … وتسلحت أنا بكل ما استطعت من عدة ، وجعلت فی یدی رمحین طویلین ، ووقفت أرقب سكيلاً الهولة من معد ، ولم أجسر أن أذكر كلة عنها لرفاقي حتى لا تفرغ أفئدتهم فرقاً فيهر بوا من عملهم ويكتظوا فى بطن السفينة مخافة أن يمسهم منها أذى ٠٠ وشرعنا نعبر البوغاز ، . . ولشد ما أفزعني أن أرى سكيللا ترمقما وتتلمظ ، وقد انتصبت كالموت على الشاطىء القريب ، ثم أرى في الوقت نمسه خاربديس على الشاطيء الآخر تحشر ج في حلقها الرحب الفظيم عباب الماء ثم تمجه ، فكا نما تقذف من جوفها ماء فاثراً يعلو في الجو كالحميم ، ثم ينهمر و بله في كل فج ، وتعود فيفيض في البحرمن بلعومها ، ثم تقذفه ، وهكذا دواليك ٠٠ يا للروع ، ويا للفزع الأكبر! تالله لقد كنا ننظر ما تبدئ خار بديس وما تعيد في جزع وفي هلع ، بينها كانت سكيللا تتوثب وتتوثب ثم ترسل أرؤسها الستة فتلتقم ستة من رجالنا كانوا وا أسفاه أشجعهم جميعاً ، و كان قلبي يتمزق حين راحوا يهتفون بي وينادوني باسمي وأناكالذي أسقط.في يديه ، ما أستطيع شيئًا فأصنعه ، بل أنظر إلى أذرعهم وأرجلهم تتقلب في الهواء وهم يصيحون ويُعثُّو لون ، وأنا ساكن ذاهل أقلب كني ولا أفعل شيئًا آخر! واحزناه !! ماكان أشبه سكيللا المتوحشة بصائد السمك الذي أطعم سناره وأرسلها من فوق صخرة تداعب السمكة المسكينة ، حتى إذا حان الحين جذبها إلى عل تتريح هنا وهناك . هكذا كانت هذه اللعينة التي جذبت إلى كهفها أشجع رجااما وراحت تقتات بهم بین الصراخ والبکاء، و بین التوجع والأنین، وكلهم يمد إلى ذراعيه مستنجداً مستفيثاً فى قنوط و يأس!! أبداً ما وقعت عيناى فى جميع مخاطراتى، على منظر أبعث اللاسى، وأمض للنفس، وأجرح للمؤاد، من ذلك المنظر الرهيب!

وماكدنا نفلت من سكيللا وخاربديس بعــد تلك الفاجعة حتى اقتر بنا من أرض الشمس ، حيث ترعى قطعان هيهريون (١) الجيلة الـكثيرة ذات الفراء الناصعة ... ولقد كنت أسمع ثغاءها ورغاءها إِذ أنا على ظهر سمينتي في عمض البحر. وسرعان ماذكرت ماقاله لى المكاهن الطيبي الأعمى ، تيرزياس في هيدز ، عن هذه القطعان ، ثم ما أنذرتني به سيرس سيدة إيايا من وجوب الابتعاد عن هـده الجزيرة التي كانت منذ الأبد غواية البشر ، حتى قمت في رجالي فجعلت أحذرهم وأقول : « أيها الرفاق اسمعوا: هده هي جزيرة الشمس الهائلة التي حذرنا تيرزياس الكاهن الطيبي من الرسوبها أو الاقتراب منها . وكذلك حذرتني منها سيرس ربة إيايًا ، وإن كان ما لقينًا من أهوال ليس شيئًا إلى الهول الذي يحيق بنا إذا حللنا بها . فاسمعوانصحى وسيروا بنا نذرع هذا البحر نسلم من شر مستطير، و ملاء لا بجيرنا منه مجير» وكانوا يصغون إلى في حيرة وذهول، وماكدت أفرغ حتى انتصب يوريلوخوس يرد على في جفوة وضيق: ﴿ أُودِيسِيوس ، أيها القاسي الطاغية ، أما أوهنت كل تلك الشدائد جلدك 1 أمحلوق أنت من حديد هما ترق وما تلين. 2 أتأبى على رجالك

⁽١) 'في بعص المصادر أن الشمس عبر هيبريون ، وفي بعصها أنها هو ، وفي عصها أنه أحد سواس عربهها .

الموهونين المسكدودين أن يرسوا بهذه الجريرة الفيحاء المهشمة ليريعوا مما بها من آلاء ، وليطعموا من حيرها السكتير ؟ أتصرفنا عها بنزقك وقلة بصرك نفحمط طول الليل في هددا البحر الأجاج حبط عشواء مع ما تكون الربح عليه حينئد من شدة وعنف ؟ خبرها أيها الأحمق ماذا نصنع إدا عدمت بنا بكباء من الجنوب تحطم فلكنا ولا ينجينا من بطشها أحد حتى الآلمة ؟ أليس الأقضل لنا أن نرسوفي هذه الجزيرة فنقضى بها أيلها ، حتى إدا انفلق الإصباح أقلعنا منها على هدى ؟ الهرب

وحدد الملاحون ما قال ، فدار في حادى أن لابد مما ليس منه بد ، وأن لابد من وقوع القارعة الكبرى بنا ، فقلت في كلمات يأتسات : «لا ضير يا يور ياوخوس ! وليس بي من بأس أن أحصع لما ترى الجماعة ؛ والمن تعالوا حميعاً فأعطوني موثقكم ألا تذبحوا شاة ولا مجزروا نعمة نما هنا من هده القطعان ، مهما ألح عليكم السَّعَبُ ، وأضواكم الجوع ... مل يكون حسبكم ما حملتم من آكال من عند سيرس » .

وأقسموا أغلظ الأقسام أن يفعلوا ، ثم يموا بالعلك فى جون هادى ، ترتعع فى وسطه نافورة رائعة ؛ فأرسوا ثم وتدفقوا الشاطىء ، وراحوا يعدون وجبة المساء ؛ بيد أنهم سرعان ما نسوا مسغبتهم حين تذكروا إخوانهم الذين غالتهم سكيللا ، وراحت تتغذى مهم أمام كهفها السحيق فأخذوا يبكونهم و يذرفون عليهم دموعهم حتى غلمهم العاس ، فناموا ... وفى الهزيع الثالت من الليل ، حين عبرت النجوم فكانت فى كبد وفى الهزيع الثالت من الليل ، حين عبرت النجوم فكانت فى كبد

وغمرتهما بماء ممهمر ، ثم عقد في الكون ظلمات فوق ظلمات يتدحي بمضها فى بعض . ثم أشرقت أورورا الوردية ، فنهصنا من مراقدنا ، وسحبنا الفلك إلى غاركان لبعص عرائس البحر يرقصن به أو يستروحن سيه ؟ وما كاد شملنا يجتمع ثمة حتى نهضت في رجالي أقول : « أيها الرفاق إننا ما ينقصنا غذاء ، وما بنا من حاجة إلى أكل ، فعنا من ذلك الشيء آلَكَ أَنْ مَا اللَّهُ عَلَى عُسُوا هَذَهُ القَطْعَانُ بِأَذَى ؟ وحسبكم أَنْ تَعْلُمُوا أَنَّهَا ملك خالص لربة الشمس التي تراكم أينها كنتم » وهكذا أيقظت في نموسهم النخوة . ثم إنا لبثنا في هذه الجزيرة شهراً ما نريم عنها وما كان لنا إلى غيرها متحول ؛ ذلك لأن الدُّ بور(١) ظلت تهب من الجنوب في صرامة وشدة ، فإذا هدأت ، لم تهدأ إلا لتهب ريح شرقية أشد منها عنفًا . لم يمسوا قطعان الجزيرة السائمة بأذى ما دام لم ينغذ ما كان معهم من طعام . فلما تناقصت ميرتهم راحوا يتلمسون صيد البر والبحر ، أما أنا فكنت أجوس خلال الجزيرة عسى أن ألقي إلماً أصرع إليه فيجعل لنا من أمرنا مخرجاً ٠٠ و بينا أنا أحوب الجزيرة إذا بي أبعد كثيراً عن رفاقي ، فمدا لى أن أسكنْ إلى منعطف دافى و هادئ على سيف البحر ، فأغسل (٢) يدى مما علق بهما من قذر ، ثم جلست أصلي للآلهة ، وأدعو واحداً بعد واحد أن تهيىء لنا من شدتنا مرفقاً ، والكنها جميعاً — وا أسفاه — أصمت آذانها عن دعانى ، ثم أرسلت على طائفاً من الكرى ... فنمت نوماً عميقاً … بينها كان يور يلوخوس التعس يوسوس إلى رفاقه فيقول: « أيها

¹¹⁾ ريح الجنوب ضد العسا

⁽٢) كَانَ خَسَلَ البِدِينَ كَالُوصُوءَ عَنْدُنَا شَرَّاً لَا تَصْبَحَ الصَّلَاةِ البَوْنَانِيَةِ بِدُونُهِ .
(م - ١٢)

الأحلاء ! أما أحوكم في البلاء فاسمعوا وعوا . ليس أشنع من الموت إلى النفس ، واحكن الموت جوعاً هو أشمع ألوان المنايا التي يرتجف منها الإسان ... هلموا . . لنذبح من هذا الشاءوالنم ، ولنضح للآلهة أضخم ثيران الشمس ، وانسذر أن نبني للرب المبارك هيبريون هيكلا عظما حالما مصل سالمين إلى إيثاكا ، ولسذر أيصاً أن نجمل في الهيكل من الطرف والتحف ما رضي الإله ويكفر عن سيئاتناً . أما إذا آثر أن يغرق فلمكنا وتضافرت معه جميع الآلهة على ذلك ، لأننا ألحقنا أذى بعدد من قطعانه ، فإنى أول من يجاهم بقبول الموت مرة واحدة فى أعماق هذا اليم ، على أن أموت هــذا الموت البطيء جوعاً !» وزِين لهم ما قال ، فاستاقوا أسمن ما في القطعان التي كانت ترعى العشب قريبًا منهم ، ثم أطعموها أنفسر أوراق الشجيرات الباسقة إذ فرغ كل ما لديهم من الشعير، ثم صلوا للآلهة ، وجزروا الحيوانات البائسة ثم سلخوها ، وفصلوا الأفخاذ والشحم ، وقذهوا بها إلي المنار تقدمة للآلهة وقربانا .. ولم يكن معهم خمر ليتموابها الشمائر القدسية ، فقذفوا في النار بدلا منها ماء قراحاً ... وجلسوا بعسد هذا يعدون شواءهم من الحوايا(١) والكبد وما إلى ذلك بمها في جوف البهيم ؛ حتى إذا طعموا ملء بطونهم انطرحوا في مراقدهم بينا استيقظت فحأة من سباني ونهصت لأنطلق في طريني صوبهم . وما كدت أشرف عليهم حتى ملأ خياشيمي قتار (٢٦) ما فعلوا ، فوجمت وجوماً شديداً ؛ ثم أجهشت ، ثم استخرطت في بكاء طويل وضرعت إلى الآلهة وطلات أقول. « أهكذا

⁽١) الأمماء

⁽٢) رخ الشواء .

يا أر اب السماء تاقون على ذلك الطائف من الكرى فيفعل أصحابي. ما فعلوا إذ أنا أغط في نوم عميق ؟» · وطارت لمديا بالخبر المشئوم إلى إَله الشمس فثار ثائره وطفق يصخب ويهتف بالآلهة ويقول : «يا چوف العلم ، وأنت يا آلهة السموات! إثأري لما فعل السفهاء من رجال أو ديسيوس. الله احترأو فجزروا من نعمى وشائى التي هي بهجتي وأنسى والتي أرمقها أبدأ من علياء السهاء ؛ فإن لم تنتقمي لي فوعزتي لأهبطن بشمسي إلى إلى هيدز فأنبر آفاقها وأصغى أضوائى على الأشباح ثمة (وأدع هــدا العالم المشرق الجيل بضرب في دياجير ما مثلها دياجير » وأحابه رب السحاب الثقال مقال : « يا إله-الشمس على هينتك ؛ بل ظل مشرقا على بنى الموتى الدائبين في تلك الأرض ، و إلى مسخر صواعتي على سفينتهم في لمح الممر فقدهب بها و بهم أباديد » ... أما من أحبرني هذا فقد حدث به همرَ من رسول الآلمة · شم وقعت فيهم أنتهرهم وأنعي عليهم ، ولـكن ··· وا أسفاه ! أي انتهار وأي نمي وقد سبق السيف العدذل ؟! ثم حدثت المعجزة!! وبدأت السهاء تشهد آياتها فقد تحركت الجلود الملقاة على الأرض وزحمت مجونًا ثم سمعنا مُضِمّع اللحم الغريض سواء ما ظل منها دون أن يمس وماعلق منها بالسفافيد، وقد أرسل ثفاء وخواراً كأنها لا تزال على قيد الحياة ! . . وهكذا ظل رفاقي يجزرون كل ثور حنيذ من ماشية إله الشمس ويغتذون بحواياها طوال ستة أيام ، حتى إذاكان السابع أس چوف العاصفة مهدأت، والبحر فتطامن، فأهم عما إلى الفلك فأنزلناها في اليم، ونشرنا الشراع ، وأقلعنا حيث لاندرى ماذايراد بنا ! ! ثم غابت الأرض

عن الأنظار، ولم يكن إلا البحر من ورائنا وأمامنا وعن شمائلنا وأيّاننا ··· ثم السماء من فوقنا ٠٠ ثم شرع زفيروس(١) يهب ويهب ، ويقلب الاج من حولنا ، ثم اشتد واشتد ، وصار ريحا عاصفاً هوجاء ، كسرت قلاءنا وحطمت سكاننا ، وذهبت بقلب الربان المسكين فلم يعد له صدر ولا جلد ٠٠ ثم سلَّط علينا چوف صواعقه فقصمنا، وحطم سفينتنا فتر محت أول الأمر ، ثم عاصت إلى الأعماق ، وطفونا على سطح البحر الغاضب بلا أدنى أمل في أي شيء ، بله العودة إلى بلادنا ... ولقد كنت أرقب حطام الفلك يطفو معنا ويغوص، حتى عنَّ لي أن أعلق بالهراب القريب مي ، فطويت عليه قطعة من الشراع الممزق وجعلته لى ثماماً لصقت به ، سينا نامت الشمال لسوء حظى ، وأخذت الجنوب تهب في عنعوان و بأس ، وتدفعني بقسوة وقوة حتى خيل لي أنها ستنتهي بي إلى عين خار بديس الحمَّة … يا للهول! لقد مضى على ليل أيما ليل … حتى إذا أشرقت ذكاء، رأيتني ويا الأسف عند صخرة سكيللا ، وعلى مسافة من عين خار بديس. ولحسن حظى كانت اللعينة قد ابتلعت كل مياه الشاطيء ... ثم دفعتني موجة من الأعماق فاستنطعت أن أعلق بأحد أغصان التبينة الهائلة النامية فوق صخرتها ، فبقيت لاصقاً به كالخفاش لا يمكنني أن أهبط أو أن أتسلق لعظم مأكانت الأغصان تبتعد من الأرض وتمتد من حولى ، ولأنها كانت تعرش من فوق خاربديس ، حتى كنت أرتمد من فزع وهلم عند ما كنت أبصر تحتى فأرى المين الحمئة الملعونة تبتلع الموجة إثر الموجة ؟ شم

⁽١) إله العبيا .

رأبت الهراب وقطعة الشراع التي كنت عالقاً مهما ينقذ فان بحوها ويكمونان تحتى فطر بت ولو أن هدذا جاء منأخراً حتى ربع قلى وهمنت قواى بخور بي سعورالذى انفرجت أزمته ، وكشفت عنه غمته ، فهو يت إلى الماء ، وغمر بي سعورالذى انفرجت أزمته ، ويلاه على الأواه الولح عنى سكيللا وتعلقت بهما بقبضتين مستمينتين .. ويلاه على الأواه الولح لحتنى سكيللا الهائلة طافياً هنالك ؛ إذن ما استطاع إنقاذى رب الأرباب نفسه من مخالمها وأبيابها ! اثم بقيت هكذا تسعة أيام بلياليها . يصرعنى البحر وأصرعه ، ويناضلنى الموج وأناضله ، حتى رثت الآلهة لحالى فساققنى فى العاشر إلى أوجيجيا ، جزيرة عروس الماء كليبسو ، فرسوت ثمة فى ليلة العاشر إلى أوجيجيا ، جزيرة عروس الماء كليبسو ، فرسوت ثمة فى ليلة ليلاء ، مظلمة طنعياء ... وقد نالنى من كرم العروس وجميل معروفها ما رد إلى قواى ، وأثابنى عما لقيت من شقوة وأرزاء ...

وا كن لم هذا ؟ لقد سمعتم قصتى مع كلييسو من قبل ، إذ رويتها الملك وازوجه أمس ، و إنى لأكره الحديث المعاد » . . .



أودنيسيوسس بصل بيائكا

وفرغ أوديسيوس من حديثه ، وجلس القوم في الردهة ذات الظَّلَلَ مسبوهین مشدوهین من روعة ما حدث ، ومن غریب ما روی ، حتی تَكَامُ اللَّكُ مَقَالَ : «أوديسيوس ، يا أيها العريز ! صفا باللُّ وطاب حالكُ واستذريت من ذرى هـذه القبة الشهاء بركن ركين ، فلن ينالك أدى معد اليوم ، وان تقدر عليك الرياح الهوج في رحلتك الآمنة إلى بلادك ، و إن يكن مثلك لا يبالي الحدثان ، ولا يأبه لصروف الزمان ، بعد إد رضع لبانها ، وتقلب طويلا في أحصانها ٠٠ وإنه والله ليس أحب إلينا من أن تقيم آخر الدهم عندنا فتتحسى معنا من أكرم هذه الحمر. وتشنف أذنيك بما يتغنى مطربنا الحبيب الإلهي ؛ وإلا ، فذاك صندوقك العزيز وفيه أذخار الهدايا وأعز اللهي ، من مطارف الذيباج ، ومكنون الذهب الوهاج ... ولكن على رسلك ، هلموا يا معاشر الفياشيين فليحضر كل منكم للنازح الكريم طُرْفة من أبر الطرف، وتحفة من أحل التحف، ولتكن ركيزةً من الذهب وأصيصاً صغيراً للزهر ؛ وليساهم الشعب في مدا ، ذلك أدنى ألا تطيقوا ثمنها (١) » .

وصادفت مقالة الملك هوى فى قلوب السادة زعماء الفياشيين ؛ ثمم نهصوا فتفرقوا إلى منازلهم يلتمسون الراحة ، وينعمون بطيب للنام ؛

⁽۱) فى الأصلى: إنه سيكلف الشعب عض الضرائب لسداد التمن ولا بدرى كيف يسينم ملك أن يقول ذك

ونضرت أورورا ابنــة الفجر جبين المشرق بأفواف الورد فهب الزعماء العظام من مراقدهم ، وبادروا إلى السفينة بهداياهم التي وصف الملك . وقد كان ألكينوس نفسه ينتظرهم ثمة ؛ وكان يتناول كل هدية بيديه فيضعها موضعها الأمين تمحت مقاعد المجدمين حتى تكون بمجوة من ضرر يصيبها، أو أذى يلحق بها، حين يكون الملاحون مشغواين فيما هم بسبيله من عمل البيحر ومصارعة الموج · · حتى إذا أساموا تذكاراتهم عادوا مم الملك إلى قصره المنيف لوليمة الوداع العاحرة وقد قرَّب إلى حِوق السكبير المتمال، رب الأرباب ورب السحاب الثقال، بثور جسد عظيم ؛ وأعدّ من فخذیه شواء شهی أقبــل علیه القوم یأ کلون ویر و تخون (۱) ، بینما يسكب في آذانهم غناءه ديمودوكوس مطربهم الحذق الحبيب . وكان أوديسيوس يرنو بطرفه المشتاق إلى الشمس يود من أعماقه لو عجلت إلى خدرها ، وكان يصجره منها جريانها الوئيد ، فهو دائمًا يرقب مفيبها بعيني الزارع الشقي الجوعان الذي أجهده طول النصب في حرث حقله ، مملق بصره بالشمس يتمنى لو هبطت فجأة في المغرب ليلوى أعنة بهائمه إلى كوحه ، وليتبلغ هناك بلقيمات ! وما كادت تتوارى بالحجاب حتى وجه الخطاب لزعماء الفياشيين في شخص الملك ، فقال : ﴿ مُولَايُ الْمُلْكُ الْجُلْمِيلِ ألكينوس ! يا فخر شيرا وعمّاد الفياشيين ! تمنيتُ لو أديت الصلاة الخرية يا مولاى وتفصلت فأذنت لي في وداعكم ، ما دمتم قد أعددتم لي الهدايا واللهي ، والأبطال الصناديد من رجالــكم الملاحين ... و إنى لأضرع

يدسمون القمة .

إلى الآلهة أن ترعابي في رحلتي في اليم ، وأن أصل إلى بلادي فألتي فيها آلى وعشيرتي سالمين ، كما أسأل أرباب الأولمب أن ترعاكم وأن تقر أعينكم جميعاً بذويكم ، وأن تنيء عليكم من نعائها ، وتحفظ بلادكم من عاديات الزمان وملمات الحدثان » وسر الجميع من مقالته فهتفوا له ، ورجوا الملك أن يأذن له في السفر ، فالتفت ألـكينوس إلى مشيره وقال : « هلم يا ُبنتُون فأدهق الزق واحمل الخر إلى جميم أضيافنا ليريقوها خالصةً لوجه سيد الأولب ، كي نتأذن لأوديسيوس بالرحيل إلى دياره » ولعي المشير ، وأخذكل كأسه ، ولم ينتظر أوديسيوس حتى يصال الندمان إلى المملكة المنجلة الوقور ، بل هب مسرعاً وقدم إليها كأنسه الهائلة ، وقال : « وداعاً يا مولاتي لللكة أحر الوداع! وداعاً إلى آخر العمر! وليبكن عمراً موفوراً تمخفرَجاً تقرين فيمه بمولاى الملك والسادة النجب أبنائك الحجبوبين وسَعبك » وحَيًّا و بَيًّا، ثم أهرع إلى المرفأ ومشير الملك يسمى بين يديه ، وثلاث من وصيفات اللكة يتهادين في إثره ؛ أما أولاهن فكانت تحمل الثوب الديباحيّ الموثّى ؛ وأما الثانية مكانت تحمل الصندوق الثمين ذا الأذحار ؛ وحملت الثالثة مئونةً حافلةً من أشهى الآكال وأطيب الشراب ... حتى إذا كن عند السعينة ، سلمن ما حملن الملاحين الشجعان وانتمنين من حيث أقبلن … واشتغل بعض البيحارة بإعداد فراش وثير في قمرة خلفية من أجل أوديسيوس … الذي آوي إلى منامته واستغرق ثمة في سبات لذيذ ، بينها كان الملاحون دائبين في فلت الحبال ورفع المرساة من صغور الشاطيء ، حتى إذا انتهوا توزعوا إلى مجاديفهم وأعملوا ويها أيديهم ، فهمت العلك واحتواها الماء ، وأقلعت تشق الأمواج ، وتأخد سبيلها فى البحر سرباً ··· هذا بيناكان النائم البرىء قد استسلم الطائف من الكرى بشبة ظائف المنون .

وعرك الله هل رأيت أربعاً من صافعات الجياد قلبارى فى حلبة ، وقد أذن المؤذن فاندهمت تنهب الرحب ، وأرسلت فى الهواء أعمافها ؟ الله كانت السفينة تتواثب على أعماف الموج مثلها ، والعبال الزاخر يسطخب من ورائها ، واللجة من بعد اللجة تجيش وتضطرب تحتها ، كأنما تتحدى اليم فى طمأنينة وثبات ، أو تسابق فى الجو البواشق البزاة ! ! وكيف لا ، وقد حملت رجلاً لا كالرجال ، و بطلا بز الأبطال ، وحكيا تر ما لا للا لهة فى المكر مات وعظيم العمال ، وقرنا ليس كمثله وحكيا تر ما كريهة أو نزال ؛ لم يَدف من قبل هذه الغفوة الناعمة التى ماءدت بيفه و بين ما نجشم من آلام وأحزان وأشجان …

وتلألأت في الأفق الشرق نجمة العجر الصادق ، حيم كانت الفلك قبالة الأرض الموعودة س إيتاكا س معد إذ أتمت رحاتها الخاطفة في جنح الليل س وهناك في شاطىء المدينة ، أنشىء مرفأ أمين ماسم فورسير رب الأعماق يُهدخُل إليه بين حاحزى أمواج ممتدين على مدى الجون الجميل ، بين ذراعى الميناء ، فما تستظيع ربح أن تعبت بما فيه من سفين وقد بسقت أشجار الزيتون على الشاطىء وامتدت امتداداً هائلاً إلى كهف حريز تأوى إليه طائفة من عمائس البحار يقال لها النّياد .

^{. (}١) يالترب بالكسر اللدة أو المشبه

وثمة ، أى فى هذا السكهف للقدس ، صفت أباريق من حجر وحرار كتيرة ، يأتى النحل فيودع فيها شهده ؛ وقامت فيه أيضاً عمد من حجر يقال إن عمائس الماء تنسج عليها أثوابها العجيبة . وفيها أيضاً عيون من ماء زلال تسقى ساكنيه . ويؤدى إلى السكهف طريقان عظيمان ، أحل أحدها للناس بضربون فيه ما بشاءون ؛ أما الآخر فلا تطؤه إلا قدم إله كريم ، ويعرف بطريق الجنوب المقدس .

ويم البحارة بفلكهم شطر الميناء، ثم أرسوا فيه، وجنحت السفيمة بنصف حيزومها على ر ماله ... وحلوا أوديسيوس الزعيم دون أن يوقظوه، ووسدوه على وراش (١) وطأوه على الشاطىء، ثم حمسلوا كل مقاعه وأذخاره فجعلوها إلي جانبه خلف زيتونة ضخمة تحجبها عن أنظار المارة، حتى لايعبث بها عيّار إذ هو مستغرق في نومه العميق ... و ركبوا العلمك بعد هذا وعادوا أدراجهم إلى شيرا ٠٠ وأحس نبتيون الجبار رب البحار وعدو أديسيوس الأكبر بما فعل الفياشيون فثار نائره وقال يعتب على زيوس : « أيها الإله الأعظم الأبدى ، أبداً ما أحسبني أنال نصيبي من التقديس والتبحيل بين الآلهة منذ اليوم ، ما دام شعب فياشيا لم يأجهوا أن يحقروبي أو يبالوا بي ، فقد كنت عوات على ابتلاء أوديسيوس بأروع صنوف البلايا قبل أن تطأ قدمه أرض بلاده ، ولم يكن في تصميمي أن أحول بينه و بين العودة إليها لأنك كنت قد وعذت بتمهيد السبيل لهذه المودة ، والكنهم حملوه على فلمكهم غارًا في أحلى المنام ، نم حملوه إلى

⁽١) في نسحة أنهم حلوه بفراشه

الشاطيء الإيتاكي بما ممه من العطايا والأذحار ، وطرف الدحس، وتحف النضار، ومطارف الديباج، وما حمل من كنوز لم يكن يحمل شيئاً منها حتى لوعاد بنصيبه من أسلاب طروادة! وا أسماه! وا أسفاه! » وقال يجيبه رب السحاب الثقال: « ماذا تقول يامزلزل الشطئان والخلجان يا ذا اللهـ كموت والجبروت ، يا أيها العظيم نىتيون ؟! لا عليك يا أخى ! لا عليك ، فإنه لن تحقرك الألهة ولن تستخف بك ! وإذا استخف بك ملاً ضعيف من بني الموتى — عبادنا النشر -- هما يصيرك ؟ أنيس في يديك ألف فرصة للبطش بهم والانتقام منهم ؟ أربع عليك ياستيون ، وصلُّ ملاذَّكُ ، فانك لست عبداً لأحد » قال نبتيون : « جوف يارب السحاب إنه ليس أحب إلى من أن أبطش بهم كما أشرت ، والكني لا أخشى إلا تحديك لى دائماً بغير حق ، و إبى أرجو أن أعصف بسفينتهم في دأمائي اللجيّ حتى لا يحملوا ضارباً في الهر والبحر متل أوديسيوس مرة أخرى ، و إنى مقتف آثارهم الآن ، فضارب فلسكهم اللعين ، فساحره في الحال إلى طود عظيم ينهض مروقيه أمام . دينتهم حتى ليحجها عن كل سارب في البحر فلا يراها أحد أبدا ا » فقال جوف يجيبه : « هلم يا أخى فاصنع ما بدالك ، واهمل فعلتك التي رسمت نم وایسکن ذلك حینها یقتر بون من مدینتهم حتی یری أهل شیرا ما يحل بسفينتهم لتــكون لهم آية ! » . وانطلق مزلزل الأعماق في أثر الغياشيين حتى إذا كانوا فاب قوسين من الشاطيء أرسل يده تحت ملـ كمهم فضربها ضربة هائلة أرسلتها في الهواء وهوت بها إلى اللج ، ثم تركت

مكانها جملا عالياً أشم ، ولوى عنانه إلى أرجاء ملمكه الرحب .

و وقف المياشيون - ملوك البحار - على شاطىء البحرمسبوهين دهشين يسأل بمضهم بعضا : من ذا الذي أرسى هذا الجبل الهائل مكان سفينتهم تلقاء المدينة حتى ليحجبها عن أنظار السفن العابرة في اليم ؟ والتفت الملك وكان واقناً بينهم فقال : « يا للا لهة ! لقد ذكرت نبوءة قصها على والدى فيما غهر من الزمان ... فلقد ذكر لي أن شعبنا المجيد مأذون له من نبتيون أن يحمل الناس من كل فج ، من ضل سبيله منهم إلى الادهم مهما تناءت . وقد ذكر أيصاً أن سفينة من سفننا بعد إذ ترتد من رحلة لها إلى بلد رجل غريب نازح ، ستغرق في اليم ويبسق مكانها جبل عظيم شاهق يحجب شيرا عن البيحر · وها قد تحققت النبوءة ، فهلموا مقرب الإله البحار نيتيون باثنى عشر مجلا تجسداً تسكون أعظم عجولنا وأعلاها قيمة ، عسى أن يرثى لنا فيكشف عنا هذه الغمة ولأ یحول بین البحر و بین مدینتنابهذا الطود الکبیر الراسی» وتوز عزعماء النياشيين ، وبادروا إلى مجولهم فجزروها باسم نپتيون ، وتكبكبوا حول مذبحه فصلوا له ، وسبحوا بذكره س أما أوديسيوس فقد هب من نومه وهو لا يدرى أين هو ؛ ومع أنه كان ينام ألذ النوم موق شاطىء بلاده ، فإنه لم يعرفها لطول ما شطت به النوى ولأن مينرفا الكريمه ، سلبله چوف العظم ، كانت قد ألقت حوله ظلالاً تحجبه عن أعين المارة مخافة أن يمرفه أحد منهم قبل أن تلقنه من حكمتها ما هو ضرورى له في حالته هده "كا نما أرادت ألا يستبينه أحد من مواطنيه ولا من أصدقائه

وذويه حتى يبطش البطشة الكبرى باسشاق الفساق الذين استباحوا عرضه واستحلوا بعير الحقزاده وخيره ، وعروا كالشياطين داره . لذلك موهتمينرفا كلشيءفي عيني أوديسيوس، فالطرق مستقيمة مستطيلة والوابيء رحبة مترامية ، والجبال ذا هبة في السهاء ، والدوح باسق يطاول الجوزاء ، وكل شيء ليس بما عهده البطل في بلاده ٠٠٠ ووقف يقلب عينيه في المشاهد المحدقة به ، ثم تهد من أعماقه ، و بسط كفيه إلى السماء ، وضرب بهما في بَرَم على فخذيه ، وأنشأ يقول : « و يلاه على وألف و يل ! أى شعب من الشُّموب يقيم بهذه الأرض يا ترى ؟ أأجلاف ظَلَمة هم ، أم أطهار أخيار يحبتون الآَلَمَة ؟ ليت شعرى أنن أخبىء هده الـكنوز والأحراز ؟ وَيُ ا مَل أيان أذهب أنا ؟ لممرى لقد كنت أوثر ألا أنال شيئًا منها من هؤلاء العياشيين على أن أ كون قد حلات بأرض ذى نخوة وذى نحيزة من ملوك الأرض غير ألمكينوس هذا ، ممكان يرسلني آمناً سالما إلى بلادي ! ماذا أصنع يا ربى ؟ أأتركُ هـده التروة الطائلة هنا ؟ أأدعها فريسة حلالا لغيرى من الناس، وأهيم في هذه البطحاء على وجهى؟ وا أسفاه! أهكذا يغرر بي میلقوننی فی شاطیء غیر شاملیء بلادی ، وقد وعدوا أن پهبطوا بی مرهأ إيثاكا الأمين؟ اللهم يا چوف العظيم ، يا من إليــه يجأر أبناء السبيل والمهاجرون والمساكين ؛ إنتقم لى يارب الأرباب من وولاء الخونة المبطلين! واكن ... يجدر بي قبل كل شيء أن أحمى أذخاري لأرى هل سلمني منها هؤلاء اللصوص شيئًا ؟ » ثم راح يحصر كنوزه ، فمـــا وجد شيئًا منها ناقصاً أو غير موجود ، وزاد ذلك في أشجانه ، فأخذ يندب حظه ،

ويبكي على ما التى من زمانه ، وينشج نسيجاً مؤلاً لهـ فده الهجرة الظالمة عن أوطانه، وجعل بروح و يغدو على سيف البحر المضطرب، وحيداً مُمَنى، وبرسل دموعه وزفراته حتى بدت له آحر الأمر مينرفا في صورة راع صغير غص الأهاب محيب الثياب جميل الحمياً ، كأ بناء الملوك ، ملتفعاً حول عنقه ومن فوق صدره بشفيف (١) صفيق طُوى حولها طيتين وفي قدميه نعلان متواضعتان ، وفي قدمية حرية ناعمة لامعة · وكانت مفاجأة سارة فوجيء بها أوديسيوس فحطا حطوات عاجلة إلى الشاب وراح يسائله : «مرحماً أيها الفرانق الجميل القدكنت أول إنسى ألقاها هنا ، فبعتى هذا عليك أن تحميني وتحمي أذخارى هـذه ، وألا تلحق بأينا أدى الي أتوسل إلى أحد الآلهة أن تصدقني فيا أسألك عنه ؛ أية بلاد هذه ؟ وأى قوم يعيشون ويها ؟ أهي جزيرة آهلة ، أم حَدُور من بلاد مترامية ؟ أخبرني بأريابك أيها الفتى » .

وقالت مينرقا ذات العينين الزبرجديتين تجيبه: «أيها الغريب اللاجيء كم أنت ساذج إكيف تسائل عن هذه البلاد كا أنك لست من أهلها ؟ إنها بلاد ذات ذكر في المشارق والمغارب ، ومنها و إليها تصدر الركبان إلى كل فج ، ثم هي ليست يهماء مجهولة ، بل هي جنة مأهولة ، واخرة الخيرات موفورة البركات ، ففيها أنضر سهول القمح ، وأبهج زاخرة الخيرات موفورة البركات ، ففيها أنضر سهول القمح ، وأبهج عمائش الكروم ، وأخسب المراعي الخضر الحافلة بقطعان النّم والشاء ؛ تسقى من ماء معين ، وأنهار وعيون … هدذه يا رجل إيثاكا … إيثاكا تسقى من ماء معين ، وأنهار وعيون … هدذه يا رجل إيثاكا … إيثاكا

⁽١) الثوب الرقيق . -

المُباركة ، التى استطالت شهرتها ، واستطار ذكرها حتى ملاً الحانقين ، وجاوز طروادة ذات المحد ، التى لا تبعد شطئانها من أخايا » .

وشاع البشر في نمس أوديسيوس لما سمع الراعي الجيل يؤكد في لهجة قاطعة أن هذه الملاد هي إيثاكا الموعودة ، وهز السرور أعطافه لما رأى من زهو الشاب وافتخاره مها . بيد أنه مع ذاك راح يتجاهل، وما يخدع إلا نَفْسَه هو .. قال : ه أجل .. لقد سمعت عن إيثاكا في أقاصي البحار ... والناس يعرفونها حتى في كريت التي وصلت مها اليوم معتادي هــذا ، تاركاً فيها أبنائي وذوي رحمي ، فاراً بنمسي من الفعلة الهائلة التي فعلت .. يا و يح لي ! ! لقد قتلت العدَّاء المعروف أرسيلاو بن أيدومين العظيم الدى لم يكن يباريه في سرعة عدوه أحد . لقد خدثته نعسه أني يسلبني ما غنمت من كنوز طروادة وأسلابها وما حصات عليها إلا بعد قتال شديد ولظي جرب ، وركوب أهوال في ذلك الم ... وذاك لأنى أبيت أن أقاتل تحت لوائه ، أو لواء سيده ومولاه ، بل قدت فيلقاً من الجند فظمرت وانتصرت ، مكبرت عليه هذا ، وحفظها لي ، وأضمر في نفسه الغدر ، فلما عدنا أدراجنا إلى أرض الوطن ، حاول أن بسرقني كنوزى ، فأقصدته (١) مرمحي فأرديته ، وكان معه زميل له شرير فدبحته ، واستعنت عليهما بدحي الليسل ودُجُنَّتِه ؛ ثم هربت تحت أستار الظلام بأحرازي إلى الشاطيء ، حيث حملتي سفينة مياشية رجوت ملاحيها أن يبحروا في إلى شاطيء بيليا ، أو إلى مرفأ إيليس … لـكنهم وا أسفاه

اضطروا إلى الإرساء هما لأن ربحاً عاصقاً قسرتهم على ذلك ، فوصله هنا برغمنا فى جنح الليل البهيم ، ونقينا عناء عظيما فى النزول بالمرفأ الأمين ؛ ومع شدة حاجتهم إلى الطعام ، فإنهم لم يستأنوا ، بل تركونى وحدى ، وأبحروا على عجل ، بعد إذ عت على الشاطىء من الإعياء ، و بعد إذ حماوا إلى هنا متاعى ... وهم الآن فى طريقهم إلى سيدونيا ... وهأنذا وحدى هنا ، لا أعرف أيان أدهب ، ولا أين أمضى ! ا » .

وسكت أوديسيوس … ولكن الراعى الشاب الجيل أخد ينحول في فتون وسحر إلى صـورة حلابة أخرى .. لقد أصبح امرأة حسناء هيماء ... وها هي ذي ... تلك المرأة الحسناء الهيفاء ... تبــدو في صورة مينرفا – ربة الحكمة – التي اقتربت من البطل في تبسم وظرف، وأخذت تعبث بلحيته الكثة الشمتاء في دلال وسخرية ، وراحت بدورها تجيبه : « مرحى أوديسيوس ... مرحى مرحى أ! ما أحسب أن أحداً - أحــداً من الآلهة - يفوقك في مكرك و براعة حيلتك يا ابن ليرتيس!! أما آن تقلم عن مراوغاتك التي حذقتها مذكنت يافعاً وعن توشية الأحاديث الملفقة التي حذقتها واشتهرت بها في العالمين ؟! وليكن ... تعال ... ليدع كلانا ما يحاول أن يزوق به كلامه ، مكلانا بارع في ذلك صناع ... أنت بعصاحتك . ودقة فهمك وطريف حيلتك بين الناس ؛ وأنا بحكمتى وقوة تدبيرى بين الآلهة ... وما أحسبك تجهل مينرفا ابنة چوف الأكبر ، التي كانت رائدك ورفيقك في كل ما حاق بك من مكروه ٠٠٠ فقد كنت أقذف الشجاعة في قلبك في مواقف شدتك . كاكنت أثير الحمية فىأفتدة الفياشيين الذين وصلوابك إلى هنا ، وهأنذى طويت إليك فدافد الرحب لأخلو ساعة بك ، ولأن لى حديث نصح ممك ، بودى أن أمحضك إياه ... وقبل هدا ينبغي أن تحبىء كنوزك التي أسبغت عليك بمشورتي ... ثم إنى محدثتك عما يتحيفك من أرزاء، وما يدبر لك من كوارث تحت سقف بيتك ، ونصيحتي أن تحتمل ما يصيبك أول الأمر بقلب جليد وصبر ثابت وطيد ، واحذر أن يعلم أحد، رجلا كان أو امرأة — توصولك إلى إيثا كا وحيداً شريداً لاخول لك ، كما وصلت ، بل اصمت كلما حاول أحد أن يتعرفك ، واحتمل الأذي كلا امتدت به يد إليك » . وقال أوديسيوس ، وقد أسقط في يده : « لله درك يا ربة ! ما أبرعك في تغشية العيون وتضليل الأبصار ، والتشكل في أي صورة شئت! بيد أنك برغم ذلك حليمة رحيمة كمهدى بك دائمًا ؛ ألا كم نصرت أبطال أخايا المداويد ، وأظفرتهم بأعدائهم في ميدان طروادة ... ولكني لن أنسى مذ أقلع أسطولنا من مياه تلك المدينة ، بعد سقوطها في أيدينا أنك لم تظهري لنا قط ، ولم تبادري مرة إلى إنقاذي من إحدى الرزايا التي كانت تحيق بي والتي كنت أحتملها بقلب جدید ، وصبر شدید ، حتی رثت الآلهة لحالی فجملت لی منها مخرجاً وأنقدتني إلى بر فياشيا ، حيث أثرت في صدرى النخوة ، وأوليتني الشجاعة ؛ وكنت دائماً دليلي ورائدى ٠٠٠ ولـكن ١٠٠٠ أصدقيني بأسك يا ابنة چوڤ ، هلوصات حقاً إلى إيثاكا ؟ أم أنا فىصقع سحيق، عنها و إنما أنت تسخرين مني وتعبثين بي ؟ أصدقيني بأبيك يا ربة ، هل هــذه (14 - c)

بلادي العزيزة إيثاكا ؟ هل هي حقاً ؟ » وفالت ذات العينين الزبر جديتين . تجيبه : « دائماً حَذِرٌ يا أوديسوس ، و إلى الأبد يملأ الوسواس صدرك ، رغم ما أوتيت من حكمة وتديان ورجاحة فكر وسلامة جنان ا بيد أنك معدور يا صاح ، إذ أي رجل يتشوف لرؤية زوجه وأبمائه ولا يتحرق شوقًا للقياهم ، بعد هدا النوى الطويل ، والبعد الممص ، والأنجوال الجسام الجمة ؟ غير أنه أفصل لك ألا تعلم شيئاً ولا تسأل عن شيء حتى تلمس بنفسك مقدار ما تكنه لك من الحب ، تلك الزوجة الوفية المخلصة التي ذهب شبابها عليك حسرات ، والتي ذرفت دموعها من أجلك آناء الليل وأطراف المهار طوال تلك السنين الباكية الحزينة الموحشة `` إنى لم أتركك يا أوديسيوس كما تظن ، بلكنت أعلم أنك راجع دون ماريب إلى الادك ، و إن فقدت كل رجالك ورفاق سفرك الطويل الشق . غير أنني أشفقت أن أثير حنق نبتيون، عمى وشقيق أبي، الذي يحر الأسي في قلبه من فعلتك التي فعلت بعين ابنه السيكلوب … ولكن هلم … إنى سأقطع شكك باليقين ، وسأدلك على علائم تؤكد لك أنك في إيثاكا ... فهذه هي ميناء فورسير حكيم البحار، وها هي الزيتونة الكبري عند رأس المرفأ وعلى مقرىة منها دلك الـكمهف المقدس الإلهٰى الذى تأوى إليه عرائس البحر المعروفة باسم النياد، وقد طالماكنت تجزر القرابين والأصاحى باسمهن عند وصيده ، وهالتُ جبل. نيريتوس وأولئك غاباته الشجراء ··· » ثم رفعت ربة الحكمة الغشاوة عن عينيه فعرف دياره ولم ينكر شيئًا منها ، وهكدا شاءت المناية أن يشهد البطل المكدود بلاده الحبيبة مرة أخرى ،

وهكدا خرأد بسيوس جاثياً يقدل ثرى الأرض المقدسة ، ثم رفع يديه يصلى العرائس الماء كساسق دأبه : « ياعمائس البحر، يابنات چوف الأعظم ، لقد قنطت قدل هدا من أن أراكن ، فهأنذا أعود إليكن بألف ندر وألف تحبة وسلام … ولكن القرابين الغوالى إذا مدت أختكن — مينرها الحكيمة وسلام … في أيامي وباركت رجولة ولدى ومعقد أحلامي » .

الوساوس التي تعذبك ! هلم ! البدار ، البدار ! لنحبيُّ هذه الـكنوز في أغرار ذلك السكهف السحيق لتكون في مأمن من عبث عابث ، ثم هلم أدىر الأمر معك » وانطلقت الرية في ظلمات الـكمف تتكشفه بينها حمل أوديسيوس أذخاره فوضعها حيث أشارت مينرڤا ، ثم حملت سيديها الجبارتين صخراً عظما فأحكمت به غلق المدخل الرهيب . وجلسا عند أصل زيتونة باسقة ، وشرعا ترسمان الحطط و يحكمان التدبير لهلاك العشاق الفسَّاق المعاميد ، فقالت مينرفا : «أوديسيوس ، يا ابن ليرتيس الحجيد ، هلم وأعمل فكرك الآن في الوسيلة التي تبيد بها أعداءك الذين لا يستحيون ، أوائك العشاق الذبن استبدوا بأسرتك طوال أعوام ثلاثة ، واستباحوا و يزخرفون لها الأمابي ، ويعسلون لها كلة الفسق ، وهي ما تزداد إليك المني لذاك ، معللة نفسها بعودتك لتسحقهم جميعاً ! » واستعبر أوديسيوس قلميلا وقال : « أوه ! كأن القضاء الذي أسكت نأمة أجاممنون يكاد

يحيق بى أنا الآخر فى صميم دارى إ ولـكن .. وَكُنْ ! أَصْرَعَ إِلَيْكُ أَيْهَا الربة أن تشيري على وتنصحي لي وتلقنيني كيف أثأر من هؤلاء الطغاة ؟ وأتوسل إليك أن تقذف فى قلبي الشجاعة كما قذفتها فيه تحت أسوار طروادة، فإنى بعونك أدوخ المئين من أعدائي ، وما دامت يدك فوق يدى ، فإنى مستأصل شأفتهم جميعاً » قالت مينرقا: « اطمئن يا أودسيوس ، فسأكون معك و إن لم يمتد إلى طرفك حتى تغتالهم أجمعين ، وحتى تطيح رؤوس أكثرهم على أرض قصرك سواكن تعالى، ألق بالك إلى ، إنى سأغير من حمورتك، وأحور من شكاك حتى لا يعرفك منهم أحــد ؛ فهاتان الوفرتان (١) تستطيلان حثى تغطيا كتفيك وحتى تتصلاباالمة (٢)، وسأدثرك بدثار مرقع رث يشير التقزز في نفوسهم فلا يمدون أبصارهم إليك، وسأحدث أوراماً حول عينيك تزيد في تنكرك ، حتى ليحسب من يرى إليك من أعدائك أنك وأهلك بعض المساكين الذين لا يفتأون يضر بون في الأرض … على أنه ينبغى أن تلقى راعيك الأمين (إيبومايوس) الرجل الوفي الذي لا يزال يخلص لك ، و يغي لابنك ، و يؤثر بأصني وده · زوجك ··· فاذهب إذن إلى جُبيل كوراكس المطل على نبع أريثوزا ، يجد قطعانك ترعى العشب الحلو ثمة ، وتستى من السلسبيل الحجاور ؛ وتمجد راعيك الشيخ يتشوف إلى رؤيتك ، فحيه واجلس إليه ، واسأله عن كل ما ترى أن تعرف من أنباء بيتك وأهلك وعقارك، وتلبث معه حتى أعود إليك بابنك من أسبرطة … إبنك تلياك الذي ذهب بذرع الرحب

^{· (}١ -- ٢) الوفرة ما بلع شحمة الأذن من الشمر واللمة ما ألم بالمنكب منه .

سائلا عنك ، متحسساً أحبارك حيث حل ضيفاً كريماً على الملك مناوس ، الذي أرسله إلى ليسديمون ايرى هل لا يزال أبوه حياً يررق؟ » قال أوديسوس : « وا أسماه عليك يا ولدى !! ولم أيتها الربة المحيطة بكل شيء لم تخبربه أنني حي أررق وأنني لابد عائد إليه ، فكنت كفيته بلاء الرحلة في تيه البحر ، بينا هؤلاء الـكلاب يستنزفون ثروته وماله ؟ » فقالت تجيبه : « لا تأس على ولدك مكذا يا أوديسيوس ؛ لقد أرسلته أنا ثمة ينشد الشرف وينشر ذكره بين الناس … إنه لا يلقى عنتاً هناك ، بل هو ينعم بالرعاية في قصر أثريدس! واعلم أن فريقاً من عشاق بناوب يتر نصون نه ، و يترصدونه في طريقه ابتغاء أن يقتلوه قبل أن يبلغ أرض الوطن " ولحكن لا " خاب فألهم " إنهم لن يمسوه بأذى حتى تكون الأرض قد رويت من دمائهم ، وغيبوا جميعاً في بطونها ؛ أولئك السُّمْلُهُ الذين يستحلون زادك وعتادك الآن » . ثم مَسَّته بعصاها المسحرية مىدت عليه بدوات الـكبر؛ فهذا جلده قد تغضن ، وهاتان وفرتاه ولمته قد استطالت حتى بلغ شعرها قدميه ، وها هى ذى تضنى عليه الدثار المرقع الرت ، وها هي ذي تحدث الأورام حول عينيه وتزوده بمـزق قذرة علق بها التراب والسخام (١) وها هي تضفي عليه بعد ذلك جلد ظبي قديم غليظ وتدفع إليه بمكازة طويلة يتوكأ عليها ، وتمده بمزود(٢) تدلت منه أوشية قبيحة ، وأحيط بسيور من جلا عتيق …

وافترقا ··· فهو إلى حيث يلقى راعيه ··· وهى إلى حيث تلقى تليماك في مملكة ليسديمون .

⁽١) الفحم أو ما يعرف بالعامية بالهباب.

⁽٢) خرج.

مسيع السيراعي

وسلك سبيله في طريق وعم محفوف بالأشجار الباسقة إلى مأرى صديقه الراعى الشيخ الأمين ، فوجده جالساً وحده في مدخل الحطيرة الشاسعة القائمة وسط المرج المعشوشب النصير . ولقد سورها يوما وس ، إذ سيده غائب في أقصى الأرض ، بسور عظيم ضخم من حجارة قوية نحتها من محجر قريب ، وجعل على السور فروعاً من قتاد وشوك وحذوعاً من سنديان ، حتى صارت أمنع من عقاب الجو . . كل ذلك دون أن يساعده أحد ... ثم قسمها اثنى عشر زَرْباً (١) جعل في كل منها خسين خنزيرة كنازاً ... أما ذُكران الخنازير فقد تركها سائبة في الحارج ليرسل منها إلى العشاق المعاميد ما يأكلون منه وما يريغون .. وقد متى منها بعد تلك الأعوام الطوال ستون وثلثائه . ور بضت لدى الباب كلاب أربعة كسباع البرية ، تلحظ الحظيرة بأعين كالجمر ؛ وجلس الراعي يعمل لنفسه نعالًا من جلد ثور مدبوغ، بينما انطلق خدمه ومعاونوه الأربعة يعملون ويدأ بون هنا وهناك . وكان رابعهم على وشك أن يترك الحظائر إلى المدينة ، حاملًا لحم خنزير حنيذ يذهب به برغمه إلى العشاق الفساق . وللحت الكلاب أودسيوس فأهرعت إليه ، وظلت تعوى وتذبح ، وترغى وتزبد، وأوشكت أن تفتك به ، لولا أن هب يومايوس فكسر شرتها

⁽١) الررب: الرريبة للعنم .

عا رماها به من الحجارة ، ولولا أن ترك أوديسيوس عكاره يستقط من يده لأن السكلاب لا يغيظها إلا أن يُمسك لهما أحد عكازاً ... قال الراعى : ﴿ أَيُّهَا اللَّاحِيءَ العَجُوزُ سَلَّمَتَ ! خَطُوةً وَاحْدَةً ، وَكَانَتَ هَذَهُ الكلاب قد مزقتك إرباً ، وكانت قد لحقت بي سبة لاتبيد! ألا كم ترسل الهالك ، الذي أمضني الحزن ، وشفني الأسي من أجل سيدي ومولاي ! هأنذا أُسمَّنُ قطعانه وأرعاها لينعم بها غيره ، بينما هو نازح غريب يجوب الآفاق ويشتهى كسرة يتبلغ بها ، إن كان لا يزال حياً يررق ! أوه ! • تعال أيها الصديق ، هلم فاتبعني إلى دارى أطعمك ما تيسر ، وأسقك كفايتك من الحمر ، وتمخبرنى بعدها من أنت ، ومن أبن أقبلت وماذا وراءك ! » وانطلقا ، وقدم إليه الراعي الكريم حَشِيَّتُه التي كان يجلس عليها ، والتي أتخذها من جلدعنز حشاه بالقش؛ فشكره أوديسيوس، ودعا له بما يحب و بكل ما تصبو إليه نفسه ، فقال الراعي يجيبه : « أيها الصديق ليس أمقت إلى من أن أذود لاجئاً إلى دارى و إن يكن أرث منك حالا ، لأن أبناء السبيل جميعا مم ضيوف زيوس رب الأرباب وأنا مع ذاك أعتذر إليك إذا لحظت أن زادى قليل وأن حالى رقيقة ، فلقد مضى زمن العز والعيش الواسع الحخفرج وأصبحنا نعاني الةُلُّ والفاقة والعيش الخكد تحت إمرة هؤلاء الرؤساء الأصاغر . آه يا مولاى يا زين الحياة ومؤدب الناس أن أنت وأين أيامك وخيرك الوفر؟ ايتها دامت ، وايتك ظالت فعشنا فى كىنغك ... وليت ھىلىن وكل من فى بيت ھىلىن مداۋك ... ھىلىن

التي قتلت سادات هيلاس (١) مِمَّن أبحروا مع أجاممنون لينيلوه النصر في ميدان طروادة ! » . ثم لملم دثاره وذهب إلى الزرب الأول فجاء بخنز يرتين ناراً عظيمة فسوًى على جمرها السفاهيد المثقلة باللحم ، وجاء بالشواء فوضعه أمام أوديسيوس ، ثم نثر عليه من الدقيق ، وأحضر زق الحمر ، وجلس قبالته وقال : « هلم يا صيفي العزيز فكل وار و ··· لا تؤاخذ بي إذا رأيت الشواء لا سميناً ولا حنيذاً ، فحكل سمين وحنيذ يذبح أولا فأولا ويرسل 'إلى العشاق السفلة الذين لا يرعون في الآلهة إلاَّ ولا ذمة ، ولا يخافون سماء ولا بَشراً … يا لله من هؤلاء الفجرة .. ألا يلمون شعثهم ويغيرون بخيلهم ورجلهم على بلد قاص فيثو بوا بأسلاب الغزو وسخط الآلهة ؟ أم تراهم أوحى إليهم بموت مولاهم فهم لهنا قائمون ما ير يمون ، ولزاده آكلون ومن خمره شار بون ، حتى فرغت الجرار ، وخَوَّت الدار ، وضَوَّل الزرع وجف الضرغ !! أبداً ما ملك أحدمثل ما ملك مولاى ! لقد كانت ثروته تعدل ما يملك عشرة أو عشرون أميراً ؟ ولا أزال أذكر مما ملكت يدا. اثني عشر قطيعاً من الأنعام كانت ترعي العشب في مروج الشاطيء (٢) المقابل ، وكثيراً من قطعان الأغنام وأرعال (٣) الخنازير وأسراب الماعز ، عليها أجراء وخدم ورعاة لا يحصون ، ورجال مخلصون يزرعون في حقوله الشاسعة ويحصدون ، ورجال يحلبون من قطعانه كل كناز للذبح …

⁽١) اليونان وتسمى أخايا أيصا .

⁽۲) لعله شاملی، آسیا .

⁽٣) جمع رعيل ويجمع على رعال أو أراعيل وهو في الأصل للخيل والبقر .

أما أنا · · فقد عهد إلى بهذه الأرعال التي ترى ، أطعمها وأعني بها ، و ... وا أسماه ؛ وأرسل إلى العشاق كل يوم بخيارها » .

وصمت الراعى بينها كان أودسيوس يصغى ويلتههم طعامه ويفكر ألف فكرة ، ويدبر ألف تدبير لسحق هؤلاء العشاق المفاليك . حتى إذا انتهى ، قدم إليه يومايوس كأسه دهافا ، فتقبلها وشرب ما فيها وقال : « ترى ما ذا كان اسم سيدك أيها الصديق ؟ لا بد أنه كان مشهوراً ذا ذكر، لما وصفت من واسع ثرائه وسمو جاهه و بسطة ملكه . لقد قلت إنه دهب إلى طروادة مع أجاممنون ، فهل تتفضل فتذكر لى اسمه عسى أن أقص عليك من أنبائه ؟ لقد ذهبت أنا الآخر ْعمة ، وسافرت في - بلادشتي ، ومحمال ألا أعرف العظاء الذين جاهدوا مع أجاممنون . » فأجابه الراعى : « وا أسفاه أيها الأخ العجوز ! أبداً لا تنطلي الأنباء الملفقة عن مولاى على زوجه أو ولده ؛ فكم من جُوَّات آفاق مثلك ، محتاج إلى لقات أو سروال ، قد لتى الزوجة المسكينة فلفق لهـا قصصاً مكذو باً عن رجلها ثم دلت الأيام على كذبه وزحرفه ، والزوجة ف كل ما تسمع تذرف الدموع وتصعد الآهات كأحسن ما تصنع زوجة وفية من أجل روجها الذي قضي في بلد بعيــد . وأكبر ظني أنك تطمع في كساء تخلعه عليك هذه الزوجة المفئودة الرءوم ، فأر بـم عليك ، فالرجل قد قضى ، وليس بعيداً أن تكون كلاب البرية وسباعها قد اغتذت به أو أنه قد غرق فأكله السمك ، ولفظت عظامه على سيف البحر التذروَها الرياح ، تاركاً وراءه قلوباً تأسى عليه ، أحزنها عليه قلبي .

تالله ما وددت أن أرى أبوى اللذين غادرتهما مند أحقاب كما أتشوف اليوم إلى رؤية هذا الرجل ٠٠ آه يا أودسيوس! أين أنت ١٠٠ إنك مهما شطت النوى وشحطت الدار فلن أبرح أذ كرك وأسبح باسمك وأوقرك عا أحسنت إلى وعنيت بشأى ، يا من فراقك عندى آلم لى من فراق أعن إخوتي وأسقائي! »

وحدجه أوديسيوس وقال: « أيها الصديق لم تيأس من عودة مولاك هكدا ؟ ولم يخامرك الشك في أن رجوعه محتوم لا ريب فيه ؟ إذن فأنا أقسم لك قسما لا أحدث فيه أنه عائد لا محالة ، ومعاذ الآلهة أن أقسم وأؤكد الأيمان لأنال القميص الذي ذكرت أو الدثار الذي أنا في شــدة الحاجة إليــه ، بل ليبق القميص والدثار حتى يتحقق قسمي ونبر يميني فأتسلمهما منك ، فإني أمقت الكاذب الحانث في يمينه كما أمقت أبواب الجحيم ، والله على ما أقول وكيل … إطمئن إذن يا صاح ، وثمق أن أوديسيوس لا بد عائد هذه السنة إلى إيثا كا بل ربما عاد هذا الشهر ، وان يمضى شهر آخر حتى يكون قد ثأر لعرضه من أعدائه وبطش مهم جميعًا ... أولئكُ الفجرة الأشرار الذين جسروا على استباحة حمــاه ، و إهانة روجه ، وعدم المبالاة تولده ! » وسخر الراعى وقال : `« أَهَكَذَا تقسم وتؤكد القسم يا صاح ؟ أبداً لن تنال الرحمان أبداً ، فقـــــد أودى أوديسيوس ولن يعود بعد ... هلم هلم، يَحَـُـسُ كأُسكُ الروية ودع هذا الحديث فإنه يحزنني ويثير شجوني ... خل قسمك ، وليقدم أوديسيوس فى خيالك أو فى الحقيقة ، مأنا و زوجه وأبوه وولده ···كلنا نشته..ى ذلك

ونتمناه على الآلهة ٠٠ ياو يح لك يا تلماك الحبيب! لقــدكـمت أرقص طرباً كلما رأيتك تنبت كما نبت أبوك ، وتشب على العضائل التي شب عليها! أين أنت؟ لقد ذهبت إلى ملك ييلوس تتحسس أخبار أبيك، وهاهم العشاق يترصدونك ويتربصون بك ليغتالوك في الطريق. ألا طاشت أحلامهم ، وحمــاك چوف الأعظم من مكرهم ، وحفظك ابيت أرسسياس يا أعن الناس ... ؛ ولكن تعال أيها الضيف الكريم ... قل لى بربك واصدقني في كل ما تقول: من أنت ، ومن أين أقبلت ، وفيم قـــدمت؟ وما بلدك؟ وأين يقيم أنواك؟ وأى سفينة حملتك إلى شاطئنا ؟ فلعمرى إنك لن تدعى أنك وصلت إلينا سائراً على قدميك !! » فقال أوديسيوس يجيبه: « سأقص عليك من أنبائي التي لايأتيها الباطل مالو ابثت عندك عاماً بين هذه الحرر وذاك الطعام، بينما يكد الآخرون من أجلنا ويجهدون ، ما فرغت من قصها عليك ... همى أنباء باكية وآلام متصلة ، شاءت السماء أن أقاسيها ، وأن أجرع غصصها . إذن فأنا ابن كاستور هيلاسيد أحد سراة كريت ، من سرِّيته المحبوبة التي كان يعزها کزوجه . ولم یکن أبی یفرق بینی و بین إخوتی من زوجــه ، بل کان يولينا حمه على السواء، وكان الناس يبجلونه كأحد آلهتهم لثرائه الواسع، وحسبه الضخم ، ولأعماله الناجحة ؛ فلما مات اقتسم أبناؤه كل ما ترك ، وكان نصيبي منرلا متواضعاً ، ومالا كتيراً ، وزوجة غنيــة ذات مال وجمال . ولم يحاول إخوتى أن يَدْ عُونى أو يأكلوا تراثى ، لما كنت عليه من كريم الخصال وحميد الفعال ، وجمال المنظر ووسامة المظهر - لا كم

تراني الآن - وا أسما على ما فات من نضارة الشباب! تالله لن تسقطيم، وان يستطيع أحد ، أن يحدس كم شقيت وكم بُليت ، وكم من الآلام والصنك وأوضار الحياة تحملت ؟ فلقد كنت لا أرهب الردى ، وكنت داءاً أحوض خبار المعامع في حي مارس ومينرفا فأشك قلوب الأعادي نفسى بأ كلاف البيوت ومشاغل الحياة المعيشيه الدنيا ، التي هي بالأحداث والغلمان أولى ، بلكنت مشغوفاً أبداً بركوب البحار وخوض غمار الوغى، وملاحبة الأسنة ، وما إلى ذلك مما جعلته السماء غراماً وفرحاً لى ، وضراماً ووزعاً في فؤاد سواى — والناسكما تعلم فيما يعشقون مذاهب ٠٠ ولست أرسل القول على عواهنه ، فلقد قدت إلى طروادة تسـُعة جيوش ظُهرَتْ بميالقها قبل هذه الحرب الضروس الأحيرة بينها وبين هيـــــلاس ٠٠ ولقد حزت الثراء الجم والغني الوافر من جراء هــذه الحروب، فأصبحت بين شعب كريت المفصل المبجل ... ثم كانت الحرب الأخيرة التي قتل بسبها مئات من السادة الصناديد من رجال الإغريق ، فاختاروني أنا وصاحبي إيدومين قائدين للأساطيل ··· ثم حار بناحول طروادة تسع سنين حافلات مُثْقَلات، وفي العاشرة سقطت المدينة في أيدينا، وعدنا أدراجنا نطوى اليم لا ندرى ماذا خبأت لنا المقادير ؛ ومن محمة بدأ جوف يرسل صَيِّباً من الرزایا فوق رأسی ، حتی إذا وصلت إلی كريت ســالماً لم ألبث طويلا هناك ، ولم أمتع النفس بالأهل والوطن إلا شهراً واحداً ؛ ثم أقلعت في نحبة من رُفاق بأسطولنا إلى مصر بعد أن أولمت لهم وقر بت القرابين .

وقد أرسلت العناية لنا ريحاً جرت بسفننا رخاء ،كا نما أبحرنا مع تيار نهر لا جبار ولا عنید ، ولم یحدث لأی من جوارینا سوءِ حتی بلغنا شطئان مصر في اليوم الخامس ، واتخذت سفننا سبيلها في النيل عجباً … ثم حدث. ما لم أود أن يحدث ، إذ سطا رجالي بعد خُلْف في الرأى وشجار بينهم عنيف على حقول الفلاحين فاستاقوا أنعامهم وسبوا نساءهم ، واسترقوا أطفالهم ثم ذبحوا رجالهم .. بيد أنهم لم يسلموا مع ذاك من شر المصر يين ؛ إذ استيقظت المدينة على صراخ الجرحى وأنين القتلى ونصويت النساء فأقبل أهلها كالجراد ، بين فارس وراجل ، وكل يحمل السيف البقار أو الرمح السمهري ، فأعملوا فينا ضرباً وتقتيلا واستنقذوا السي كله ، وشفوا حرد صدورهم منا .. أما أنا ... فيا ليتني قتلت فيمن قتل واسترحت من هذه الدنيا التي جرعتني ضعف هذه الآلام بعد! لقد كنت أشهــــد رجالي يهوون إلى الأرض ، وأعلم أن چوف قد أنزل هذا البلاء بهم جزاء لهم وفاقاً ؛ فلما رأيت أنني لا محالة شارب بالكاأس التي شرب بها رماق ، ألقيت سيني ، وجريت أعزل من السلاج إلى حيث الملك الكريم ، فَرَكُعَتْ بَيْنِ بِدَيِّهِ ، وقبلت الأرض إجلالاً له ، وبكيت ما شاء حوڤ أن أبكي ، ثم سألته العفو والمغفرة ، فرق لي ، ورثى لحالي ، وأمر بي فأحدني فى جملة خدمه وخوله إلى المدينة . وقد رام رجاله أن يقصدوني برماحهم لولا أن صدهم مخافة من الله الذي أمّن اللائذين به ، المستذرين بظله . شم لبثت في أهل مصر سبع سنين هانئاً سعيداً محبو باً من الجيم . وحدث في السنة الثامنة أن قدم إلى المدينــة رجل فينيتي جواب آفاق ، ما زال بي حتى

أقنمني بالعرارمعه إلى بلاده ، وأغراني بأنله ضياعاً وأملاكا ومالا، ففعات، وابثت معه حولاً بأكله ، نم حدث أن كلبي معد هذا الحول في رحله لا أعرف إلى أين ، كانت أكبر الظن للسطو والقرصنة ، أو على الأقل لأباع في بايد قصى بيع الرقيق ، فينتمع شمى ... ورحلنا .. واكن عاصمة جبارة هبتعليناوتلاعبت بنا ؛ وعبست السماء ، وكملح الدأماء (١) وتمرد من تحتنا الماء، ثم أرسل جوف صواعقه علي السمينة فقصمها ... وغرق الملاحون جميعاً ! ... وأكرمني الله العلى اللطيف مبعث إلى بقلع السمينة الأكبر متعلقت به ، ولبثت الصَّبا تقدف بى محو الجنوب أياماً تسعة ، وفي ظلام الليلة العاشرة ، دفعتني على شطئان تسيروتيا حيث أكرم مثواى ملكها العظيم البطل فيدون ، وعنى بشأبى . وذلك أن ولده رآنى طريحاً على الشاطيء أكاد أموت من البرد والجوع، فحملني إلى قصر الملك حيث ردت إلى الحياة وأعطيت دثاراً وصداراً ، وخصصت لى غرافة فسيحة ذات أرائك ... وهناك سمعت عن مولاك النازح ، البطل أوديسيوس ، ورأيته بعيني رأسي وقد ذكر لي عن فضل اللك و إكرَّامه مثواه ، ما برهنت عليه أعماله ؛ ثم أرانى أوديسيوس كنوزه من الذهب والنحاس وطرف الحديد التي جمعها في أسفاره ، والتي تـكني , للنفقة على أسرته عشرة أحقباب ... وكان الملك يحفظها له في غرف كثيرة في قصره إعزازاً له وتـكريما ؛ وذكر لي أنه ذهب إلى ددونا النائمة بين أحضان الحور والسنديان ليستوحى كاهن چوڤ الأكبر عما إذا

⁽١) عس الباحر .

كان حيراً له أن يدهب إلى بلاده متنكراً ، أو في صورته الصريحة الحقيقية بعد هذا الغياب الطويل عن أهله . وقد أكد لى الملك أن المركب الذى سيحمل أوديسيوس إلى بلاده — إيثا كا —معد في المرفأ ولولا أنى أبحرت قبله لشهدته بعيني يركب الفلك، ذلك أن فلك آخر لملاحين من جزيرة داشيوم كان راسياً في الميناء ، فأمرهم الملك أن يحملوني معهم ويدهموا بى بأقصى ما يمكنهم من السرعة إلى الملك أكاستوس. ولكنهم ـ وا أسماه تألُّبواعلى في عرض البحر ، وتا مروا بي ونزعوا صداري ، ونضدواد ارى ثمانتهزوافرصة المد فأرسلوابي إلى شاطىء إيثاكا، بعد أن ألبسوبي تلك البرة وساقى وشــدوا وْنَاقِي فِي السارية فلم أبد حراكا . بيد أن الآلهة رأفت بي وحلت وثاقى فقذفت بنفسى فى الماء وسبحت الى الشماطىء حيث وجدتهم يعدون عشاءهم ويلتهمونه سراعاً .. وقد اختبأت في الأدعال الـكشيفة علم يروني … وهالهم ألا يجدوني حيث شـدوا وثاقي، فذهبوا يبحثون عبى حتى إذا لم يقموا لى على أثر ، أقاموا عجلين ، ومجاني الله مهم ، وساقني الى الرجل الصالح الطيب الذي وصل حياتي وأكرم مثواي ... » ِ فَتَبْسَمُ يُومَايُوسَ وَقَالَ : « تَاللُّهُ لَقَدَ أَثْرَتَ فَى فَوَّادَى مَقَالَتُكُ أَيُّهَا الضيف السكريم ، وأشجابي ما لقيت من أهوال ! ولكنك كما يبدو لي لم تكن جاداً فيما رويت من أنباء أوديسيوس فلم أيها الأخ وعليك من سيما النبل ومخايل الفضل ما عليك ، تلفق مثل هذه الترهات المضحكات ؟ أما والله إنه إن يكن قد نجا من الموت في ساحة طرواده بمــا ألب عليه من سخط

الآلمة أجمعين ، فأكبر ظني أنه قد غدا جزر السباع وكل نسر قشم ... واأسفاه عليه 1 ألا ليته قتل في سبيل بلاده في حرب عوان يحمى في وغاها بيصة الوطن ا إذن لبكاه جميع الإعزيق، ولاجتمعت هيلاس كام التمنافس في صنع لبنات قبره ، وتخليد ذكره ، ولأورث ولده الجد والخلود! هأنذا يا صاح ثاو في هذا المـكان ، لاصق بذلك البيت العتيق ، يفدعلي ف كل آنة غرباء مثلك ، ير وون لى القصص ، ويلفقون الأحاديث عن مولاى ، فبعضهم يبكيه ويتحسر عليمه ، وبعضهم يوشى الأكاذيب ليغنم بعض الرفد وينال بعض المطاء، حين أقدمه للملكة الحزينة الكاسفة، پناوب! واممرى ما انطلت على يوماً أحاديثهم ، ولاخدعت مرة بما روُّقوا وزوقوا!! أفتحسبني أصدق ما رخرفت أنت الآخسر عن أو بة مولاى مثقلا بأحمال الذهب من كريت ، واهماً أنني بهــذا أمالغ في إكرامك ، وأحرص على التلطف بك؟ لم تصنع هذا أيها الرفيق بعد أن ترمقت بك الآلهـة ، وهَدتك إلى شاطئنا؟ أما والله إنى إنمـا أكرمتك حباً اليجوف ورهبة من بطشه ولها جاش في صدري من الشفقة عليك والرثاء لك ، والتألم من أجلك . » وقال أودسيوس يجيبه : « لشد ما أوتيت قلبا أ فعمته الوساوس ، ونفسا ساورتها الـشكوك أيها الشيخ ! هبها أنباء ملفقة ، فما يميني التي أفسيمتها لك إذن ؟ تعال ! هلم نتقاسم يميناً تـكون آلهة الأولمب عليها شهداء، إنه إن آب مولاك إلى بيتك هذا في أقرب ما تظن من الزمان ، فیکون لی علیك صدار ودثار أصلح بهما شأنی حین أعودأ دراجی إلى داشـيوم … فإن لم يؤب كا عاهدتك فتجتمع أنت ورجالك وعمالك

وتقذفوا بى من رأس قلة عالية سامقة بخشى أحقر الآفاقيين أن يتربع عليها وأجابه راعى الخنازير: جميل والله أيها الغريب اللاجىء! تكون ضينى ، وتؤاكلنى وأؤاكلك على ما نُدتى ، وتطمئن إلى ، وتأتمننى ، ثم أ ذفّ بك من حالق ؟ جميل والله هذا اوتضيع صلواتى ونسكى لدى جُوف العلى الله مه الهمام ، المشاء ياصاح القد آن وقت العشاء ... البدار قبل أن يدهمنا عما لنا فيز حوا المائدة ولا تجد لك مكاناً بينهم »

وهكذا تشقق الحديث بين الرجلين ؟ ثم وصلت رعال الخدازير وأهرعت إلى حظائرها حيث ارتفع قُباعها (١) وعلت ضوضاؤها ... وهتف الراعى بأحد غلمانه فأصره أن يحضر واحداً من أسمنها لعشاء الضيف ولعشاء الرعاة ... « ... أفما نستحق واحداً منهسا عما تلهم بطون غيرنا الذين ينعمون بمار كدنا ونصبنا ؟ »

وجيء بخنزير جسد ، وأجبت النيران واتقد الجر ، وصلى يومايوس للآلهة ، ودعا لمولاه بالخير إ وتمنى له العود أحمد العود ، ثم أهرى بشاطوره على عنق الحيوان نخر يتلبط فى دمه ؛ وسلخوه بعد ذلك ، وهم به يومايوس فقطعه ، ووضع إرب اللحم على صبغ الشحم ، ونثر من الدقيق على كل ذلك ، ووضع الجميم فى الجمر ، وكلما نصح شى، وضعه الغلمان على الده ، فلك ، ووضع الجميم فى الجمر ، وكلما نصح شى، وضعه الغلمان على الده ، منى إذا فرغوا تولى الراعى العجوز توزيع الأنصبة ، فحل لابن مايا ته مسبعة أسهم ، ولعرائس الماء سهما واحداً ؛ وحمل لـكل من عماله نصيبه بعد أن أمحف أوديسيوس بأجزل الأنصبة جميعاً ، ثم كان يمده بعد ذلك

⁽١) القماع بالضم صوت الحنازير ،

⁽۲) هميمز،

بإمدادات جمة ١١ عما أطلق لسانه له بالشكر وعليه بالثناء ... ورد عليه الراعى في أدب وافر : « إن الله هو ما يح كل شيء يعز من يشاء ويذل مَنْ يشاء ، ويعطى ويسلب ، له الملك ، لا شريك له » . ثم أدواصلاتهم الخرية فهراقوا المدامة للآلهة ، وكذلك صنع أوديسيوس ؛ وهم ميسولوس مولى يومايوس وخادمه الذي اشــتراه بماله - فوزع الخبز ، ولبث يخدم ويسقى ، ويجيء ويروح ، حتى إذا فرغوا نظف المائدة وأعادكل شيء إلى مكانه ؛ وانصرف القوم إلى مضاجعهم ليناموا ليلة ليلاء ممطرة شديدة القر ، عظيمة البرد ؛ ونام أوديسيوس قريباً من مضيفه ، ولم يكن عليسه من الفطاء ما يقيه هول القرس (١) فلفق هذا الحديث للراعي الشيخ ولمن نام معه من عماله : « لله ما تصنع خمركم بالألباب ياقوم ! لقد أوشكت أهذى وانتفض وأملاً شدق بالضحك ٠٠٠ ولولا هذا القر لقمت فرقصت ، ولكانس محدثكم حديثًا من أحاديث الشباب فيه هذيان وفيه ثرثرة ، وفيه من حميا سلافكم ما فيه . ألا ما أحلى أيام الشبابوما أروعها لو رجعت ! ! إن لها الصدى فى نفسى يتردد ، و إنى ما عشت لرن أنسى اللك الليلة القارسة الشاتية التي قضيتها في صدر الشباب وريعان الصبي مع صديقي أودسيوس ومناوس فی کمین تحت أسوار طروادة ، فی مستنةم آسن ذی قصب ، برقب من عدونا فرصة تظفرنا به وتنصرنا عليه ، مقنمين في الحسديد والزرد؛ مسابرين لما يصفعنا به بوريس(٢) من ريح عانية وبرد، ويسفمنا به من قر و برد ، حتى انعقد الصقيم على دروعنا ، وكدت أما

⁽١) القرس البرد الشديد جداً .

⁽٢) ربح الشمال أوالصبا .

أجمد ويجمد الدم في عروق ؛ لأني والسفاء استهنت أول الأمرعا أنذرت به الحال من هذا المآل ، فخرجت في عدتي وسلاحي ، ولم ألبس معطني ولم ألتفع ربطتي(١) ، بينا قد احترز رفاقي فتدثروا بكل ثقيل... وخفت أن أصبر لهذا البرد فتكون القاضية ، فهتفت بأخي أوديسيوس : ﴿ أَدْرَكُنِّي يا ابن ليرتس النبيل فقد أشفيت على الهلاك من ذلك الزمهر بر! أدركني بأربابك فإنى قد استخففت بالفصل الذي نحن فيه فلم أحضر معى معطفاً و يكاد يقتلني البرد و بهرؤني الصقيم » . وأسكتني أوديسيوس خشية أن يسمعنا أحد فلا نفلت من الموت ، وقال لرفاقه : « أبها الإخوان ! رأيت رُؤياو بودىلو يذهب أحد إلى أجاممتون فيطلب لنامَدَداً فلقد بعدناً عن الأساطيل ، واسنا بخير لما ترون من قلتنا ! ، ، وانبرى لها أندر يمون ، غلم معطمه وأطلق ساقيه للربح ... وأشار أوديسيوس الخبيث إلى ، علبست المعطف واستدفأت به ، وحمدت الآلهة ﴿ أَفَايِسِ فَيَكُمُ أَيُّهَا الأجاويد رجل رشيد ، فينزل لى عن معطفه أنقى به هذا البرد الشديد وأنا في مثل سنى وأنتم في ميعة شبابكم؟ ألا تفعلون! لتكن لــكم هذه اليد على تفضلا أو تأدباً ١ » وقال يومايوس يجيبه : « لا عليك يا ضيفنا العزيز ... إنك ان تشكو برداً ولا تقصيراً عندنا ... وايس لدى كل منا إلا دثاره وصداره ومعطفه ، وليس لدينا مِنها كـثير نباهى يه ، ولسوف يمود تلياك بن سيدنا ومولانا فيخام عليك من الملابس ما يسرك و يبهجك ؟ ولسكن رويداً فسأكفيك عادية القربرغم هــذا … وبرغم ما غمزت في

⁽١) الريطة تشبه الكوفية .

حديثك ولمزت! ا ٥ . ثم نهض فجمع شيئاً كثيراً من فراء الفنم وجلا الماعز فجمله ركاماً بالقرب من المدفأ ، ثم جمل عليها ظهارة (١٦) من الصوف ، فصلحت بذاك أن تكون لأوديسيوس وسادة وثيرة ليس بها من بأس ، فام فيها فاستراح ، والتحف بفراء أخر ، وبات ليلته والابتهاج يغمر نفسه لما رأى من حرص راعيه على ذكراه ، وحنينه للقياه ، وعنايته بقطعانه ... أما الراعى المعجوز الشيخ ، فكا عما أثرت فيه مقالة أوديسيوس فهب فألق عليه سلاحه ، وأضنى على كاهله دروعه ، بمد أن خلع معطفه ، وأنزر بجلد عنز ، ثم أجلس بازيه الباشق على كتفه الضعيف ، وحمل وأنزر بجلد عنز ، ثم أجلس بازيه الباشق على كتفه الضعيف ، وحمل عربته التي يذود بها الباس والسباع عن رعاله ، وانطاق في العراء ، حيث جلس على صخرة مشرفة على السهل، وذاك ليحرس القطيع النائم ... غير عابىء بقرس الربح ولا وحشة الليلة الليلاء ...

⁽١) ظهارة الفراش ونمطه ما يفرش عليه كالملاءة ,

ثم رفت مينرفا رفتين أو نحوها ، مسكانت فى وادى ليسديمون الخصيب حيث حل تلياك ضيفاً كريماً على الملك مناوس ، وحيث وجدته يتقلب على وراش السهد والأرق ، لا يستطيع أن يغمض عينيه من هول ما يفكر فى أبيه سبينا نام ابن الملك نسطور مل عينيه نوماً هادئاً عيقاً على سرير مقابل لسرير الفتى المحزون .

ووقفت الربة عند رأس تلياك وأنشأت تقول له : « إلام تظله هنا في منها جرك بأقصى الأرض نائياً عن وطنك يا تلياخوس ؟ أو هكذا رضيت أن يأكل العشاق الفساق تراثك و يذهبوا بنعاء السهاء عليك ، ثم لا تلبث أن تئوب إليهم من تطوافك بالآفاق بقبضة من هواء ، وخيبة من رجاء ا هلم هلم ! سل الملك أن يأذن لك في السفر من فورك فقد ألح جدك وأخوالك على أمك أن تتزوج من الأمير يوريم ، لما انفق عليه من مهر ضخم ، وتقدمات وافرة ، أضعاف ماوعد الآخرون … هذا فضلا عما يوشك أن يسلب من القني العزيزة عليك من بيتك ، التي تنقص من عما يوشك أن يسلب من القني العزيزة عليك من بيتك ، التي تنقص من سرعان ما تنسى أطفالها من زوج شبابها ورفيق صباها من أجل زوجها الثاني الذي تود لو تهبه كل شيء . فالبدار البدار إذن ، وعد أدر أجك التي بلادك لتحفظ تراث أبيك بنفعك حين تكون لك روجة صالحة الى بلادك لتحفظ تراث أبيك بنفعك حين تكون لك روجة صالحة

وذرارٍ أنجاب ببركة السماء ورعاية الآلهة ... ثم خذ حذرك يا تلياك، فلقد اختباً زعيم العشاق في ثلة من رجاله بين ساموس و إيثاكا بتر بصون بك ويترصدونك ليغتالوك قبل أن تصل إلى شاطئ الوطن ... و إن فألمم الخائب، وإن يعملوه حتى يهال تراب الموت عليهم جميماً ... ألا فارحل يا بني في ظلام الليل ، واجْنُبْ سفينتك أن تسلك سبيل ساموس ، وابعد ما استطعت عن الجزائر القريبة منها ، وسيرعاك بعض الآلهة ، و يسمخرلك ريحاً رخاء تسارع بك إلى بلادك فإذا بلفت أول الشاطي الإيشاكي فانزل إلى البر، ولتسلك الفلك سبيلها من دونك، ولتذهب أنت إلى يومايوس راعى قطعمانك الذى يحبك فأرسله إلى أمك كي تقر عينهما بأو بتك » وما كادت تفرغ حتى زفّت (١) إلى الأولمب. وهب تلماك فأيقظ رفيقه من ومه قائلا : « هلم ييزاستروس ! هلم فأسرج الخيســـل والعرحل من فورنا ! ٣ وقال له ابن نسطور يجيبه : ٥ هلم إلى أين ياصاحبي؟ مُحْمِيفَ مُخْبِطُ فِي هَذَا اللَّهِلِ الدَّامِسِ ؟ أَلَّا نَصِيرَ حَتَّى تَشْرِقَ ذَكَاء ، وحَقَّى يلقاك الملك فيخلع عليك و يحسن وداعك ، لتظل ذكراء الحسنة ماثلةً إلى الأبد في روعك ؟ »

وانبلج الصبح ، فهض مناوس الملك من حصن هيلين الدافى ، ويتم شطر الغرفة التى نام مها تليهاك ورفيقه . وما كاد تليهاك يلمح فى غبشة الفجر صورة الملك حتى هب مسرعاً ، وأضفى عليه طيلسانه الفاخر ، وأتزر فوقه بمتزر آخر ، ثم دلف نحو البال فلتى الملك ثمة وقال له : « بورك الملك

⁽١) زف الطائر أسرع في طيرًا 4 ور ا سفسه .

وتعالى جده! مَا لله الله آن لي أن أعود إلى إيثاكا ، و بودى لو أدين الملك مذلك ٧ فقال الملك : « إما لا نستطيع أن تحجزك إذا كانت رعمتك أن تشد رحلك يا تليماخوس ؛ و إنه ايس أشق علينا أن يةيم ضيف لدينا برغمه ، أو أن تَعْجِلَه على الرحيل من عنديا ... بيد أنه يحسن أن تنتظر قليــــلا حتى نهى لك أفخر الهدايا وأعز اللهي ، وحتى نعدها لك في عربتك ؛ وسا آمر الدّاماي فيعدون لنا فطوراً يليق بوداع ضيف كريم عزيز مثلك ، لا بدله من إكلة حافلة تصبر لســفر طويل يزمعه . فلو أن سفرك هذا كان خلال هيلاس ، وكنت من أجله ستجتاز آرجوس شرقًا لغرب بم إذن اسافرت معك ، ولجزت اك مدائن شتى ، ولأهر ع إلينا عمال الأقاليم يقدمون إلينا الهدايا والتحف ، من صحائف الذهب وركائر الإبريز وكل كأس تمينسة ، ومن كل دابة مطهمة وحواد كريم » وأجاب تليماك في أسلوب الفطين الحدر: ﴿ مُولَايُ أَثْرُيدُسُ ، مُنْلُوسُ الْعَظْيِمِ ! تَاللَّهُ إِنَّهُ لآثر إلى أن أرحل لسماعتي ، فلقد تركت ورائى بيتاً لم أدعه في صيانة أحد، وحطاماً است آمن عليه أحداً . وأخشى يا مولاى أن أفضى في رحلتي هذه وراء أبي ، فلا أكون قد أبقيت على نفسي ، ولا رعيت تراثه الذي تُركه لي » وأمر الملك حدمه فهيأوا الخوان ، وزودوه عسا بقي من عشاء أمس ، بعد أن أضرم رئيسهم إيتون ناراً أسخن عليها ما ينبغي أن يكون سنها حارًا … وتوجه الملك إلى غرفته ، فاتى فيهــا زوجه وولده ؛ ـ فتناول كأساً من الذهب الخالص ، ودفع لولده بدلها من الفضة ؛ أما

الملكة فنهضت إلى خزانها فأحضرت ساجاً (١) عملت فيمه يدها الصناع فزخرفته وزركشته حتى بدا كسهاء التمعت فيها نجوم … وعاد ثلاثتهم إلى حيث ينتظرهم تلماك وكله اللك فقيال: « ذاك تذكاري إليك يا ابن أودسيوس بودى لو تقبلته ؛ وهو كأس عجيبة من صنع ڤلـكان أهداها إليَّ البطل ميديم ملك سيدون حين حلاتُ عليه ضيفًا ؛ هذا وأنا أدعو لك أن يكلاً له حوف في رحلتك بعين الرعاية ، وأن يكتب لك السلامة والتوفيق » ثم قدم إليه الـكانس العظيمة وكذاك فعل ابنه ؟ أما هيلين ققدمت إليه الساج ، وتبسمت عن فم ألذ من أقحوانة ، وقالت له : «وأنا أيضاً أدعو لك يا بني ، وأقدم إليك سدوساً (٢) من أنفس الديباج حبذا لوجعلته قَنْيَةً تَذْخُره لك أمه حتى تقدمه يدورك لمروســك ليلة زفافها إليك » وكان لكلاتها في نفسه نشوة ، فأخذ الطيلسان وناوله ابن نسطور ، الذي عني به ووضعه بمكانه من العربة . ثم يمموا المائدة الكبرى ، وصبت الماء على أيديهم جارية ذات حسن وأناقة وظرف ، وأخذوا بمد ذلك في فطورهم ، بينا وقف ابن الملك يدهق الكؤوس ويشرب الحمر ، حتى إذا فرغوا نهض تلماك ورفيقه فسلما وودعاء وركبا العربة الفخمة المثقلة بأثمن الهدايا ؛ وتناول الملك كأساً من الحر وسار حتى دنا من الخيل ؛ فصبُّها صلاة الله لمن أجل الراحلين وقال : «لسكما الصحة والصفاء أمها الشابان اليافعان . تحياتي إلى نسطور أخي الذي كان برعاني كأحد أبنــائه تحت أسوار طروادة » فأجابه تلياك : « لا غرو أيها لللك ، فسنقص عليه آية .

^(*) الساج "طلسان .

⁽٢) هو ألساج أيضاً .

كرمك وعظيم سيحائك ... وأرجو لو وصلت إلى إيثاكا فلقيت أبى أودسيوس ثمة ! إذن لقصصت عليه هو الآخر ما غمرتنا به من حفاوة وكرم وعطف ! ، وما كاد ينتهى من كلته حتى بدا عن يمينه نسر عظيم يحمل في مخالبه إوزة كبيرة بيضماء، وقد حلق في الهواء، وجرى حوله الخدم والحشم من أهل المدينة ، بيد أن النسر فاتهم جميعًا ... وقد زُعج الملاً الواقف لتوديع تليماك، وبدا الهلع في وجه پبزاستراتوس، فسأل اللك فقال: « ليتفضل الملك فيحدثنا عن هذه العلامة إذا كانت من أجلنا أو من أجل مولانا » ولـكن الملك لم يحر جواباً لفرط دهشه . فلما لحظت حيرته هيلين زوجته ، تكلمت فقالت : « أنها الملا أسمعوا وعوا ، عَإِنِي أَحدثُ كُم كَمَا علمتني الآلمة ... تالله إن هذه لآية ، فكما غلب ذاك النسر أوائك الناس ، وذهب بتلك الإوزة البيضاء ، فهي له ، فكذلك يعود أودسيوس من تجواله وطويل ترحاله إلى إيثاكا ، فيبطش بأعدائه الذين استباحوا عرضه وعشقوا زوجه ، ويخلو له وجه بناوب » وانتفض تلياك من شدة ما أثرت فيه كلمات الملكة فقال: « ألاحبذا أن يتم هذا إ اللهم يا چوف المتعال حقق النبوءة أعبدًك ، واكتب الله السلامة أخبت اللهم لك ، وأكتب لى أن أعود إلى بلادى فألقاه ثمة تكن لك صلاة دائمة وذكر متصل يا إله السموات! » ثم حيًّا الملك ، وألهب الجياد فانطلقت تنهب الرحب ...

ولم يزالا على سفر طوال يومهما ، حتى بلغا قصر ديوكليس مع مغيب الشمس ، فضيِّفهما و باتا ليلتهما عنده ؛ وما كادت أورورا تنضر جبين

الشرق بالورد حتى هبا مسرعين ، وودعا مضيفهما الكريم ، وواصملا رحلتهما ... وكان ان نسطور قد أخذ بأعنة الخيل فجعلها تنساب حتى لكاتمها تسميايق الريح ... ولما بلغا أبواب بيلوس قال تلماك الصاحبه وهو يحدثه: « أنت عذيرى يا أعن الأصدقاء إذا سألتك أن تصل بي إلى السفينة من غير أن تتوجه إلى بيتكم للقاء أبيك ، فقد بكبر على أن أرفيص نُزُّله ، وأستأني بذلك عنده ، في وقت أنا في أشد الحاجة إلى العودة إلى الوطن ... على أنني سأحفظ لك في أعماق ذكرى خالدة لا تمحى ، زادتها هذه الرحلة الحزينة جمالا ، وعقد أواصرها مابين أبويسا من الود ، وما بيننا من اتفاق السن ، وصفو المودة وجميل الإخاء » وتردد ابن نسطور أول الأمر ، بيد أنه لم يسقطع إلا أن يلبي رجيّة تلماك ، فثني أعنة الخيل إلى الشاطي حيث كانت تنتظره الفلك ، فنقل فيها مقاعه ، ثم ودعه صديقه وعقرت القرابين باسم مينرفا ، وصلى لها الجميع وسبَّحوا سبيحاً طويلا ... وإنهم لكذلك ، إذا شاب طويل مفتول العضل يتقدم إلى تلماك ، فيخبره أنه قاتل آبق (١)، وأنه يلوذ به ، وأن اسمه تيوكليمين ، وأنه برجوه في أن يسافر معه . فهش له و بش ، وأخذ سلاحه فأ لقاه في السفينة ، وأذن له فى الركوب ، وجلس الرجل مع تليماك عند مؤخر السفينة ، في حين كان الملاحون يهيئون القلاع ، وينشرون الشراع ، تم أقلمت الفلك ، وأرسلت مينرڤا بين يديها سَجسجاً تدفعها في رفق ، وتحاوى تحتها الماء في حدَب . وكانت الشمس تتوارى بالحجاب ، وكان الليسل

⁽١) نسرت صفحاً عن قصة هذا الرحل لمدها عن الموضوع.

يلقى سدوله فوق الكون . . وما هى إلا عشية حتى صرت السفينة بهيريا ، ثم باء بليس ، وحُوف فى كل ذلك بحرسها و يرعاها

هذا ما كانَ من أمر تلماخوس الهتي . . أما ما كان سن أس أودسيوس وراعيه ، فقد كانا يلتهمان في هذا الوقت طمامهما ، وما كادا يفرغان من ذلك حتى أحب أودسيوس أن يرى لنفسه إذا كان الراعى قد ضاق به ذرعا فينطلق من لدنه ، أو هوكريم ذو بخوة ومحيزة ميبقي. عنده ، فنهض يقول : ١ أيها الراعى بومايوس . وأنتم أبها الأصدقاء الرعاة اسمعوا وعوا .. تالله إنى لأخشى أن أرهقكم بضيافتي أو أثقل. عليكم بلبثي عندكم طويلا، فرجائي إذا انفلق الإصباح أن يقود بي أحدكم إلى المدينة لأستجدى وأتكنف، فلن أعدم فيهم من يتفضل على ببلغة أو كسرة أو جرعة ماء ٠٠ ولسوف أيم شطر پناوب ، وعسى أن أستطيع لقاءها لأبلغها أنباء أودسيوس ، فإذا لم أستطع فان أعدم عملا في حدمة العشاق ، لأنى والله المحمود ولي من أوليساء هرمز رسول السماء ونصير الضعفاء، ولن أضيق بتكسير الخشب، أو إضرام الحطب، أو حمل الكاس والطاس ، أو القيام على الشواء … أو ما إلى هذا وذاك من عمل الفقراء البائسين » واهتز يومايوس إشــفاقاً وقال : « أيها الرجل ماذا تقول ؟ أنجازف بنفسك فتلقى مها إلى التهلكة وسط هؤلا. الناس؟ من أنت أيها الفقير حتى تحسبك تقدم الخر لهم أو تخدمهم ، ولهم خدم شباب غُرَانيق، وندامي كالكواكب نضرة وجمالاً ٠٠٠ وحَشَم يابسون أحسن. الوشي وأفخر الحرير والديباج ... لتبق معنا أيها الشيخ فان نصيق بك،

وحين يمود سـيدى تليماك فإنه يكسوك ويسبغ عليك، ويبعثك مكرماً معززاً أبى شئت » . وشاع البشر في أعطاف أوديسيوس فقال : « شكراً لك يا يومايوس ألف شكر ، وجزاك الله عنى أجزل الخير ، بماكفيتني شر السؤال وذل الاستجداء، وليس شراً منهما على نفس أبية قاست الأهوال ولا تزال تقاسى ... بيد أن لى مسألة عندك بودى لو جلوتها لى : ألا يزال والد أوديسيوس حياً يرزق ؟ وهل لا تزال أمه بخير ؟ أم أنهما اليوم من أهل الدار الآخرة ؟ لقد غادرها أوديسيوس توشكان أن يطرقا ملب هيدز ، فهل عندله من أخبارها شيء ؟ » . قال الراعي : « ومالي لا أصدق أيها الشيخ ؟ إن ايرتيس - أبا مولاى - لا يزال على قيد الحياة ... لــكنها حياة شاقة أنقَضَت ظهره ، وأنفدت صبره ، رهو ما يفتأ يضرع الآلهة أن تخلصه منها بالموت … إنه قد نقد أحسن أماله حين فقد حامى شيبته الذائد عن شيخوخته ، ولده أوديسيوس ، وقد هجل له الشقاء مو ُته ، وحياً ته هو من بعده ، فهو ما يني يبكيه ، وما ينفك يُسَاقط نفسه حسرات عليه ١٠٠ أما أمه فقد قضت مرف أسى وحزن وطول بكاء ، قضاء ما قضى مثله صديق ولا عدو ا إنى حزين عليها يا صاح ، بل أنا أفتقدها كأعز من أمي لأنها كَشَّاتني صغيراً ، ورعتني كبيراً ، وكانت تحبني كمحبة ابنتها ستيمينا التي تزوجت أحسن زيجة في ساموس من كفء مهرها أحسن مهر وأعلاه … أبداً لا أنسى أنهم ألبسوني أحسن اللباس ، وأعطوني نعلين جديدتين ، فرحاً بزواجها ، ثم أرسلوني إلى الحقل ، ولكنهم لم ينقصوا من محبتي … لقد عاشت مولاني بعد أوديسيوس معيشة شقية كالها آلام ، وكنت أواسيها وأعزيها ، ولكنما ما انتفعت قط بعزاء ، ولا استروحت إلى سلوة ، حتى ماتت وهأ نذا أبكيما كلما ذكرتها ، وقلَّ أن أنساها ، على أنى أحمد السماء على ما أولتني من خير ، وأسبغت على من نعم ، هي حسبي وحسب الضيف الذي يغشاني … على أنى أعذر مولاتي وسيدتى يناوب إذا لم أر منها عطفا حلى ، لأنها في شغل بحالها وسط هؤلاء الأوغاد المعاميد ... وهي بالرغم من ذلك تولى خدمها المقربين منها نصائح غالية تمفعنا جميعاً ... تم مى لا تنسى أن تنفح الـكمثيرين منهم ما يفرحون به من آلاء وأعطيات، غير ما يأكلون وما يشربون » . وكأ بما أراد أوديسيوس أن يتمكم عليه ويسخر به فسأله عن بلاه ووالديه ، وعن القوم الذين أخذوه عنوة ، وفي أى سفينة جاءوا به ، و بكم باعوه لأهل أوديسيوس ، فقال الرجل : « أيها الصديق أعربى أذنيك ، وارشف خمرك ، أقص عليك قصى ، فالليل طويل ، وفي جنحه يحلو السمر، وايس أشهى من أن يروى ذو أشجان ، وأنتم أيهــا الإخوان ، من كان منــكم في حاجة إلى النوم ليصحو مبكراً فليذه .. وليندم بالـكرى ... ثم أحسبك سمعت أو عرافت جزيرة سيريا التي عند أورتيجيا ... إنها جزيرة صغيرة ، لكنها غنية بأغنامها وماشيتها وقمحها وأعنابها ، كما اشتهرت بهوأنها العليل ، ومناخها الجميل ، وصفوها وطيب رياها ... لذلك لا تعرف أبدان أصحابها الأوصاب ، بل يُعَـــــّمرون حتى يأتيهم أبوللو (١) فيصميهم بسهامه ، وتعجل أرواحهم إلى هيدز ،

⁽۱) تضیف من النسخ دبانا — وهذه أول مرة نری فیما أبولاو یتوم وظیفة عزرا: ل فی الأدب ایونانی ، لأنها وظیفة مرمن (مرکیوری) خاصة (المترجم)

ويقتسم أرض الجزيرة أهل مدينتين عظيمتين، كانتا تخضعان اسيطرة أبي الزعيم العظيم ستزوس أورميند ... وحدث أن أرست في شــاطئنا سفينة فينيقية محملة بالطرف والتُحف وبلعب الأطفال ، من صناعة الفينيقيين ؛ وحدث أن كانت في بيت أبي جارية قسيمة وسيمة ذات حسن وذات دلال ، كانت تقف على سيف البحر لبعض شئون المنزل ، فرآها بعض ملاحي المركب واستطاع أن يخدعها بكلام معسول ذي طبين وذي رنين ؛ ثم سألها من هي ، ومن أي البلاد أقبلت إلى هــذه الجزيرة .. وكان الخبيث يمزج ألفاظه بنظرات الأبالسة ، وغمزات الشياطين ، وابتسامات الغزل ، فانقادت له ، ضعيفة كبنى جنسها إذا نصبت لهن شراك الهوى ، وجذبتهن أحابيل الغرام ، وقد أخبرته الغادة أنها من سيدون المشهورة بصناعة الصلب والنحاس ، وأن أباها أربياس الفلاح ، وأن بعيض القرصان قد اختطفها حين كانت عائدة أدراً جها من حقله ، وباعها لصاحب تلك الجزيرة بأبخس الأثمان ، وقد أغراها الملاح بالعودة سمعه إلى بلدها على فلكه ، وبالفرار من حياة الرق والعبودية للقاء الأهل والأحباب والأبوبن الثريبن اللذين كانالا يزالان حيين يرزقان ن فاستحلفته المسكينة إذا كان جاداً فيما قال ، فحلف لهــا ، واستقسمته إذا كان أميناً غير ذي غرض أو لبانة ، فأقسم لهما ؛ ثم تعاهدا على ذلك وقالت له : « والآن فلا يذكر أحد من أمرى معكم شيئًا لأي من أهل المدينة ، حتى لا يفشو السر و يعلم به صاحبي ، فيكمون فى ذلك و بالى وو بالسكم وهلاكى وهلاككم . . بل المضوا في بيسع بضاعتكم وشراء ما يلزمكم ، ثم إذا

عزمتم أن تفعلوا فابشعوا أحدكم إلى" بقصر صاحب الجزيرة ، فانى مرضم أبنه ، وهو الآن يحبو ، بل يدرج ، وإني محضَّرته معى فانه سينفعُكم ، بل تستطيعون بيعه في أحد البلاد ببعض المال ، وسأحضر معه كل ما تستطيع بدى أن تحمل من آنية وأكواب من خالص الذهب وغالى الفضة ، مما يجف حمله ويعلو ثمنه ، وعادت البائسة إلى قصر أبى ... ولبت الملاحون عامهم كله في مرفشا يبيعون ويشترون ، حتى إذا حال الحول أو كاد ، حضر واحد منهم إلى بيتنا يبيع بنيقة (١٦ من ذهب وكهرمان ، فالتف حواه وصيفات القصر ثم حضرت أمى فاشترت بضاعة الرجل الخبيث ؟ الذي استطاع أن يومي، إيماءته المتفق عليها إلى مرضعي فلما انصرف من في القصر من أضياف ، وذهب الخدم إلى شغلهن قادتني مرضعي التاعسة من يدى فرت بى فى غرفة الزائرين ، حيث كانت أكواب الشراب . لا تزال على المائدة فدست منها ثلاثة في ثيابها ثم ذهيت بي - وأما طفل لا أدرك - إلى المرفأ ، حيث ركبت معها في سفينة الفينيقيين ، فأقلموا ساعة الغروب ... ودنعتنا ربح عاصف طيلة ستة أيام ، وفي صبيحة اليوم السابع ، أرسلت ديانا سهامها مسمومة إلى صدر المرأة - مرضمي الآبقة - فماتت لساعتها - ووضعواجسمانها في سَأْبِ (٢) ثم قذفوا بها في اليم ، طعمة غير سائغة للأسماك ، ورحت أنا ، افرط حبى لها ، أبكيها وأَعْوِلُ مِن أَجِلُهَا ... ثم دفعتهم الربح والموج إلى شاطىء إيثاكا ، حيث

⁽١) بوزن سفينة ولا تشدد ، هي (الياقة أو الكولة) .

 ⁽٣) ألسأب والمسأب وعاء كبير للزيت أو الحل وهو الزق ولم نجد صردافاً لسكلمة
 (برميل) المعروفة فاستعملناه .

ابتاعني صاحبها العظيم ليرتيس ، و بتميت فيها إلى اليوم » وألم أودسيوس. لما قص الرعى وتوجع، وواساه بكايات طيبات ··· « نلقد وصلت في رعاية چوف إلى سيد رحيم ورجل بر ، كفل لك الهناءة والحياة الهادنة ··· أما أنا ، فلا أزال موكلا بنضاء الأرض أذرعه ، وببلد ألبسه وآخر أقلمه » ... ولما يناما طويلا ، فقد قطع حديثهما حبل الليل ... أما ماكان من أمر تليماك ورجاله ، فقد وصل ملاحوه سالمين إلى الشاطىء الإيثاكي ، وأرسوا ثمــة ، وربطوا حبالهم في أوتاد المرفأ ، ثم اجتمعوا إلى فطورهم فأكلوا وشربوا … فلما فرغوا أمرهم تليماك أن يذهبوا هم إلى المدينة ، ﴿ … أما أنا ، فذا هب لبعض شأنى في المراعي القريبة وسأعود قبيل الغروب ؛ وفي الغد ، سأسقيكم سلافة الأوبة التي تذهب عنكم وعثاء هذا السفر » . ونهض تيوكلين (الشاب الآبق) فاستأذن في الذهاب بِالبشري إلى والدة تليماك ، ولحكن تليماك قال : «كلا يانبوكلين ، لا أريد أن تعلم أمى بقدومي اليوم ، فابق مع رجالي هؤلاء حتى لا نقع أبصار المشاق المناكيد عليك ؛ و إن شئت فاذهب إلى أحدهم ، يور يماخوس ، فهو أعظمهم قدراً ب وأنبههم ذكراً ، وهو الذي يحاول جاهداً الزواج من والدتى ، والجاوس على عرش أبي ، فار بط حبالك بحباله ... أوا. ياأر باب السهاء احنانيك يًا چوف ! بعداً لهذا الز.اج ، وبعداً لمن يحلمون به ! » وما كاد يفر غ من حديثه حتى بدا إلى يمينه بازى باشق -- هو من غير ريب رسول أيوللو الأمين ﴿ ــ وقد أمسك في مخالبه حمامة بيضاء، فظل أيدَ وم ويراق حتى إذا كان بين الفلك في البحر وتليماك في البر نثر خوافيها في الجو ، فنزلن

بالقرب من تلياك — وهنا — تكلم تيوكلين فقال : « تالله إنها لآية من السهاء ياسيدى ، إنك ابن أعظم من فى هذه الأرض ، و إن بيتك أعرق بيوتها ، وستظفر كما ظفر آباؤك » وشكره تلياك ، وتمنى لو صدقت نبوءته ، ثم أوصى به أعظم رجاله وأخلصهم له — كليتوس — فاهتزت أر يحية الرجل ، ووعد أن يكون له كسيده (تلياك) حتى يئوب ... وسلم تلياك — ومضى للقاء يومايوس ثم أقلعت السفينة بمن عليها إلى المدينة .



أودكيب يوس ايقي ليمآك

لقد كانت حد أة الفحر الساكنة الجميلة حينما هب يومايوس وضيفه من نومها ليلبسا ثيابهما ويعدا فطورها ، وليرسل الراعي عماله وراء قطعانه النائمة في السهل الصامت الوديم ... وحينها أقبل تلياخوس أهرعت إليه الكلاب تلحس ثيابه وتعلق قدميه ، وتهتز من نشوة وطرب لأنها رأته بعد طول الغياب ... وقد لحظ أودسيوس ذلك فقال يتحدث إلى الراعى: « يومايوس ! هذا أحد معارفك أو الأود"اء إليك مقبل ··· لشد ما تملقه الكلاب التي أوشكت من قبل أن تعقرني ! إنها لا تنبح ولا تكشر، بل تقمى فى إثره ذليلة! » وما كاد يفرغ من حديثه حتى كان ولده واقفاً أمامه في رحبـة الدار . وما كاد يومايوس يلمحه ، حتى هب من مقامه مسبوها مرتبكا ، وحتى انقذفت الأكؤس التي كان يمزج فيها الحنر من يديه ... بيد أنه ذهب إليه يقبله ثم يقبله ، ويبالغ في تقبيله ، كأب مشوق لتى ولده فجأة بعد بصع سنين من ميارة البعد وألم الفراق! ثم قال يكامه : « أواه تليماخوس ؟ أهو أنت يانو رعيني ؟ أنت نفسك ؟ أوَ قد عدت؟ تالله ما كان يخطر بخلدي أنك عائد من سفرك بعد الذي دَ بُّروا لك ! هلم يا حبيبي ! تعال يا سي ! فلقد عادت روحي من سفر سحيق برؤ يةك … تعال تلماخوس فما أندر ما تزورنا هنا لطول اشتغالك بالمعاميد المناكيد !! » وقال تلماك يجيبه : « أجل أيها اللصديق ؛ غير أنني أتيت

لأسألك عن أمى ! ألا تزال مخلصة لذكري أودسيوس ، قأممة على عهده ، أم أنها هجرت مهاده لتقع في شرك من شراك العناكب المحدقة بها؟! » وأجابه الراعى فوصف له ما تلقاه الأم المحزوبة من الضي واكحرَن ، وما تذرف من الدموع في جنح الايل لما يرميها به الحِد ثان ... ثم دخل تلماك بعد أن أحذ الراعى حربته ، فنهض أودسيوس ليخلي لولده مقعده ، فأبى تلماك ... « لأن المسكان فسيح ، ولأن يومايوس يستطيع أن يعد لنسا مقعداً آخر ··· فوالله لتجلسن أيها اللاجيء الكريم! ». وهيأ الراعى لسيده مقعداً من الحشائش الغضة والحلماء الرطبة جعل عليها فروة كبيرة مما عنده ؛ وجلس تلماك . . وأحضر يومايوس فطوره في أطباق من أطباق أمس وشيئًا من الخبز والحمر ؛ ونشر الصحاف على الخوان أمام مولاه ، وأحذ الثلاثة يلنهمونها أكلة مريئة هانئة … حتى إذا فرغوا ، توجه تلماك بالحديث إلى راعيه فقال : « ممن ضيفك يا أبتاه ؟ ومتي وصل إلى إبثاكا وكيف؟ وأى الملاحين حملوه إلى شــاطثنا؟». قال الراعى: « والله يابني ما أستطيع أن أخنى عنك ما قال ؛ فهو يدعى أنه من نسل الأماثل الأمجاد من أمراء كريت ، وأنه طوف في الآفاق ، وسافر في البلاد ورأى من المدن مما لا عين رأت ... وهو يقول إن فلكاً قبرسيا قد حمله إلى شاطئنا قبل أن تحمله رجلاه إلى كوخي هذا ... ولكن .. لم هذا ؟ ولم أتولى أنا الإجابة؟ إنه أمامك وأنا أدع أمره لك ، فاصنع به ما تشاء إنه لائذ بك ، قاصد بابك ، وأحسب أن له حاجة عندك ! » وبدا الألم في محيا الشاب فأجاب: تالله لقد آلمني حديثك أيها الأب يومايوس! أنت

تجمله لائذًا بي قاصـدًا بابي ، وأنت تعرف من حالى ما تعرف ، وتعلم أنني مرز ألم بالتي لا أستطيم أن أدفع عنها إصر هؤلاء الأبجاس المناكيد، الذين طال لبثهم حولهـ ا، وتوقحهم بسبمها ، حتى لأخشىأن تضيق بهم فتختار مرغمة ، أفضلهم بعلا لها ، أو أكثرهم عطاء ، وأوسعهم ثراء … بيد أنني أوثر أن أمنحه دثاراً وصدارًا ، ونعلين ، وسيفًا 'جرزًا ، ثم أرسله إلى أى أقاليم العالم شاء ، في حمايتي ... و إن أَحبُّ ، فليبق في ضيافتك أنت ، وســأرسل إليه ما هو حَسْبُهُ من طعام وشراب خشية أن سرهقك ، أو أن تضيق به ... أما أن يصحبني إلى القصر الذي تعلم من أمره ما لا تعلم، فذاك ما لا أرضاه له ... فقد يغمزه أحد بكلمة فيجرحه ، وأُجَرح أنا بسببه ، وأنت لا يخفى عليك أنبي صغير لا أستطيع مهما أوتيت من الشجاعة أن أرد عادية هؤلاء الأوغاد » ، وتولى أودسيوس الإجابة فقال : « أَوْه أيها الحبيب الطيب القلب! لشدما تتمزق نياط قلبي لما سمعت من أمر هؤلاء العشاق الأشقياء الذين يستبيحون منزل فتى كرم مثلك! ولسكن قل لى ، إذا أذنت أِن أَتَكُمْ فِي هَذَا الشَّأْنُ ،: هَلَ عَن رَضَى مَنْكُ لَصَقُوا بَمْزَلْكُ فَمَا يُرِيُونَ ؟ أم برغمك أيهـا العزيز؟ أليس لك إخوة يسندونك ويشــدون أزرك فتطردهم من بيتك ؟ أواه لو عاد لى شبابى الآن أواه ! وآه لو عاد الآن أودسيوس! تالله لوأنني في حالك هذه لآثرت أن أمتشق سيني في وجوههم. فإما أن أطهر بيتي منهم ، وإما أن أخر قتيلا بينهم فلا تقــع عيني على ما يصنعون ، ولا أرى إلى عيثهم وعبثهم بكل ما في منزل أبي من خير

و مَسْير ، السنين الطوال! » فقال تلماك « ليس سراً أيها اللاحي، الكريم ما بینی وبین قومی ، ولیس منهم من یضمر لی عداوة أو یطوی جوانحه لی على حقد … أما الأخوة والأشقاء فليس في أسرتنا من رزق هذه النعمة ، بل هذا دأب عائلتنا منذ القدم ؛ ذلك أر سشياس لم ينجب غير ليرتيس ولم ينجب ليرتيس غير أودسيوس ، وهذا لم ينجب غيرى ... أنا ... هذا المرزأ المحزون الموجع القلب ... من أجل ذلك طمع هؤلاء الطامعون فينا وتكالبوا على بيتنا من كل فج ، فأقبلوا من ساموس ودلشيوم وزاكنتوس وأطراف إيثاكا ، ومن الجزر الكثيرة المنتثرة في هذا البحر · كل يرغب في أن تكون أمى له من دون العالمين زوجة برغبها، فهم مقيمون لا ير عمون ، آكلين ناعمين ، يستنفدون غلة ما ترك أودسيوس ، آتين على كل ما في بيته وخزائنه ، ويوشكون أن يأتوا على أنا الآخر ا ﴾ ثم آمر يومايوس أن يذهب إلى القصر فيخبر أمه بعودته سالمًا من بيلوس ؛ فذكره يومايوس بجده الضعيف الشيخ الذي امتنع عن الأكل والشراب منذ أن رحل تلماك يسائل عن أبيه ... وذلك مما أضواه من الهم، واستأذنه في أن يمر عليه فيخبره بعودة مولاه حتى يطمئن هو الآحر. ولكن تلماك أسره بأن يذهب من فوره إلى القصر فيخبره سوانطلق يومايوس ... وكانت مينرقا تنتظر ذهابه لتبدو لأودسيوس في صورة حسناء ذات وقار وحسن سمت ، وقد أخذت الكلاب بروعة مرآها فتكبكبت في أحد أركان الحظيرة ، وراحت توقوق وتهر (١) مما شدهها

⁽١) الوقوقة صوت الكلابُ إذا خافت والهرير صوتها إذا أنكرت شيئا

من منظر مينرفًا ، وقد لفت فعلها أودسيوس فهب مسرعاً إلى ربة الحـكمة التي قالت له : الآن ينبغي لك أن تكشف نفسك لولدك فتقفه على حقيقة الأمر ، ثم تذهب معه إلى المدينة وفي قبضتك الموت الزؤام تُجَرَّعه صاباً ومحموماً للعشاق . وسأ كون دائمًا معك ، وسأشرف على المعركة بنفسي » ولمسته بعصاها السحرية فارتد إلى صورته الحقيقية، وعاد إلى الـكوخ في حلته الضافية التي كانت عليه من قبل ... فلما رآه تلماك شُده وفررق وقال له : ﴿ أَيُّهَا النَّارَحُ الْغُرِّيبُ مَا ذَا أَصَابِكُ ؟ لَقَدْ تَبْدَلْتُ أَيَّا تَبْدُلُ ! خبرنى أرجوك وأتوسل اليك ، أأ نت إله كريم فنعقر اك القرابين وندبح من أجلك الأضاحي ؟ » قال أودسيوس : « ليفرخ روعك يابني فما أنا إله إن أنا إلا بشر، وإن أنا إلا أنوك الذى ذهبت تذرع الدنيا من أجله والذي بسببه غصصت بكل هذه الآلام ، وصبرت للؤم هؤلاء الناس! » ثم ضم إليه ولده وطفق يقبله ويذرف دموعه على خديه!! بيد أن تليماك لم يصدق وراح مدوره يقول : « أبى ؟ ان تكون مطلقاً أبى ! بل أنت إله تنزل من الماء ليعبث بي ، وليزيدني شقوة وأشجاناً! أي بشر يستطيم أن يصنع ما صنعت ، وكنت منذ لحظة عجوزاً محدودب الظهر مجعد الوجه غائر العينين ، تلوح في مِن َق وأسمـــال ، نهم تخرج هنيهة وتعود في هذا البدن الفينان وذاك المظهر الفتان الذي لا يكون إلا للا لهة ؟ فقال أبوه : « أى بنى أنا أودسيوس ، ولن يرجع إليك أودسيوس آخر سواى ا اطمئن فقد صنعت مينرڤا ما رأيت بأبيك ، وما صنعته أنا بنفسي إنها ربةولها القدرة على كل شيء ، فغي وسعها أن تظهر من تشاء في صور شتى ، وليس هذا

على أثينا بعزيز » وأحس تلباك ما كان يشيع فى كلمات أبيه من حرارة و إخلاص لا يصدران إلا عن قلب أب ، فانطلق يبادل والده عناقاً بعناق ، ودمعاً بدمع ، وقبلات بقبلات ا ثم سأله كيف عاد إلى الوطن بعد كل تلك السنين الطوال ، فقص عليه قصمة منم قال له : « ولكن حدثني أنت عن أمر أولئك العشاق الأوغاد ما عددهم، وهل نستطيع كلانا أن نقف لهم فنظفر بهم ؟ » فأجاب تلياك: « أبتاه ! لقد سمت الثناء على شجاعتك وسعة حيلتك وجليل حكمتك فى كل ملحمة و بكل نقع ... ثناءً يلهج به فم الدنيا جميعاً! بيد أنه ينبغي ألا نجازف هـذه الحجازفة التي لا نعرف ما ذا وراءها ... إذ ماذا يصنع اثنان بعشرين ومائة من خيرة صناديد إيثاكا وما حولها ؟ الرأى أن نفكر في أنصار يشدون أزرنا ويكونون عوناً لنسا » فقال أودسيوس وهو ينتسم: « وما قولك يابني في اثنين الله — چوڤ العلى --- ثالثهما ، ومينرڤا بصيرتهما على القوم الظالمين ؟ أإذا كان هذان معنا ، أفنحتاج إلى عون آخر؟ » فقال تليماك « بلي ... تعالى چوڤ وجلت مينرقا ... إن لهما لأيدياً فوق أيدى الناس لأنهما يحكمان من فوق عرشهما المرد فوق السحاب، في الأرض وفي السماء على السواء . » وقال أبوه يزيده طمأنينة : « وسيكونان معنا في الحلبة حين يجد جدها ... فإذا كان الصباح فاذهب إلى القصر واختلط بالعشاق وسيقودني راعينا الأمين إلى هنالك ، متنكراً في صورة الشحاذ الفقيرَ الذي رأيت ، فإذا فرطوا على فلا تأس ، حتى ولو كان فرطهم بالضرب والسباب . . . ويسرني أن تحتمل وتصطبر ، فإذا زادوا فاصرف عني أذاهم

بكلمة طيبة حتى يحكم الله بيني و بينهم حين يحين حينهم ... واحذر أن تخبر أحداً بعودتى حتى ولا أبى ... بل على الأخص أمك بناوب أو هذا الراعى يومايوس ... إذ ينبغي أن نستعين على أمرنا بالكنمان حتى نعرف أصدقاءنا ونخبر أعداءنا! » وطمأنه تليماك وأكد له كل شيء ... ثم وصل يومايوس إلى بناوب فأخبرها بعودة تلماك، وذاع النبأ بين العشاق فذعروا ، لفشل مؤامرتهم ضده ، وانتشروا خارج القصر ، واعتزموا أن يبعثوا نفراً منهم بهذا النبأ إلى الطغمة التي ذهبت تتربص بالفتي لتغتاله إذ هو عائد من بيلوس ... ثم اجتمعوا يمـكرون السيئات ، ويدبرون قتل تلماك حين تتيم فرصة أخرى . وكان ميدون قريباً منهم فاسترق سمعهم وطار به إلى بنـــلوب التي هالها ما مكروا وما دبروا ، فذهبت في جميع وصيفاتها إلى رحبـة القصر، حيث اجتمع أعداؤها إلى شياطينهم ، فصاحت تزعيمهم أنطونيوس من وراء حجابها قائلة : « أنطونيوس تبت يداك يا ألأم الناس 1 أنت يا من يدعونك التقى الصالح وأنت أسفل ممسا يظنون طوية وأخبث سريرة ! كيف حدثتك نفسك بهذا التدبير السيء فترسم لأشرارك قتل ولدى الذى لم يعد لى فى الحياة رجاء غيره ؟ أرلأنه ضعيفَ بنفسه ؟ ألا فاعلم أنه قوى بالله الذي ينتقم لعباده من الظالمين ! أيها اللئيم ، أبمثل هذا تجزى جميل أودسيوس الذى حال مرة بين أبيك و بين أعدائه معرضاً بنفسه للتهلكة ، ولولاه لظفروا به ، ولولا أن قتل منهم من قتل وصرع من صرع لعجلت روحه إلى نيران هيدز و بئس القرار ؟ أُ فلم يكفك ما تأكل بغير حق من زاده ، وتعبث غير عابىء بعتاده ، فترسم

لأشرارك غيلة ابنه ؟ » وانبرى يور يماخوس يهدىء من ثورتها ويطمئنها أن أحداً من العالمين لا يستطيع أن ينال تليُّاك بأذى ما دام هو حياً يدب على قدمين ... وكان يتكلم رغم ماكان ينطوى عليه قلبه ... لأنه كان من أكبر المتآمرين على حياة ابنها العزيز الحبيب ...! و بعد أن توارت أورورا عاد الراعي إلى حظائره يدب على عـكازه ؛ وكانت مينرڤا قد لمست أودسيوس بعصاها السحرية فعاد إلى صورة العقير الشحاذ وعادت إليه مزقه وأسماله ، فوجد سيده وضيفه الفقير يعدان عشاءهما . ولما لمحه تلماك قال له : « ما وراءك يا يومايوس الصالح ؟ أعلمت عن الطغمة التي استــأنت في ساموس تتربص بي شيئًا! » فأجابه الراعي : « تالله لا علم لى بشيء يا مولاى ، فأنا لم أنتظر طويلا في المدينة لأتسقط الأنباء ، لأنك أمرتني أن أرتد على عجل ؛ بيد أنني لمحت مركبا يطوى البحر إذ أنا عائد ، ويدخل المرفأ ، وفيه من العدة والعدد ما يبهر النظر لا أجزم بهذا » .

و نظر تلماك إلى والده مبتسما ، محاذراً أن ينتبه الراعي إلى شيء .

* * *

أوديسيوس فى قصره

ونضرت أورورا جبين الشرق بالورد، وخضبته بالشفق، فهب تلياخوس من نومه الهانيء الهاديء الموشى بالأحلام، فلبس وانتعل،

واخترط سيفه ثم قال لراعيه : « أيها الأب الصديق ، إنى متوجه إلى المدينة لألقى أمى ، فأكبر الظن أنها لن يرقأ لها دمع ولن تخفت لها آهة حتى ترانى ... أما هذا اللاحيء ... فرأيي أن ينطلق إلى المدينة فليسأل الناس وليطرق الأبواب ، وان يعدم إذا تسكففهم أن ينال رزقه و يحصل على لقات يتبلغ مها ... إن لدى من المتاعب والمشاق ما يشغلني عن كل جو اب آفاق ... إيمض به إلى المدينة إذن ؛ فإذا آلمه هذا ، فهو حر ... إنى رجل لا أعبأ أن أقول الحق! ه فنهض أودسيوس ليقول: « سيدى! إنى لم أبغ أن أتلبث هنا ، فليس لشحاذ فقير مثلي أن يلتمس رزقه في الحقول والغيطان! بل إنى منطلق إلى المدينة واست مقعداً أو ضعفاناً فلا أقوى على عمل يؤجرني عليه أحد أمرائها ... تفضل أنت فاذهب لطيتك ، وسأمضى أنا مع خادمك حين تمتع الشمس قليلا ، فأناكما ترى رجل شیخ ، وأخشى أن يقتلني برد الصباح وصقيعه ، وليس ما يحفظني منهما إلا ما ترى من مزق مضى أصلها و بقى رقعها! » ... وانطلق تلماك فبلغ القصر، ولقي أول من لقي مرضعه يور يكليا، حيث كانت وأثرابها ينشرن فراء على كراسي وحمالات مبعثرة في الردهة ... فلما رأته عجلت إليه ورحبت به وسلمت عليه ، وانطلقت الدموع من عينيها فانعقد لسانها وانحبس منطقها ، ثم اجتمع الجواري يقبلن تلماك و يحدقن به حتى الهتن نظر الأم المعذبة المحزونة المطلة من إحدى شرفات القصر، فأهم عت من عل وأخذت في حضنها المحب الرحم أعز الأبناء ، وأمطرت جبينه وخديه بالدموع والقبل، ثم جعلت. تقول له: « أوقد عدت إلى الوطن يا نور

عيني ! تلماك ! تالله لقد وقر في قلبي أنني لن أراك بعد إذا أمحرت إلى بيلوس برغمي ، وعلى غير علم مني ، لتتسقط أساء أبيك ... ولكن ... بذاكرتي إلى عبوس الحياة وقد أفلتُ من الموت ؟ أولى لك ثم أولى أن تصغى عليك من أفخر أثوابك ، ثم تصلى للآلهة أن تهبىء لنا يوم انتقام عادل لا يبقى ولا يذر!! بيد أنه ينبغي أن أذهب الآن لأاتي ضيفاً كريماً عزيزاً جداً على - عزيزاً جداً على يا أماه! - حضر معى في سفينتي أمس ، وقد أرسلته مع من يضيفه عنى حتى أعود فأضيفه أنا نفسى » وذهمت پناوب فصلت طویلا للاکهــة ، وانطلق تلماك فلقی تيوكامنوس وعاد معه إلى القصر ، وجلسا يتحدثان ، بينا أحضر أحد الخدم مائدة حافلة بألوان. الطعام وأطيب صنوف الشراب، فوضعها أمامهما ... وأقملت ينلوب فجلست لدى الباب تنسج ثوبها الذي لاينتهى فلما فرغا من طعامهما أقبئت فقالت تخاطب تلماخوس: « يبدو لى أنك لن تقص على الآن ما سمعت من أنباء أبيك يا تلماخوس، وأوثر إذن أن أصعد فأضطجع في فراشي الذي أبلله دائمًا بدموعي منذ فارق أودسيوس، فإذا انصرف الأوغاد المعاميد وفرغت من شغلك بهم فاحضر إلى لتقص على من أنمائه . » ولكن تلماك قال : « أماه ! لم لا أقص عليك ما سمعت وما سافرت إلا لأطمئنك وأطمئن نفسي ؟ القسد سافرت إلى پیلوس وحظینت بلقاء نسطور الذی هش لی و بش وفرح بی کا نما أنا ابنه الذي افتقده طويلا وعاد فجأة إليه ؛ غير أنه لم يذكر لى عن أبي قليــلا

أوكثيراً لعدم علمه بشيء من أنبائه ، ولذلك بعثني مع واحد من أبنائه إلى ملك أسيرطه لأسأله عن أبي ... وقد لقيني مناوس فأحسن لقائي وأكرم مثواى ، ورأيت زوجه هيلين الحُسَّان المفتان التي شبت بسببها حروب طروادة ، والتي لقى من أجلهـا أبطال الإغريق أنكى ألوارــــ العذاب . . . ولما سألني الملك فيم قدمت ، نبأته بأنباء العشاق المعاميد ، ووصفت له ما يجرون على بيت أبى من الخراب، فأرغى وأزبد ولعنهم أشد اللمن ، وتوسل إلى الآلهة أن ترد إليهم أودسيوس فيبطش بهم ، ويعيـــد إليهم صوابهم ، ثم قص على ما سمعه من أحد أرباب الماء بروتیوس — الذی أخبره أن أبی لا یزال حیاً برزق فی إحدی الجزر النائية ، وأن عروساً من عرائس للماء تحجزه عندها في تلك الجزيرة برغمه ، لأنها تحبه وتهواه ، وأنه لايجد سفينة يئوب عليها إلى الوطن . . هذا يا أماه كل ماعلمته عن أبي من الملك مناوس ، وقد أذنٌ لى في العودة فأبت في رعاية السهاء وحفظ الآلهة » . وكانت پنلوب تصغى وثورة من الحزن تجتاح نفسها ، ولظي من الوجد يفتك بقلبها . فلما فرغ تلماك ، التفت تيوكليمنوس المتنبي إلى السيدة الرؤوم فقال : « يازوج أودسيوس أعيريني سمعك ! إصغى إلى فسأتنبأ لك ! إن ابنك هدا لم يسمع عن أبيه أىٰ نبـاً يقين ... أما أنا ، فقد بدت لى أمارات وشهدت في السهاء عِلامات ... ومحال أن تـكذب علامات السهاء .. أقسم لك بچوف العلى رب الأرباب، وأقسم بهذا البيت بيت أودسيوس، أن زوجك هنا، ، وفي إيثاكا . . . وهو يعلم كل صغيرة وكبيرة من أنباء العشاق وخباثاتهم ، و إنه ليدبر لهم عقاباً هائلا لن يفلت أحداً منهم!! » وسكت المتنبى ... وأقبل العشاق من لعمهم فخلعوا عباءاتهم ، ثم نشطوا إلى الشاء والخنازير فيزروا لطعامهم ...

هذا ماكان من أمر تلياك وأمه ، وماكان من أمر العشاق . أما ما كان من أمر أودسيوس فقد مضى في الطريق إلى المدينة بخطى متعثرة والراعي بين يديه ، وعلى كاهله حقيبته ، وفي يده عكازه ، وكلا لقمهما أحد صمّر خده ، وشمخ بأنفه ، تقززا من منظر هذا الشحاذ الفقير القذر ٠٠٠ ثم أتيا إلى نبع يتفجر في الطريق فيستقى الناس منه ، وقد بسقت من حوله أشجار الحور والسنديان ، وترقرق الماء فوق الحصباء كاللجين يتدحرج من حيد أكمة هناك، أفام الصالحون فوقها مذبحاً لعرائس الغاب حيث يتقدم الناس بنذورهم ويعقرون إضحياتهم ... وقد لقيا هناك راعى ماعن الملك - ملانتيوس - يسوق قطيعاً من أسمن ما يرعى لأجل ولأتم العشاق … ولقد كان ملانتيوس هذا من أذنابهم ومتملقيهم . وكان يصنع كل ما يحببه إليهم ويضمن له عطفهم ، فلما رأى الفقيرين وأحدها زمیل له ، انطلق یهوی و یصخب ، ویسب ویسخر ، ویغمز الرجلین غَرَا شديداً موجعاً ، حتى غلى الدم في رأس أودسيوس : « إنْشَملا أيهذان المسخان! طاعون يجتاحك يا راعي الخنازير القددر! حقاً إن الطيور على أشكالها تقع اكلب يقود آخر … إلى أين ؟ إلى حيث يلتقط فتات موائدنا ! عجباً ؟ ألا تطلقه معي إلى المزارع ينظف الزرائب و يحمل العلف و بحرس الغلة ويشرب ما شاء من اللبن الحازر(١) والمخيض ،

⁽١) شديد الحموصة والمخيض الدى استخرجت زبدته .

ويكسو عظامه المعروقة بإهاب من اللحم ؟! ولكن هيمات! فقد بلدت طباعه فلا يصلح لعمل شريف!» . وهكذا ظل الراعي الشرير يقيء من هذا البذاء ، وركل أودسيوس آخر الأسر ركلة قوية في سانه ، فلولا ما حرص الملك عليه من كتمان أمره لحطمه بسببها ، ولمسيح به ظاهر الأرض ا ولقد هاج هائج بومايوس فدعا آلهته لتنتقم لرفيقه الصعيف وطعق يقول : « يا عرائس هـ ذا النبع المقدس اسمعي بحق ما عقر لك أودسيوس وباسم ما ضحى أن ترديه إلى بلاده لينتقم من أمثال هذا الوغد الزنيم الذي لا يحسن إلا أن يملق أعداء مولاه ، و إلا أن يغشي رحابهم ، بينا قطعانه سائمة في ألمرج لا راعي لها ولا حفيظ! » فصاح الراعي الوقح: « هاه ! أجيبي يا عمائس دعاء كابك الأمين ؟ أواه لو أستطيع أن أحملك في فلك أحد هؤلاء السادة فأبيعك بيع الرقيق في بلد سحيق! أودسيوس ماذا أنها البهيم ! لقد أودى أودسيوس ولن يعود إلى الحياة قط . و تودى لو لحق به ابنه تلمِاك!!» ... قالها ... وانطلق حتى بلغ القصر وغشى مجلس العشاق يطرفهم بما حدث له مع راعي الخنازير ... أما أودسيوس وأمينه فقد سارا رويداً حتى أتيا بوابة القصر فتلبثا عندها ... وتنساول أودسيوس يد الراعي وقال: « يومايوس ا لاريب أن هذه سراى الملك، أنظر! ها هي ذي الحجرات يتلو بعضها بعضاً ، وهاك الرحبة الكبري ذات العاد وذات الأبواب ... وإبي أحدس أن هناك أضيافاً اجتمعوا لولمية ، وهذا قتار اللحم يملأ خياشيمي ، و إرنان القيثار يجلجل في أذني ، · فقال يومايوس يجيبه : « أنت ذكى شديد الذكاء ! إنه هو المكان بعينه

والآن ، هل تذهب أنت وحـدك فتستعرض الأمراء وتعود ، أم تنتظر حتى أذهب أنا فأخطف نظرة إليهم ؟ على أنك يجب ألا تتلبث هنا طويلا فقد يراك بعضهم فيؤذيك ويطردك من هنا شر طردة ، وقال أودسيوس « بل انطلق أنت و إنى منتظرك هنا ، فإذا لكمني أحد أو لكزى أوركلني ، فلشد ما احتمل هذا وذاك ، وهل هو إلا بعض ما احتملت فى حروبى الطويلة؟» وبيناها يتحدثان، إذا كلب كبير رابض يقف فِأَة فيبصبص بذنبه وينصب أذنيه ، ويحدق بصره في أودسيوس ، ويظل مسحوراً ذاهلا! ! آه ! إنه الكاب العزيز آرجوس الذي رباه الملك قبل أن يرحل إلي طروادة ... لقد أهمل أمره ، فهو رابض هكذا في حمأة من الروث والقذر والقمل أمام بوابة القصر ، كالشاعر، العجوز الذي يجترُّ ذكرياته!! لقد عرف صوت مولاه برغم السنين الطوال، فبكي ، وهم ، وأرسل الدموع حراراً تسقى صدغيه ! وقد تأجحت في قلبه الحيواني ثورة من الحزن الطارىء المفاجيء فلم يقو أن يزحف ليمسح بلسانه قدمي مولاه ... وقد لحظ أودسيوس ما أصاب كلبه العزيز فبكي هو الآخر تأثراً ، وسجل هذه الآية من الوفاء للحيوان على الإنسان! وأشاح بوجهه عن الراعى حتى لا يدرك ما بعينيه من دموع . فلما مسحها بكمه قال يحدث يومايوس : « أليس عجيباً ومؤلما معا يا صديقي أن يتركوا هذا الكاب الذي تبدو عليه سيماء النبل فوق هذه الكومة من الروث قد يكون أقعده الضعف عن متابعة الصيد وقد يكون إبقاؤهم عليه من . أجل منظره وحسن سمته !؟ » فأجابه الراعى : « أوه ، بلى أيها الرفيق ! أما والله لو شهدته فى إثر مولاه أودسيوس العجبت لعظم توته وشددة جبروته! أبداً لم يخلق الله وقتئذ كاباً أتبع لصيد، أو أقوى حاسة شم منه وأبداً لم يكن عندنا كلب كا رجس هذا الرابض يساقط نفسه أنفساً!! إنه يبكى مولاه الذى قضى وتركه من ورائه لإهمال الوصيفات وقدلة اكتراثهن ... أما عميد هذا القصر فهم كالوصيفات حذوك المعل بالنعل، فهم لا ينشطون لعمل كا ينشطون وسيدهم بينهم، ثم هم قد فقد وا بالعبودية وذلة الرق نصف آدميتهم ورجولتهم!!» ثم مضى أودسيوس نحو صديقه وخدن صباه، فبكى وذرف دموعه، وكدلك فعل الكلب ... حتى مات ... ولكن بعد أن رأى سيده تارة أخرى!!

ولمح تلياك راعيه فأوما إليه ، وأخذه جانبا ، ثم أمده بنصيب جزيل من طعام الوليمة ... و بعد لحظات أقبل أودسيوس في صورة الشحاذ الفقير ، وجلس على الأرض ، فأرسل إليه ولده شيئاً من اللحم والخبز مع يومايوس ، وأسر إليه أن يرسله بين الأمراء يتكفف ، وبالأحرى ليتعرف فلما فرغ من طعامه نهض فسار بينهم بسأل هذا و يحدق فيه ، و ينصرف إلى ذاك و يحدجه ، و بمد يده من أجل لقمة كما يصنع الشحاذون ، وقد رثى له كثيرون فأمدوه بلقات ومصغ من اللحم ، إلا أنطونيوس ، فقد استهزأ به و بمن أحسن من الأسراء إليه ، وعيرهم نأنهم يتصدقون بما ليسلم ، ثم هاج وماج ، ورفع كرسيا وشك أن يحطم مه رأس أو دسيوس ، وأمره أن ينصرف فلا يعكر عليهم صفوهم أكثر مما فعل إ ا ولكن الكرسي صدع كنف الملك ، وأعنى رأسه ، ووقف أو دسيوس كالعسخرة الكرسي صدع كنف الملك ، وأعنى رأسه ، ووقف أو دسيوس كالعسخرة

لا يتحرك ولا ينبس ببنت شفة ... ولمكن ألف ألف فكرة سوداء كانت تكظ فؤاده وتزحم تفكيره ... ثم مضى فجلس حيث كان من قبل ، وهتف بالعشاق في صوت جهوري فقال: « سادتي الأمراء اسمعوا! تالله لو أنها ضربة في حرب بين كفئين لما حملت لها موجدة في نفسي ... ولكن أنطونيوس رأى من سلطان الجوع والضعف ما جرّأه وأثار نحيزته ... وأنا مع ذاك أترك جزاءه لله ، وأضرع إليه جل ثناؤه أن يقبضه قبَّل أن تزف إليه عرسه!» وكأنما خجل العشاق مما فعل أنطونيوس فِعلوا يلومونه و يتلاومون فيما بينهم . قال قائلهم : « من يدرى ؟ ألا يحتمل أن يكون أحد آلهة السماء جاء ليبلونا … والويل لك يا أنطونيوس إذا صدق حدَّسنا ... ألا تعلم أنهم طالما يتنزلون فيغشون مدننا في صور الشحاذين ليروا بأعينهم ما نأفك وما نمين ؟ » ولم يبال بهم ولم يأبه لما قالوا ... وكان تلماخوس يتميز من الغيظ، ويُسر في نفسه أوجع الألم لما نال أياه من الضرب ، بيد أنه غلب غضبه ، وحبسه في أعماقه ، كاحبس . في عينيه وابلا من الدموع س وكانت بناوب تطلع من شرفتها وترى ما حل بالرجل من إيذاء ، فهتفت بيومايوس أن يرسله وإيها كما تسأله عن أودسيوس ، لما يبدو عليه من أثر السفر وجوب الآفاق . قال الراعى : « أجل يا مولاتى ، إنه رجل من كريت ، وقد خاض ألف مكروه قبل أن تحمله الصدفة إلى بلادنا ؛ ثم هو محدث ساحر الحديث طلى الرواية ، حتى ليخلب سمع من يصغى إليه بأشد مما يستطيع منشد مطرب أن يفعل ا وكلما طال حديثه لذت طلاوته ، وكثرت حلاوته ، فلا تمله أذنان ، ولايضيق به مصغ إليه ... وأعجب ما ذكره مرة لى أنه رأى أودسيوس وعرفه فى أبيروس ... بل يزيد فيؤكد أن مولاى عائد أدراجه إلينا ، حاملا معه كنوزا من الذهب ، وأذخاراً لم تر العين مثلها ولم تخطر على قلب بشر!! » فتنهدت بناوپ وقالت : « انطلق إذن فأحضره ، ودعه محدثنى بما روى وجها لوجه ، وسأهبه صداراً ودثاراً إذا توسمت فى قوله الحق ، وآنست فى روايته الصدق » .

وادعى أودسيوس أنه يخشى أن يجوز وسط الأمراء مرة أخرى ، وفضَّل أن يلقى الملكة فيتحدث إليها إذا جَنَّ الليل بجانب المدفأ ... ووافقت الملكة ، وصوّ بت رأى الرجل ؛ وكان الوقت أصيلا فقصد الراعى إلى تلياك وأستأذنه في الانصراف إلى حظائره ، فأذن له ، ولكن بعد أن أمره بالتزود لعشائه ، ففعل يومايوس ، ثم مضى ليسهر على خناز يره.



أودكيبيوس تيشاجر مع مشحاذ

وبينها كان أودسيوس جالساً يزدرد طعامه ، إذا شحاذ ضخم الجسم شائه المنظر يدحل فجأة ، فيلتفت إليه جمهور العشاق . ويمرفون ميه الفقير إيروس ، المشهور بنهمه الذي لا يوصف ، و بإقباله الشديد على أردأ ألوان الشراب ... وكانت له عليهم دالة ، وليس في الجزيرة كلها من يجهله ... فلما لمح أودسيوس جالساً يتبلغ بلقاته ، نظر إليه نظرات المغيظ المحنق وقال له : « أنحرف عن الباب أنها العجوز القذر و إلا جررتك من عقبيك ··· ولو أنني أثر فع عن مقارعة أمثالك !! » وحدجه أوَّدْسيوس وقال : « أيها ً الصديق إنى ما آذيتك ، وإن في المكان متسعاً لكلينا ... أرجو ألا تثيرني أكثر ممـا فعلت وإلا فلا يغرنك هرمي وتقدم سني ، فتالله لأرينك كيف أضربك ضرباً تقول منه الهامةُ اسقونى ! إجنح للسلم هو خير لك! وأصغ إلى نصحى ، و إلا فلن تدخل قصر الملك أودسيوس بعد اليوم ··· ! » وغيظ الشحاذ إيروس وقال : « اسمعوا ماذا يهرف هذا الشره المخوف ! ألا ما أشهه بزوجة حمقاء تثرثو أمام كانون ! تالله ليخيل إلى أن أنقض عليه فأنْفض ثناياه ! هلم أيها الرجل ! استعد للقاء ، وليشهد السادة كيف أمثل بك ؟ » وقهقه أنطونيوس وقال : « أيهـــا الأصدقاء اشهدوا ! إن إيروس يتحدى هذا الفقير، والعقير بدوره يتحداه،

أنطونيوس ، وتكبكب الأمراء حول الرجلين ضاحكين عابثين ، شم التفت إليهما أنطونيوس وقال : « إسمعا إذن ؛ ههنا كعكات لدس أحود منها ... وإنها خالصة لمن يتفوق منكما على قِرنه ... ولمن فاز أجر عندنا عظيم ... إنه سيجلس معنا في جميع ولأنمنا منذ غد، ولن ندع أحداً من الشحاذين يضايقنا بعد هذا اليوم» وتخابثاً ودسيوس وقال: «ياسادة 1 من الظلم أن يتبارى رجل عجوز ضعيف مثلي مع هذا الهولة ... ولحكن الجوع يدفعني إلى البطش به مع ذاك ... بيد أن لى رجاء ألا يساعده أحد على ، فيلسكمني مثلا أو يلسكزني حيما أكون مشغولا به » فقاسموه ألا يفعلوا . وتقدم تلماخوس ابنه فقال : « أيها الرجل ، إذا وسعك أن تناضل هـذا الزميل فلن تخشى من هؤلاء رهقاً ... إلى أنا مضيفك ، وليس أحب إلى أنطونيوس و يور يماخوس من أن يشهدا هدا اللقاء الفذ بينكما ! » ثم إن أودسيوس شمر عن ساعديه وفخذيه ، وكشف قليلا عن صدره ، عامداً ليظهر الأمراء على عضله المكتز وقوته الخارقة ... وقد صدق حدسه ، فقد بهت العشاق ونظر بعضهم إلى بعض يقولون : « واعجباً ؟ أى عضل وأى ساعدين وفخذين يخني هذا الرجل تحت أسماله و من قه البالية ؟ مسكين إيروس! ماذا يبقى منه بعد هذا اللقاء؟! » أما إيروس فقد انتفض وأقشعر بدنه مما عراه من الذعر، والكن الخدم لم يتركوا له أن يفر من اللقاء الذي دعا هو إليه ، بل شمروا له عن ساعديه وفخذيه كما فعل غريه ، ثم جروه إلى الحلقة برغمه ... وود أودسيوس أن يبطش بالرجل فيحطمه بأول الكمة ؛ غير أنه آثر ألا يفعل خشية أن بكتشف

العشاق من هو ... فلما امتدت الأيدى تصنعالدفاع ، وأقبل وأدبر ، وكر وفر ، ثم أهوى على أذن الرجل بضربة سحقت عظامه ، وطرحته على الأرض ... ولبث المسكين لا يبدى حراكا من هول ما حل مه ؟ بيد أن أودسيوس جره من عقبيه إلى ساحة القصر، ثم عرج به نحو حدار كبير حيث سنده إليه ، وجعل في يده عكازه وقال : « إلبث هنا ولا تغش منازل الملوك بعد ، وذد بعصاك الخنازير السائبة ، فذلك خير من أن تصيب بها الغرباء أمثالي س فإن عدت إلى مثل حماقتك مان يصيبك إلا شرمما رأيت! » وتركه وانثني إلى حيث كان ، فوجد العشاق بضحكون حتى كاد يقتلهم الضحك ... وهتفوا له ثم قالوا : « حققالله آمالك ، وأنالك أمانيك أيها الغريب اللاجي ، بما خلصتنا من هذا الشحاذ النهم اللحاح!» وسمع أودسيوس دعاءهم، وَابتهل إلى الآلهة أن تستجيب!! ثم وضع بين يديه أنطونيوس كعكة كبيرة ، وزوده أمفينوموس بخبز وخر صبها له في كأس كبيرة من ذهب ، ودعا له بخير . وآنس فيه أودسيوس طيبة ودماثة خلق فقال له: «هيه! هلم أيها العزيز أمحضك نصيحتي وأحدثك عن تجاريي ... ألا ما أضعف الإنسان! إنه إذا ما مسه ضر دعا الله فإذا كشف عنه الضرفهو مقتصد ناء بجانبه كأن لم يمسسه ضر · وأنا مثلا، لقد كنت في عنفوان صباى أعيث في الأرض مفتراً بقوتي وفتوتي ، حتى أسقط الكبر في يدى فَفَيْتُ إلى أمر السهاء ، ولكن بعد أن كتب عليَّ الشقاء، وهكذا أولئك الأمراء الذين غرتهم الأمابي وأضلهم جبروتهم فأقاموا بهذا القصر غارين آمنين لا يظنون أن له صاحبًا قد يفجأهم بعودته

فيستأصل شأفتهم ويذهب بريحهم ... وإنى والله أيها السيد لأرى أنه عائد ليس من هذا بد ، وأنه عائد قريباً ؛ فتقبل أنت نصيحتى ولا تقم معهم ، بل انطلق إلى بيتك وأهلك ولاتستان حتى يدهمك معهم فيحطمنكم أجمعين ... » وشرب أودسيوس ، ودفع الكأس إلى الأمير الشاب الذى بدت عليه أمارات الهم مما قال الرجل ، ولكن .. وا أسفاه المقد كتب عليه الشقاء ، فلم يصغ لنصيحة أودسيوس .

وبدا لبناوب أن تذهب في بعض وصيفاتها فتخطر بين العشاق ليروها ، ولترى ماذا يكون ... وقبل أن تفعل ألقت عُلمها مينرفا ُنعاساً وأمَّنةً ، وبدت لها في الرؤيا كأنما تعطيها ألهي عجيبة ؛ ثم إن الربة أضفت علمها رواء كرواء الآلهة ، ونَّضرتها بنضرة الشباب والجمال ، فريا جسمها واستطال ، وزانته لمعة عاجية وسناء ... ملما هبت من نومها ، مرست عينيها متعجبة ، وشدهتها تلك الغفوة الطارئة التي جلبت لها السعادة في دنيا من الهموم … وتمنت لو أراحها الموت من حياة اتصلت أشجانها وباعدت بينها وبين إلفها بمفاوز من الآلام والأحزان ... وانطلقت في سرب من وصيفاتها فأشرفت علىالعشاق وقد ضربت بخارها الشف على وجهها المتألق الناصم ، فذهل الملاً ، وراغت أبصارهم ، وأحسوا أن شيئًا يخلع قلوبهم ، فما منهم إلا مَنْ تمني أن يكون صاحب هذا الجال الرائع والحسن الباهر ، والفتنة المتقدة ... ونهض يور يماخوس فقال يخاطها : « يا إبنة إيكاروس بوركت ! تالله لو رآك كل من في هيلاس لاجتمعت حولك قاوب غيرنا من العاشقين ، ولأقبلوا من كل فج فازد حموا

حولك ههنا · · في ذلك القصر العتيد !» فقالت بنلوب : « يور يماخوس ! تالله لقد ذهب الآلهة بجالي الذي تصف يوم رحل عني زوجي أودسيوس فيمن رحل إلى طروادة ... وما أنس لا أنس ما قال لى وهو قابض على يميني يودعني : « زوجتي ! إن أكثر من ترين من هذا الجيس ان يعودوا إلى ديارهم ... فني طروادة محار بون صناديد ، وملاعبو أسنة لا يشق لهم عبار ، وذادة ورماة ! و إنى لا أدرى ماذا يكون من أمرى هنالك ، ولذا ، أكل إليك كل ما أودع ورائى ، و إنى موصيك أول ما أوصيك بأبي وأمى ، فاعني بهما كأحسن ماكنت تعنين وولدهما معك ، فإذا شب ولدى وترعرع ، فلك أن تتركى هذا القصر إن شئت ، وتتزوجي ممن تختارين من الأكفاء الأنداد ، هذا و إني أرى أن هذا اليوم العصيب قد حان ! ولكن وا أسفاه ! إنكم اجتمعتم هنا لتأكلوا وتشربوا وتعيثوا وتعبثوا بكل ما ترك صاحب القصر ... وكنت أظنكم تقيمون في منازلكم وترسلون إلى هداياكم لتكبروا عندي ولا تهزل مكانَّةُ كم لدى ··· ألا ساء ما تَزِ رون » .

وتبسم أوديسيوس من قولها ، ووثق من إخلاصها ، وعجب من شدة ما سحرت ألباب العشاق وبما أخذتهم به من حزم … أما أنطونيوس فقد أجابها بقوله : « أما هدايانا يا ابنة إيكاريوس فلا أحب إلينا من تقديمها إليك … على أننا لن نريم عن هذا القصر حتى تختارى لنفسك بعلاً يكون كفئاً لك » وأيد العشاق ما قال قائلهم ، فنهضوا ليحضروا هداياهم ، وسرعان ما عادوا يحملونها … وتقدموا بها إلى يناوب ؛ فهذا

ثوب ثمين من قاقم موشى بالذهب تزينه اثنا عشر زراراً ذهبياً … وهذا عِقْدٌ مُحليت خرزاته بقطع من الكهرمان الحر؛ وتلك أساور من ذهب وشُمُوف كثيرة وأقراط(١) . وعادت پناوب ومن خلفها وصيفاتها يحملن الهدايا واللهي … وأخذ العشاق كدأبهم في القصف واللهو والعبث والغناء … حتى أقبل الليل ، فقدم الندامي بمجامر من نحاس بها وقود يشتعل ، وطفقن يلقين فمها من الند والرند والعود ذي العرف ، وطفق الْبيخور يعبق في أرجاء البهو الـكبير · وهنا · نهض أودسيوس وتوجه إلى البنات يقول: «أيها العذاري أولى بكن ثم أولى بكن أن تذهبن إلى سيدتكن فتسلينها وتواسينها ، وسأقوم بالنيابة عنكن على هذه النارحتي ينصرف العشاق ... ولن يئودني أن أقوم عليها حتى مطلع الفجر ؛ ولن أضيق بجمعهم مهما عبثوا بي ، فأنا رجل ذو تجاريب » . فتضاحكن به ، وقالت ميلانة والتي هي أجملهن وأقلهن احتشاماً ، تعبث به : ماذا أصابك الليلة أيهذا النازخ الغريب ؟ انظلق إلى حداد للدينة فنم في دكانه ، فهو خير لك من أن تسهر همهنا وتثرثر ٠٠٠ هل غاب صوابك يا شيخ لأنك ظفرت بالشحاذ إيروس ؟ اربع عليك ، فقد تبتليك السماء بمن يبطش بك كما بطشت به ، و يطردك من هنا ! ؟ » ... ورشقها أودسيوس بعينه وقال : أسكتي يا هناه (٢٠) والله لأحدثن بما حدثت الأمير تلماخوس فليقطعن لسانك ، وليمزقن جسدك ! » . وذعم العذارى وولين هاربات ، وقام

⁽١) الشنوف والأقراط (الحلقان) لأذن الرأة.

⁽٢) الهاة الداهية .

أودسيوس على النار وجعل يلحظ العشاق وفى قلبه ضرام ، وما فتى عيفكر فى ألف خطة للانتقام منهم والبطش بهم ... ولم تشأ مينرقا أن تنهى هذا الشقاء الذى ضربته على أودسيوس ، بل تركته يستهزى به العشاق ، ويسخر به يور يماخوس ، فيضحك العشاق إذ يقول : «ما أظن إلا أن الألهة قد أرسلت إلينا هذا الرجل ليكون حامل مشاعلنا وحامى قبسنا ... أنظروا إلى رأسه النحاسى ، أليس يصلح أن يكون مشعالا يضى و لنا؟ » ثم التفت إلى أودسيوس وهو يقول : «أإذا استأجرتك لتسوج مزرعة ثم التفت إلى أودسيوس وهو يقول : «أإذا استأجرتك لتسوج مزرعة وأنقدك مالا ، فإك ترضى ؟ ولكن لا ... إنى لأظنك تنسرق منها طواعية لغرائزك وخبث حبلتك فتنطلق إلى المسدينة لتستجدى وتتكفف ... ».

وتخابث أوديسيوس وقال بجيبه: «يوريماخوس! تالله إنه ليس أحب إليّ من إن أباريك في فلاحة في يوم من أيام الربيع، حين يطول النهار من مشرق الشمس إلى مغربها، على ألا يذوق أحدنا طماما ولا يسيغ شراباً وأو أن يعهد إلى كل منا بأر بعة أفدنة في أرض جبوب، وثورين حهيذين ذَوى خوار، في ذلك اليوم، اترى أينا يصمد لحرثه ويفلح أرضه و بل إنى لأتمنى ، إذ تحن في هذه الأرض، أن يدهمنا عدو بخيله ورجله، وتكون لي درع سابغة، وخوذة من يدهمنا عدو بخيله ورجله، وتكون لي عول الجوع بيني و بين أقراني، من نحاس، ورمح في يدى، لترى كيف لا يحول الجوع بيني و بين أقراني، وكيف أضرج بدمائهم الأرض، وأتركهم في البرية جَزَرَ السباع وكل

نسر قشم … أيها الله كم الوقح … والله لو أن أودسيوس رب هذا البيت قد فجأك الآن لضاقت عليك الأرض بما رحبت … أنت أيها المفرور المتعاظل الذي غره أن يكون شجاعاً بين بو كي لا حول لهم ! » وجُن جنون يور يماخوس ، وأحذ مُتكا ثقيلا وقذ فه شطر أودسيوس ، ولحن البطل انفتل بعيداً وسقط المتكا على الساقى المسكين ، فحر إلى الأرض يئن ويتوجع … وغيظ العشاق أيما غيظ ؟ وعلا العظهم ، وودوا لو يسحقون أودسيوس ، لولا أن تقدم تلياخوس وحال بينه و بينهم وهو يقول : « يا سادة ! إنى كصاحب هذا القصر ، لا أستطيع أن أطرد الرجل منه بعد إذ آو يته وضيفته … والرأى أن تقطعوا سمركم هذا وتذهبوا من فوركم إلى منازلكم حتى يتصرم الليل » … وأيده الأمير أمفينوس ، ووقفوا جميعاً فاحتسوا السكا س الأخيرة ثم انقلبوا إلى منازلهم … وفي نفس يور يماخوس من الهم ما تنوء محمله الجبال …

المرضع العجوز تعرف أوديسيوس,

وهكذا خلا الجو لأودسيوس وولده ، فقال ، محدث تلياك : « أى بنى: ينبغى أن نخبئ أسلحة القوم فى مكان حريز ، فإذا سألوك عنها فقل لهم إنك تحفظها لهم حتى لا تتأثر بالدخان والغبار وتقلبات الجو . وامتثل تلياك ، ودعا المرضع العجوز يوريكليا فقال لها : أماه ليقر الوصيفات فى مضاجعهن حتى أنقل أسلحة أبى إلى مكان حريز فقد تراكم عليها الوسخ وأتلفها الدخان » وقالت يوريكليا معجبة : « أجل يا بنى ، إنه ينبغى أن

تعنى بكل ما يتعلق بأبيك و بكل ماملكت يداك ... ولكن قل لى ... من يحمل لك المصباح حتى تنقلها إلى حرزها ؟ ألا أدعوهن فيحملنه لك ! » وشكرها تلياك ، وذكر لها أن الرجل الغريب سيحمله ، وأهم عت يوريكليا إلى داخل القصر ، وهب أودسيوس وولده يحملان الخوذ والدروع والرماح ، و بدت مينرها السكر يمة تحمل بين أيديهما مصباحاً ذهبياً كان يشع سناء عجيباً ، ونوراً لم تقع عينا تلياك على مثله . فقال لأبيه وقد أخذه العجب « أبتاه ! ما هذا النور المنعكس على الجدران والعمد والقوائم والعوارض حتى ليكاد يجعلها تلتهب! أبداً ما رأيت مثل هذا أمداً .. لا مد يا أبى أن إلىها معنا هنا ! » وقال أبوه : « أحزن عليك لسانك يا بنى ، واملأ قلبك بما ترى ، فإنه من نور السهاء وهذا مأب الآلهة ... والآن ، لتصعد أنت فلتم ملء عينيك كي تستريح ... وأما أنا ، فباق هنا ، لأنه لا بدلى من أن أكلم أمك وخدمها » .

وانطلق تلياك إلى مخدعه ، وأقبلت بنلوب وأقبل في إثرها سرب من خدمها فأعددن لها عرشا ممردا من ذهب وعاج استوت عليه وأسندت لقدميها العاجيتين إلى متكا بحيل ، فبدت كإحدى الآلهة . وجلس أودسيوس على كرسى صغير بُرتت عليه فروة غليظة ، ثم كلته الملكة فقالت : « والآن أيها الغريب الكريم قص على من أنبائك وحبرنى من أنت ، ومن أى البلاد قدمت » فقال أودسيوس : « أيتها الملكة تعالى جدك وصلح حالك ، إن لك في العالمين لذكراً يعبق كالعطر ، واسماً كريماً ليس لملك عظيم يحكم أمة عظيمة بالعدل وتجزيه بالحبة ...

إنني يا مولاتي رجل كرثه الزمان ، وعسفت به يد الحدثان ، فإذا سألتني ما اسمى وما بلادى ، فإنك تثيرين في أعماقي ذكريات عنيفة تدمى فؤادى ، وتفجر الدموع في مآ قيٌّ ، فأعفيني آيتها الملكة منذكر ذلك ، فإنه ليحزنني أن أجلس بين يديك باكياً متصدعاً مهموماً ... » و بدا الألم على وجه بنلوب وقالت : ﴿ أَوَاهُ أَيُّهَا الْغُرِيْبِ مَا أَقْسَى مَا ذُبِلْتُ حياتي وذوت زهرتي مذرحل زوجي المحبوب إلى طروادة ، تاركالي الهم، ومخلفاً لى الحسرة ! ألا ما أقسى ما يحن قلبي إليه ، ولشد ما يخفق من أجله ! لقد أسلمني بعاده لليل أليل من الآلام ، فما أدرى منذ فارق كيف أهش لصيف مسكين مثلك ، ولا كيف أيش لأحد من العالمين ... وهؤلاء الأمراء اللؤماء الذين تكبكموا حولى يريدون ليرغموني على اختيار أحدهم بعلالى من دون أودسيوس لا أدرى كيف أذودهم ، ولا أعرف السبيل الدفع أذاهم … لقد مكرت بهم طو يلا، والكنهم مكروا بي السيئات ، فلا أدرى كيف أنقذ نفسي منهم ؛ وهذان أبواي يريدانني على هذا الزواج البغيض إلى ، وهذا ابني قد شب ، وهو يضيق بعشاقي ذرعاً ، و إن في صدره حرحاً منهم لأنهم بهلكون ثروته ، و يعيثون في قصره ، و يخوضون في عرض أبيه ... ولـكن ... حدثني بأربابك من تـكون ، ومن قومك ، وأى بلاء من الدهر شردك عن وطنك ... تكلم أبها العزيز ولا تحزن » . وأرســل أودسيوس آهة عميقة ثم تكلم فزخرف حديثاً طويلاً. مُوشَّى ، والمَّق قصة حزينة متقنه ، وذكر الملكة أنه رجل مُمرزَّأُ من خزيرة كريت كانت له نعمة وكانت له سعة من العيش ، وذكر

أبويه وأهله والحياة الواسعة المخفرجة التي كانا يحييانها ، ودكر أنه عرف أودسيوس أول ما عرفه حين غرقت به الفلك وقذفه الموج على الشاطئ ا الكريتي ، فهرول إليه وتلطف به وأحذه إلى داره حيث أكرم مثواه. واحتنى به أبواه ... ولم يكد أودسيوس يفرغ من حديثه حتى ترقرقت الدموع في عيني بناوب ، وانطلقت تبكي على زوجها الدى لم تدرأنه جالس إليها يحدثها ويوشى لها أطراف الكلام . وتأثر هو من تكائمها فكادت عيناه تفيضان بالدمع ، لولا أن ملك حاله ، وهيمن على عواطفه ، فحبس العبرات التي أوشكت تنهمل بأجفان من حديد ... ثم أرادت الملكة أن تمتحنه إن كان صادقاً فقالت : « وهل تذكر أيها العزيز ماذا كان يلبس يوم لقيته ؟ أ تستطيع أن تصفه لي ، وتصف رفاقه الذين صحبوه في هذه الرحلة المشتومة ؟ وتجابث أودسيوس فقال : « مولاتي ! ليس من اليسير على شيخ كبير مثلى أن يذكر أحداث ما قبل عشرين عاماً ... بيد أنني سأحاول أن أرسم لك الظلال الضئيلة التي لا تزال تنطبع من صورته فی رأسی ... أذكر يا مولاتی أنه كان يلتفع بثوب أرجوانی موشی بالذهب ، وقد رسم فيه بالذهب أيضاً كلب صيد معروق يحمل في بر طيله ^(١) ظبياً مرقطاً . وأذكر أنني رأيت قميصه ولمسته ، فلا أذكر أنني لمست في حياتي أنعم ولا أرق ولا أثمن سوكان يسعى بين يديه مشير أكبر منه جسماً وسناً ، ذو كتفين مستديرتين و بشرة سنجابية

⁽١) عن تعلب عن ابن الأعرابي أنه فم الكلب أو شفنه ولم يدكره صاحب القاموس .

وشعر مُفَلفل … وكان أودسيوس يوقره و يسجله أكثر مماكان يبجل سائر أصحابه »

وصمت أودسيوس ، و بكت بناوب فاستخرطت في البكاء ، ثم قالت : « لشد ماكنت أرثي لك أيها الغريب المازح الجوّاب ؛ أما الآن فإنى أحترمك وأعطف عليك ، بل أحبنك ؛ تالله لقد صنعت له هذا الثوب بيدى ، وأنا التي وشيته بالذهب! وا أسفاه عليك أودسيوس! إنك لن تعود إلى يا حبيبي ا بُعُداً ليوم نزحت فيه عن وطنك إلى هدا البلد اللمين المشتوم ··· طروادة ! » وهشأودسيوس وقال: «خففي عنك يامولاتي، ولا تتلغى قلبك بطول هذا البكاء. ثم لماذا تيأسين من أو بته وقد سمعت عنه أخباراً سارة حين كنت في أبيروس ؟ لقد مات عنه كل أصحابه ، ولقد غرقت سفينته في أعماق اليم لغضب صبته الآلهة عليه ؛ بيد أنه نجا مع ذاك . وهو الآن سليم معافى يوشك أن يصل إلى إيثاكا بخير . وأنا لا أرسل ما أقول حديثاً ملفقاً ، بلأحلف عليه وأقسم بأغلظ الأيمان أنه سيصل إليكم في عامكم هذا ... بل ربما كان بينكم قبل أن يتم القمر دورة هذا الشهر !! » . فتأوهت بنلوب وقالت : « ويك أمها الضيف ! تالله إن قلبي ليكذب ما تسمع أذناي ، و إنه لا يصدق أن صاحبي عائد يوماً إلى إيثاكا … ولكن هلم … إنى سآمر وصيفاتى فيغسلن قدميك ويعطينك ثياباً وكسوة ويهيئن لك فراشاً وثيراً هنا . فإذا كان الغد فستجلس مع تلياك على مائدة الأمراء ولن يجسر أحــد منهم أن أن يكامك كلة أو أن يمد يده إليك بأذى ، وشكر لها أودسيوس

وقال: ﴿ مُولَانِي لَقَدَ اعْتَدَتَ أَنْ ٱلتَّحْفُ السَّمَاءُ إِذَا نَمْتُ ، وأَنْ أَفْتَرْشَ الغبراء ، ولن تمسني وصيفاتك ، فقد يذعرن من خشونة قدمي ... ولكن إذاكان فيهن واحدة مخلصة شربت منكؤوس الزمان مثل ما شربت من محن وآلام ، فلا بأس أن تغسل بي قدمي ، علي أن تـكمون عجوزاً حيزبوناً ١ ؟» . وسرت پناوب وقالت تجيبه : « أبداً ما علمت أحزم منك ولا أوفر ذكاء وعقلا أيها الصيف الـكرىم . لك ما سألت ، فإن عندنا خادماً أمينة طاعنة في السن كانت موكلة بمولاي أودسيوس إذ هو طفل تغسله وتسهر عليه ، وهي التي ستغسل لك قدميك ... يوريكايا ... يوريكليا ... أقبلي فاسهري على هــذا الرجل العجوز الذي له مثل سنك وتمجار يبك ... إن له سحنة كسحنة أودسيوس وسياء كسمائه ... إغسلي قدمیه وقدمی له کسوة تلیق بضیف حل ببیتنا، وکائما هاجت ذکری أودسيوس شجون المرأة فترقرق الدمم في عينيها الملوزتين وقالت : آه يا أودسيوس لشد ما ينزع فؤادى إليك و يخفق لذكراك ا تالله لمأر رجلا أخبت اللَّالهة كما أُخِبت وضحى لهـ اكما ضحى ... ومع ذاك فقد ناموا جميماً عنه فلم يتأذنوا برجوعه إلى وطنه ا ومن يدرى ؟ فقد يكون غريباً كهذا الغريب ، جواب آفاق في بلاد نائية ، ومن يدري ؟ فقد تكون نسوة تعبث به كما عبث نسوة هذا القصر بهذا الرجل ... هلم أيها الضيف الكريم ، لا أحب إلى من أن أغسل قدميك كاأمرت مولاتي ... أوه ! يا المحب؟! لماذا ينجذب إليك قلى هكذا! يا للآلهة!! أبداً ما رأيت من أضياف هذا البيت العتيق أشبه بأودسيوس منك صورة وصوتاً وخَطَرَاناً ··· » .

وتأثر الملك وأنشأ يقول: « ربما يا أماه ! لقد قال مثل ما قلت كثيرُون ممن رأوني ورأوا أودسيوس » وذهبت نور يكايا فأحضرت طَسَّا(١) به ماء وانتهز أودسيوس انشغالها عنه فابتعد عن الموقد ، لأنه ظن أن المرأة قد ترى الندوب التي بقدمية ، الباقية ثمة من عضة خنزير برى كان قد بطش به فی حداثته فتکشف ما حرص هو علیه من کتمان أمره ... بید أنها لمست النَّدَية (٢) الـكبرى في ساق سيدها إذ هي تفسلها ... وكانت الظنون قد ساورتها لمــا سمعت من صوته ، واستذكرت من صورته . فلما تحسست الندبة زاغ بصرها ، وحلقت فجأة فى وجه مولاها وسقطت يداها من غير وعى فانقلب الطس النحاسي محدثًا صوتًا مُمر نَّا مُدَويًّا ... وسال الماء … وأنحبس الدمع والمنطق في عيني العجوز ولسانها ، ثم عالجت المفاجأة السارة الحجرنة في صدرها ··· وصرخت تقول : «أنت ! هو أنت ! والله إنك لأودسيوس ... لقد عرفتك ... هذه هي النَّدية التي أحدثها الخنزير بساقك ! لقد لمستها بيدى ! » وأهرءت العجوز مذهولة نحو ينلوب اتزف إلها البشرى الهائلة ... ولكن مينرقا كانت أسبق منها ... عقد سحرت عيني يناوب وسمعها ٠٠٠ وهجل أودسيوس إلى المجوز فأطبق بكفه على فمها وقال · « يور يكليا ! أصمتى ! أنا هو ! ولــكن أصمتى ! إن كلمة واحدةً منك تقضى على إلقد غذرتني ونشأتني في حضنك صغيراً ، فهل تكونين نكبتي وشاحذة سكيني كبيراً ، و بعد أن وصلت إليكم بعد يأس وقنوط منءودتى ؟ أصمتى اغُلِّى لسانك بسلاسل وأصفاد فلست أريد أن

⁽١) الطس بالفتح والطست والطسة (١٠طشت) الذي يعسل فيه (قاموس) .

⁽٧) أثر آلجرح القديم.

يعلم أحد أننى هنا ·· و إلا ··· فتالله ان أرحمك — ولو أنك مرضعى — يوم يجد الجد! » .

وارتعدت يوريكليا، وقالت تجيبه: « أى بني ! لم تكلمني هكذا ؟ أتشك في ثباتي وحفاظي ! إطمئن يا بني ، فسأكون أصمت من الحجر الصلد ، وأستر لسرك من الحديد! » فحدجها أودسيوس وقال أصمتي إذن ، ولا تفسدى تدميرنا ، ولنتوكل جميعاً على الله! وذهبت فأحضرت ماءآخر؟ وأخذت في غسل رجليه العظيمتين ، فلما فرغت ضمختهما بأفخر الطيوب ، ووقفت تقلب عينيها في مولاها بينهاكان هو يربط لفائف على ندوب ساقيه وأخذ أودسيوس كرسيه وجلس قريباً من الموقد تلقاء ينلوب التي شرعت تحدثه وتقول: « أيها الضيف ، ما أرى بأساً في أن أسألك إذا كنت أبق هنا معولدى أو أختار أحداً من أولئك الأمراء فيكون لي بعلا ٠٠٠ على أنرؤيا رأيتها لا تزال تضطرب في خلدي ولا أعرف كيف أعبرها . ذلك أنني كنت أقتني عشرين إوزة بيضاء ، وكنت أحمها وأرعاها بنفسي ، فرأيت فيما يرى النائم نُسراً قشعا انقض علمها من الجو فافترسها جميعاً بينها كانت تأكل طعامها من المعلف الذي أعددته لها ... ولما رأى النسر شدة حزني والتياعي على أوزى ، وقف على نتوء قريب ثم أنشأ يكلمني ويقول : لا تحزني يا ابنة إيكاريوس على الأوز فإنه يمثل عشاقك الفُسّاق ··· أما أنا فأمثل زوجك النازح الذي سيعود من سفره فجأة فيبطش بالطغمة العاتية التي استباحت قصره ، وولغت كالكلاب في عرضه س ألا يا ابنة إيكاريوس اسعدى! » واستيقظت من نومى مسبوهة ونظرت إلى إوزى لأطمئن عليه فوجدته سالماً ... فهل تستطيع أن تعبر عن تلك الرؤيا أيها العزيز؟ ».

فقال أودسيوس : «أيتها السيدة الفاضلة ··· لقد فسر لك الرؤيا زوجك بلسانه ··· وهي تعنى غير ما قال ··· إنه فادم وشيكا لا ريب ··· و إنه حامل إلى العشاق مناياهم » .

واثّاقلت پنلوب ثم قالت: « أبداً … إن هي إلا أضغاث أحلام ا إذا كان غد فإني ذاهبة إليهم فذا كرة لهم شرطاً إن استطاعوه نااني أقواهم فذهبت من فورى إلى بيتى ، وتركت كل هذا القصر الذى دخلته زوجة لخير زوج ، ليكون حلماً جميلا بزخرفه لى الماضى … وذلك أنني شارطة عليهم أن يحملوا قوس أودسيوس فيصيبوا بها غرضاً يخترق السهم إليه اثنى عشر (دنجلا) (١) فإن أصابه أحدهم فإني له » . وهش أودسيوس وأيد فكرتها «الأن واحداً منهم لن يستطيع أن يوتر قوس أودسيوس قبل أن يحضر أودسيوس فيحطمهم جميعاً !! » وأشارت بنلوب إلى خدمها فأعددن الأودسيوس مُتكا وفراشاً وثيراً … وذهبت بناوب لتذرف في خدعها دموعاً من بلور .

⁽١) لم نحد في العربية — أو لم مرف — مرادفاً لمحور القرس أو العجلة ، فأجزنا هده اللفظة لشيوعها بين الصناع .

سن زرمن است ماء

طفق أودسيوس يتقلب فى فراشه على أحر من الجمر، وطفق رأسه يغلى كالقدر، بل يفور كالتنور بطائفة ثائرة صاخبة من الأفكار والوساوس، وهو لا يدرى ماذا يصنع بهذه العصبة أولى القوة من أولئك العشاق المفاليك، وهو وحده، ومهما يكن شجاعاً صنديداً فقد يتكاثر الذباب على الأسد فيقتله ...

وهبطت من السماء مينرقا اللطيفة فى صورة حسماء هيفاء ممشوقة القد بارعة القسمات ، فجعلت تواسيه وتطمئنه ، وتبشره بأن الأولمب كله من ورائه فلا بخاف ولا يأسى …

- «هذا حسن أن يكون الأولمب ، وتـ كونين أنت يار بة الحـ كمة ، من ورائى حتى أنتصر على أوائك الجبارين · · ف كيف لا أخشي أن يهب من ورائهم قبائلهم وذراريهم واللائذون بهم يثأرون لهم فيحل بى بطش شديد ؟؟ » فتقول مينرقا : « الذي يحفظك منهم غدا يحفظك من غيرهم بعد غد ، ولو جمعوا لك جحفلا أضعافا ... فلا عليك أيها العزيز · · خل عنك الوساوس إذن ... ونم مل ، جفنيك ... واترك للساء قيادك فهى حسبك · · » قالت هـ ذا وزفّت في الأثير اللانهائي إلى أولمب ، تاركة وراءها القصر العتيد بمن فيه من أنوام وغير نوام ...

مسكينة بناوب القدكانت هي الأخرى شاردة اللب ، موزعة

القلب، ما ترقأ لها عبرة ، ولا تغنى لها عين ، ولا يقر لهـ قرار .. لقد لبثت ليلها كله تتشوف إلى أودسيوس وتبكي عليه ، وتستذكر أيامه ، وترثى لهذا الفتى اليافع تلياك؟ ثم تدعو الموت كى يخمد أنفاسها، ويُوَفِّر عليها أحزانها ... ولكن المنايا نوافر لا تستجيب لدعاء أحد .. وهتَّ أودسيوس عند مطلع العجر فانطلق إلى المذبح الكبير حيت جثا متضرعاً لهفانًا ، يسبح باسم زيوس العلى ويصلى له ، ويهتف به أن يجعل له علامة يطمئن قلبه بها، وليملم أن كدير الآلهة لايزال يحميه ويكلؤه ، كما كلاً ه في شدائده في كلا البر والبحر ... وكان أودسيوس يزكي صلاته بأطهر الدموع وأحرها ، وكان سيد الأولمب يصغى لدعائه من علياء السماء ، هما إن فرغ الملك المحزون حتى أرسل زيوس فى الأرجاء زلزلة عظيمة مدوية رجِّمت أصداءها جنبات القصر الساكن ، وأحياد الجبال الشامحة ... وكانت خادم بائسة تسهر طوال ليلها عاملة في طاحونها ناصبة ، فلما وقرت في سممها الزلزلة ذعرت وروّعت ، وأزاحت طرف الستر لتنظر إلى السماء فلم تجد فيها سحانة واحدة ، بل وجدتها مشرقة بتباشير الصباح ، مضيئة بنور ربها · · فجعلت تجأر إلى الله وتقول: « زلزال وليس في الأفق سحاب !! أما والله إنه لنذير، أما والله إنها لغصبة السماء على هؤلاء المناكيد … القساة … الذين يقسرونني على هذا العناء وذاك النصب طوال الليل كأنني من حديد ٠٠٠ يا چُوف العلي ١٠٠ إن يكن ما سمعت حقاً ؛ فإبى أسألك بحق أسمائك أن يكون هذا الدقيق آخر ما يأكلون من زاد هذه الدنيا!!».

وتِبسم أودسيوس من قولها ، وتوسم فيه وفي تلبية السماء خيراً له ، وشاع في أعطافه شعور قدسي بما دنت ساعة الانتقام ... وكانت الوصيفات الأخريات يوقدن نار المدفأ في الردهة الكبرى ، بينها برز تليهاخوس من مخدعه مخترطاً سيفه ، ورمحه يختال من خلفه ، حتى إذا بلغ وصيد الباب الكبير هتف بالمرضع العجوز يوريكليا يقول: «كيف حال الغريب النازح يا أماه ؟ بودى لو أنكن عنيتن به كما ينبغي ، لأن والدتى على ما جبلت عليه من خير ولطف ، لا تهش لأمثاله من النارحين الغرباء » وقالت يوريكايا تجيبه: « يا بني لا تثريب على والدتك في هذه السبيل فقد احتسى ضيفك من الحر ملء بطنه ، حتى لقد أبى أن يذوق طعاماً بعد، وقد أبى إلا أن ينام على فراش خشنَ فى الردهة الكبرى، ولا أدرى لماذا تشبث بهذا » . وانطلق تلماك إلى المدينة يتبعه كلباه . ثم أقبل الراعى يومايوس يسوق بين يديه نلاثة خناز يركناز من أسمن قطعانه ، وما إن رأى أودسيوس — الشحاذ الفقير في حسبانه — حتى قصد إليه ، ولبث يسائله عما لقي من العشاق — فدكر له أودسيوس ماكان من وقاحتهم ... و بينا ها كذلك ، إذ أقبل الراعى السفيه ، سليط اللسان ، ميلا نتيوس وهو يحدو قطعانه وماعزه ، وطفق كدأ به يسب أودسيوس و يرسل عليه وعلى يومايوس ما نزح به فمه من شتائم ، تحرشاً بالرجل الشحاذ العقير، ولكن أودسيوس لم يحرك ساكناً ... وأقبل راع آخر يقود بقرة صفراء لاذلول ولا فارض ، يدعى فيلوتيوس ، فوقف عند زميله يومايوس يسائله عن صاحبه الفقير الشيخ ، وكا نما راعته ملامحه وحسن

سمته : « إن له سياء كسياء الملوك برغم أسماله ومزقه ! » ، ثم صافح أودسيوس وقال له : « مرحباً أمها الأب ! حفف الله عناءك ووضع عنك وزر ما تشكو . يا للسماء ! إن مرآك يفجر الدموع في عيني لأنك تذكرني بمولاي أودسيوس الذي وكل إلى رعى قطعانه وأنا بعد صغير حدث ، فكبر ت كما كبر ت، وتضاعف عددها ... ولكني وا أسفاه لا أَفَرَ حَ بِسَمْنُهَا وَوَفَرَةَ عَدْدُهَا ، بِلَ إِنْ الْحَزِنْ لِيرْزَ حَ عَلَى نَفْسَى لأَنْهِـــا تسمن فتكمون غذاء لا مباركا ولا هنيئًا لأولئك الظالمين ... ولولا رجائي في السماء ... وأملي الكبير في عودة مولاي أودسيوس لَلُذّت من بعيد بسيد آخر أخدمه ، لأن الصبر على خبائث هؤلاء العتاة الطفاة لم يعد في طوق أحد ... وا أسفاه عليك يا مولاى أين أنت اليوم ؟ ألا ليتك تعود فتبطش البطشة الكبرى بهؤلاء الجبارين ! » ··· واغتبط أودسيوس بما سمع من كلام الراعى فقال له : « لله ما أسجعك أمهـــا الصديق ! ولـكنى أبشرك وأطمئنك ، وأقسم لك أن مولاك عائد ما فى هذا شك ، وهو عائد عما قريب ، وستشهد عيناك هاتان مصارع البغاة الطغاة ! » ... و بينها هما يتحدثان إذا بالعشاق يقبلون أفواجاً ميملاً ون البهو، ويجلسون إلى وليمتهم، فيشير تليماك إلى أميه فيجلسه معهم، ويعد له مائدة ومقعداً ، ويحضر له من الشواء والخبز والشراب ما هُو حسبه ويقول له بمسمع من الجميع: « إجلس أيها السيد ولا تخش رهقاً ··· إنى أمقت أن أسمع شغبكًا اليوم ، فالبيت بيت أودسيوس وإنى لصاحبه! » وغيظ أنطونيوس فقــال : « دعوه فقد حق له أن يقول

ما يشاء ، فتالله لولا أنْ حال حُوف بيننـــا و بينه لأسكتنا إلى الأبد أنهاسه ! » وقال سفيه آخر : « طب نفساً ياتلماخوس وقرَّ عيناً ، فهاك منحة منى اصيفك ، مضغة مشتهاة ! » ثم تناول عظمة من السلة القريبة فقذف مها أودسيوس الذي انحرف عنهـا فلم تصبه ، وعندئذ قال تليماك مغاضباً : « تالله لو أصابته لأقضد تك برمحى هذا فنفذ في صدرك ، وخرج يلمع من ظهرك ، ولا نقلب العرس الذي تحلم به فحكان مناحــة تَوُّز َّ بيتك ... إنى لم أعد صبياً بعد فلا ترهبونى ! سترون كيف أستطيع أن أضع لـكل ذلك حداً بعد إذ طفح الـكيل! » وهنا هب ائيم آخر فحبذ في سخرية مقالة تلياك · · ﴿ لأن من حقه أن يحمى ضيفه ··· واكن اسمع ياتليهاخوس ... لم لا تمضى إلى آمك وقد يئست من عودة أبيك متطلب إليها أن تحضر فتختار البعل الذي تروقها من بيننا ؟ » فَتَعَمَّلَ تليماك الحكلام وقال: « هي حرة مطلقة الحرية . إنى لا أقف في طريقها ولا أقسرها على شيء!» وماكاد يفرغ حتى انفحر المناكيد يضحكون و يضجون .

ثم حدثت المعجزة!

لقد تضرجت وجوه القوم بحمرة الدم · ولقد تحركت قطع اللحم فوق الخوان فهى تقطر دماً أحركاً نه ينبثق من غلاصم قتلى ! ثم امتلاً ت عيونهم بدموع غزار حرار · · · ثم طمقت دموعهم تعلو وتهبط وتنشق عن تهدات تَصَيِّم من سويداءات القلوب · · · ثم هــــذا ثيوكليمنوس - الـكاهن الآبق - يشهد المعجزة ويرى النذير ، فينهض فيهم قائلا:

« تعساً لـ كم أيها الأبجاس لقد سيء بكم! ماذا تخبأ لـ كم المقادير يا ترى ؟ ما هذه الظلمات كا نها قطع الليل تغطش رؤوسكم وتزلزل أقدامكم ؟ وما هذه الدموع تتصبب من عيونكم فتشوى خدودكم ؟ أنظروا إن استطعتم! ما هذه الدماء التي تضرج بجدران القصر ؟ ما هذه الأشباح التي تكظ المهو الخالد ؟ إنها تتهاوى إلى عالم الفناء فويل لـ كم! ؟ أوه! وتلك آية أخري لقد كسفت الشمس فجأة وتوارت بالحجاب! الضباب الصباب! أروع الضباب ينتشر فيملا ما بين الأرض والسماء!!» .

وبالرغم مما أنذر السكاهن فقد أغرق القوم فى الضحك ، ولم يزدادوا إلا خبالا ... وقال قائلهم ، و إنه ليور يماخوس : «ما أحسب إلا أن به جِنّة ا خذوه فغلوه ثم فى السوق صلوه ، عسى أن يجد ثمت ضياء يمشى فيه ، إنه لا يجد ضياء هنا !! » .

وتلبت الكاهن فقال: «أر ربع عليك يا يور يماخوس فإن لى عينين وأذنين وإنى لأرى وأسمع … وإنى نذير لكم من بلاء يحل بكم فلا يبقى ولا يذر … أيها الأفاكون المفسدون! » وانطلق الكاهن من القصر … ولمز أحد العشاق تلياك فقال: «ألا ما أتعسك في كل من ضيّفت من ضيف يا فتى الماكان بحسبك هذا الفقير الشحاذ القذر الذي تطعمه ، ما عليه من سبيل ، حتى تجلب هذا المتفيهق الذي يدعى النبوة ويرجم بالغيب؟ ».

وصمت تلياك فلم ينبس ، وظل ينظر إلى أبيه ، ويرقب ساعة الجد .

وما رميت إذرميت . . .

وكانت بنلوب جالسة فى الحريم تسمع إلى ضجيج القوم وعجيجهم، فبدا لها أن تصع حداً لهدذا العبث العقيم الذى استمر كل هذه السنين الطوال فأمرت بعض وصيفاتها فتبعتها إلى المخبأ الذى حفظت به أذخار الملك وعتاده، والسلاح الذى فرّقت له قلوب وارتعدت فرائص وزاغت من هوله أبصار …

لله ما كان أشجاها ذكريات حافلة بأروع ضروب المجد! ها هي ذي تلك الرماح التي طالما لاعب بها أودسيوس الأسنة ، والسيوف التي طالما انتزع مها الأرواح ، والدروع السابغات التي كانت تدرأ عنه وتحميه ، وتحمظه وتفتديه ... ثم ها هي ذي تلك القوس العظيمة معلقة موق الحائط تلمع وترقص من حولها المنايا ... القوس ذات الذكر التي أهداها إلى أودسيوس أحد المجبين به ... ها هي ذي بعد هـذه السنين الطوال لم يحملها أحد غير أودسيوس ، لأن أحـداً غير أودسيوس لا يستطيع أن يثني قوس أودسيوس، وفيها الوتر المُرُد، الذي لا يلين ولا يبين ولا يَرُدُّ، إلا إذا كلمه أودسيوس !! وتناوات ينلوب كنانة السهام التي طالما قذفت المنون في قلوب الأعادي، وجلست تشرها في حجرها، وتنتقي منها، وتبكي أحر البكاء ... لأن كل سهم منهاكان يهيج في قلبها ذكريات زوجها البطل. وأشارت إلى وصيفاتها فحملن القوس العظيمة ، وحملن (الدَّناجل) ، ثم حملت هي السهام وسارت أمامهن ، وعلى وجهها ،قابها السادر الحزين ؛ حتى إذا كانت عند الأمراء هتمت بهم فصمتوا ، ثم قالت لهم وفي صوتها

نبرة الحزن ، وموسيقي الآلام : «ها هي ذي قوس أودسيوس وتلك هي سهامه أيها السادة الأسماء ، فن استطاع أن يثنيها فيرسل عنها سهما يخترق الدناجل الاثني عشر فإني له ، وهو صاحبي ... وعسى أن تبطل السهاء حجتكم اليوم · فقد طالما ذهبتم بخير هذا القصر ، وأرغتم من زاده بحجة أنكم عشاقى ، كما استبحتم أن تسموا أنفسكم ، فإليكم القوس فانظروا ماذا تصنعون » وأشارت إلى الراعى يوما يوس فتسلم القوس العظيمة ، وحملها معه زميله راعى الصأن فيلوتيوس ٠٠٠ ثم إن الراعيين لم يطيقا ذكريات سيدهما التي هاجتها فيهما القوس فذرفا دموعهما ثم استخرطا في البكاء … وانتهرها أنطونيوس فقال: « تباً لكما أيها الفلاحان القذران فيم هذا البكاء 1 ألتهيجان الشجو في فؤاد سيدتكما ؟ إنطلقا أيها المسخان فالكيا بعيداً فتالله ما أحسب بكاءكما إلا يزيد في صلابة القوس ، وتالله ما أحسب أحداً منا ببالغ منها مأرباً ... وَيْ ! من منا له بأس أودسيوس ؟! لقد كمنت طفلا ، بل كنت وليداً ، حينها رأيت رجلا ذا صولة وفتوة يهديها إلى البطل ... أجل ·· رأيت هذا بعيني هاتين · وكان في كل ما قال ساخراً ··· فقد هيأ له الغرور أنه بقليل من العناء سيثنى القوس ويرسل الشهم ويحظى ىينلوب!»

ونهض تلياك فقال إنه سيساهم فى الرماية فإذا استطاع فإنه سُيبتى أمه لديه ولا يتركها تغادر منزل أبيه أبداً ··· ثم حفر حُفَراً على خط مستقيم في كل منها دُنجلا وثبت حولها بالحجارة والتراب ··· ثم إنه تناول القوس العظيمة وألقمها السَهم ، وجمع قواه وطفق يشد ؛ وفشل مثنى

وثلاث ، وكانت القوس تشمخ عليه فلا تكاد تنثنى ، حتى إذا حاول الرابعة وأوشك أن يظفر ، أومأ إليه والده ففهم ما يريد وقال : «أوه! إنه لا يقدر على هذه القوس إلا من هو أقوى منى وأكل جسماناً وأتم بنية … فليتقدم لها من شاء منكم حتى نرى! » .

وقال أنطونيوس: إنهم جميعاً مشتركون في التجر بة حسب مقاعدهم ، حتى السكاهن فنهض هذا و يم شطر الوصيد وحمل القوس الرهيمة ، وحاول مائة مرة أن يثنها فلم يستطع ، فألقاها وقال : «أيها الرفاق … ما أحسب هذه القوس إلا موئسة للجميع … لقد أوهتني وذهبت مُذّتي ، ألا فلتحلموا بامرأة أحرى غير بناوب ، فوالله ثم والله إنها للرجل الذي كتبتها المقادير له … الذي يحضر إليها بما ليس في وسعكم من كنور ومن أذخار » .

وغضب أنطونيوس وتجهم للكاهن ثم قال: « ألا ساء ما تقول أيها الرويق! أحسبت أننا نيأس من هذه القوس لأنك لم تقدر عليها ؟ ومتى كنت رجل جلاد وجهاد؛ ومتى ثنيت قوساً أو أرسات سهماً! أربع عليك ففينا الكثيرون الذبن يستطيعونها بالقليل الأقل من الجهد » ثم أمر راعى الضأن ملانتيوس أن يحفر حفرة ويوقد فيها ناراً يجعل مها وعاء من شحم ليعالجوا به القوس عسى أن تلين قبدل أن يُدُلوا دلوهم ... فلما كان هذا أحذ الأبطال كل بدوره يعالج أن يثنى القوس ، ولكها استعصت عليهم جميعاً ، ولم يبق إلا أنطونيوس ويور يماخوس ، وها أكثر هذا الجمع قوة وأوفرهم فتوة .

ثم نهض راعي الخنازير ، يومايوس ، ونهض في إثره صديقه الراعي الآخر ، فَحَمَّا أَنْحُطَى خارج الهو لما شاهدا من يأس القوم ... وقد تبعهما أودسيوس ... فلما كانوا بعيداً قال لهما : « أمها الحبيبان ، أإذا أرسلت العناية أودسيوس في هذه اللحظة ليبطش بهؤلاء المناكيد ، أفتحار بونهم معه ، أم تحار بونه معهم ؟ » ... فرمقه فيلوتيوس وقال : « يا للسهاء ! تالله لو صحت أحلامك لرأيت كيف أفتديه منهم بنفسي ومهجتي ا وتالله لرأيت كيف يهتز سلاحي فيحصد رؤوسهم و يبعثر أشلاءهم! » وقال يومايوس مثل هذه المقالة ... ولما وثق من إخلاصهما كشف لها عن حقيقته فقال : « إذن فاعلمــــا أنى أنا أودسيوس ، وهذه هي الندوب التي أحــــدثها الخنزير في ساقى ، وقد أبت إلى وطني فجـأة فلقيتكما أول من لقيت ، وأكرمت مثواى يا يومايوس وأنت لا تعرفني ، ولم أشأ أن أبدو للقوم حتى أعرف عدوى من صديقي » ولم يكد يفرغ من قوله حتى انحني الرجلان يشهدان الندوب ، فلما استيقناها ، ذهلاعن نفسيهما ، وجثوا عند قدمي مولاها ، وطفقا يقبلانهما و يغسلانهما بدموعهما ، ثم نهصا فألقيا سلاحهما عليه ؛ بيد أنه أسها أن يصمما حتى لا يفضح أمرهم أحد ··· وقال لهما : « لا بد أن نعود أدراجنا إلى الهو ، وسأ نطلق أنا قبلكما ، وسأطلب منك يايومايوس أن تعطيني القوس لأقوم بنصيبي فى التجربة ، وسيرفض القوم أن أفعل ، ولـكنك يجب ألا تبالى، بل تناواني القوس ، ثم تسرع بعد هذا إلى الحريم فتخبر النساء فيه ألا يذعرن إذا سممن ضجة أو عويلا في البهو ، أو شهدن حربا وقتالا … أما نت

يا فيلوتيوس فتسرع إلى باب البهو فتوصده وتحكم إغلاقه حتى لا يفلت منهم أحد أبداً». ثم مضى فجلس مكانه لدى الباب، و تبعه الراعيان ... وفي هذا الوقت كان يور يماخوس يحاول محاولته ، وكان من وقت إلى آخر يذهب بالقوس العظيمة فيعرضها للنار عسى أن يسهل عليه ثنيها ، لكن القوس أبت مع ذاك أن تلين ، فلما بلغ من يور يماخوس الجهد ألتي بها يأساً وقال :

« تباً لها من قوس عنيدة ، والعار الأبدى لنا جميعاً يا رفاق ! ما لنا ولهذا ؟ إن في إيثاكا حساناً ، وإن فهن أزواجاً يُر باً أبكاراً لمن يشاء ! أوه ! يا للخزى ! أواه لو لم تقل الأجيال المقبلة إنناكنا دون أودسيوس قوة وأقل منه فتوة حين عجزنا أن نثني قوسه !! ياللخزى ... يا للخزي ! ٣ ورُوّع أنطونيوس! وذهل عن أمره، ولم يشأ أن يخزى نفسه بأن يحاول كما حاول غيره ... فوقف فقال : « ما أحسب القوس عنيدة ولا مستعصية كما تزعمون ... وا_كمن اليوم يوم عيد أ يولو رب القوس العظيم ، فأنى لنا أن نحمل قوساً اليوم! دعوها ، واتركوا الأهداف مكانها ، فلن يجسر أحد أن يدخل بهو أودسيوس فيمضي بها، وفى بكرة الغد يحضر ميلانتيوس من قطعانه عنزات سماناً فنضحى بها لأبوللو ، نهم نتم محاولتنا» ولـكن أودسيوس هب من مجلسه فقال : « يا سادة ! ما دمتم ان تحاولوا الرماية اليوم فأرجو أن تدفعوا إلى هذه القوس لأجرب أنا أيضًا ، ولأرى هل لا نزال بقية من مُنَّة الشباب مخبوءة في أعصابي ! أم أنها.

ذهبت بها جميعاً متاعب الحياة وكثرة التجوال في أطراف الدنيا ··· » وجن جنون القوم لما قال أودسيوس هذا ، وعجبوا كيف يجسر شحاذ فقير مثله أن يطلب أن يشارك السادات في مباراتهم ... ومن يدرى ؟ لعلهم ذعروا أن ينجح هذا الفقير فما فشلوا هم فيه ... قال أنطوبيوس : « أخزن عليك لسانك أيها السليط الوقح! ألا يكفيك أن يسمح لك بوجودك بين هؤلاء السادة الأخيار من أقيال البـلاد حتى تطلب أن تباريهم ! » وكانت بناوب تطلع فلم تحتمل أن يؤذى ضيف ولدها هكذا ، فقالت : «أنطونيوس ، أبي لك أن تؤذى تلماك في ضيفه ؟ بل يسغى أن يحاول الرجل كما حاولتم ، فأما أنك تخشى أن يظفر ميا فشلتم فيه ... فلا ضير ... إنه لا جرم ليس يحلم مثلكم بأن أكون زوجة له ، فليفر خ روءك إذن ، ولتطمئنوا جميعاً » وقال يو ر يماخوس : «يا ابنة إيكار يوس ما دار بمخلدنا قط أن تلكوني زوجة له إذا ظفر ، ولـكنا خشينا أن يفضحنا في الناس فيقول: « عجباً لسادات إيثاكا وما حولها ؟ يطمعون أن يتزوج أحدهم امرأة البطل العظيم أودسيوس ثم لا يستطيعون رمى سهم عن قوسه ، ويأتى رجل شحاذ فقير فيثنى القوس ويرمى السهم وهم مع هذا لا يستحيون! » هذا ما خفنا أن يكون يا ابنة إيكاروس وهذا ما خشينا أن يذهب بشرفنا! » فقالت بناوب: « لتطمئن يا يور يماخوس فليس فى مثل هذا يضيع شرفكم ... ولكن الرجل ذو جسم طوال ومظهر جبار ، وقد ذكر آباءً فعُلم أنه كريم العنصر طيب الأرومة

عريق المحتد ، فلم لا يعطى القوس لنرى ما يكون ؟ وإنه وإذا ظهر فسأحلم هليه وأدفعه سلاحاً وأرسله أنى شاء! » . ثم نهض تلياك فقال : « أماه! إن القوس قوسى وإنى لصاحبها ، أعطيها لمن أشاء وأصونها عَمَّن أشاء ، ولن ينازعنى حتى أحد من العالمين ، ولو شئت لأعطيتها الرجل فتركون حقاً خالصاً له ، وما سمحت لأحد أن يمنعنى ... تفضلي أمت فغلق غليك أبواب الحريم، وانظرى في أعمال البيت، وصرفى شئون الحدم، وخذى في غزلك ونسجك ، وسننظر نحن في أمر القوس ، وسأرى أما لمن تكون في غزلك ونسجك ، وسننظر نحن في أمر القوس ، وسأرى أما لمن تكون النوبة ، فإنى هنا سيد لا مسود! » ... وشدهت بنلوب قليلاً ، إلا أنها عرف أن ابنها قال حقاً ، فانسحبت ، وغلقت عليها أبوابها ، وانطرحت في فراشها حيث وافتها مينرقا فسكبت في عينيها غفوة هادئة لذيذة ، فاستسلمت لسبات عيق .

وتقدم يومايوس فحمل القوس وأوسك أن يذهب بها إلى أودسيوس لحكن الأسراء زأروا مغاضبين ، فغشى الراعى ، وألتى القوس ثانية ، فصاح به تلياك : « هات القوس هذا أيها الرعديد ، لشد ماأود أن أخلص منك ومن هؤلاء السادة الذين ترهبهم … ! » وسخر الأمراء وضجوا ضاحكين … ولكن الراعى تقدم إلى القوس فاحتملها ، وذهب بها قدما إلى مولاه … وانطلق بعد هذا إلى الداخل فنادى المرضع يو ريكليا وقال لها : « إن مولاى يأمرك أن تغلق جميع الأبواب ، ويقول لك إنه إذا سمع النساء ضجة في البهو أو قتالا فليجلسن حيث هن

ولا ينزعجن ، وليأخذن في عملهن ، أتسمعين ؟ » .

وغلقت المرصَع الأبواب و بلغت رسالة مولاها ··· ثم هم فيلوتيوس فغلق باب البهو وأحكم إقفاله ور بطه يبسَلب (١) طو يل كان لسفينة وألقى لدى الباب ؛ وعاد فجلس مكانه وعيناه لا تريمان عن مولاه ···

وتناول أودسيوس القوس فجعل يفحصها ويبحث فى أجزائها ، مخافة أن يكون السوس قد نخرها إذ هو ناء عن بلاده ··· وزاغت أبصار القوم ، وجعلوا يبرقون فى الشحاذ الفقير ويقولون : « الهيلوف في الزنيم ! إن له لمينا فاحصة كأن لها عهدا بالرماية ؛ و إنه ليبحث القوس كأنه يقتنى أمثالها! » ثم قبض أودسيوس على القوس ، وشد طرفها فى سهولة وفى يسر ، كما يشد الموسيقى وترا من أوتار قيثاره ، ونظر إلى الأهداف المتراصة أمامه ، وأرسل سهما اخترقها جميعا ، وسمع له صوت كسقسقة العصافير ··· يا عجبا !! لقد أراش أودسيوس السهم ، وأرسل زيوس العلى زلزلة ورعداً مدوياً وثب له فؤاد البطل ، وطارت منه ألوان القوم ، وانقذف الرعب فى قلوبهم ···

ثم أحذ أود سيوس سهما آخر فثبته ، ثم أراشه فاخترق الأهداف مرة أخرى ...

قال أودسيوس : « تلياخوس أيها العزيز ! إن ضيعك لم يخيّب

⁽١) في القاموس السلب لحاء شجر بالبمن تعمل منه الحبال وتحسب أن منه إطلاق السلب في الحبال العليظة في مصر فلم نر بأساً من استعماله بهذا المعنى .

⁽٢) الهلوف بتشديد اللام وزان وردوس الثقيل الجانى البطين ونحسب أن منه نحت المصريون كلة هلفوت وقد استعملناها لظرفها ومناسبتها كثيراً للمقام

رجاءك ولا أضاع عشمك (١) ، ولقد أصبت الأهداف كلها على حداثة عهد بالرماية ... والآن ، هلم ... إن النهار يوشك أن يولج ، و إنه لينبغى أن نعد وليمة المساء للسادة الأمراء ، ولن يعدموا بعدها ما دأ بوا عليه من رقص وعن ، وقصف وغناء ... ! »

وهم تلياك فألقى حمائل سيفه على كاهله، وتناول رمحه العظيم ... وسنرى!

⁽١) في القاموس العشم الطمع .

الانتفت الهتانل

وألقى أودسيوس أساله ، واطرح منقه ، و مرز للملا أودسيوس القوى الحديدي الجبار ، وتناول كنانة الأسهم التي تُهَمَمهم فها المنايا وتعمغم ، والقوس العتيدة العنيدة ، ووقف عند الوصيد حتى لا يفر أحد من أعدائه فينجو من الموت الذي هو ملاقيه ، ثم نثر الكنانة عند قدميه وهتف بالمشاق يقول : « وهكدا يا سادة تتم فصول المأساة ، وهكذا أيصاً تنتهي المباراة التي لم يفز فيها واحد منكم ... والآن ... أنظروا … إنى لن أسدد سهامي إلى هذه الأهداف بعد ، بل إني مسددها إلى غرض آخر ... » وشد الوتر المُرُدّ ، وأرسل إلى حلقوم أنطؤنيوس سهماً مراشاً عجل به إلى هيدز . وكان العلج يوشك أن يحتسى كأســـاً ذهبية من أعتق الخر ، فسقطت الكأس من يده الذاهلة ، وسقط هو يتشحط في دمه ، و يلفظ أنفاسه . وذعر الآخرون حينها رأوا أخاهم يسقط إلى الأرضَرمة لا نفَس فيها ولا حراك، فهاجوا وماجوا، وهبوايبحثون عن أسلجتهم ... ولكن ، هيهات ! لقد أخفاها أودسيوس وولده ليلة أمس ··· فأبى لهم بها !! وصاحوا بأودسيوس : «أيها المجنون لقد أخطأت المرمى! ماذا أصابك؟ إنك تسدد إلينا؟ لقد قتلت أنبل شباب إيثاكا، ثـكلتك أمك ! أبداً لن تحمل بعد هذه قوساً أبداً .

والكشف الستر، وعاد إلى الشحاذ الفقير عنفوانه، وانقذفت من

فمه المحمّم فقال: « أيها الكلاب! فال(١) ما زعمّم أن أودسيوس لن يتوب! هأنذا أيها العبيد! لقد استبحتم حمى بيتى وأذللتم قدسه الحرام، وأوضعتم في الفتنة فاعتديتم على نسائى، ولم تبالوا أن تتعشقوا زوجى، بينا رجلها حى يسعى على قدميه، غير عابئين بمن يطّلع عليكم في السماء وهو بكم محيط، ولا مبالين بما تصح به الرفات الكريمة في ثرى هذه الأرض من فعالكم، فويل لكم، لقد حان حينكم!!».

وارتعدت فرائص الكلاب كما دعاهم أودسيوس، وطارت حمرة الخر من خدودهم ، ووقف يو ريماخوس متخاذلا وهو يقول : « إن كنت حقاً ملكنا أودسيوس فكلنا نعتذر عما ارتكبناه من الإثم في بيتك. ولقد تكلمت فقلت الحق كل الحق ، ولكنك قد أرديت أنطونيوس الذي دعانا إلى كل ذلك والذي كان يطمح أن يتربع على عرشك و يملك كما ملكت ، فاعف عنا واصفح عن خطايانا ، فنحن بالرغم من كل ما حصل شعبك الأمين ، ورعاياك الأوفياء الأولياء .. على أننا سنعوضك مما استبحنا مالاً بمال وعتاداً بعتاد » . فقال أودسيوس : « يور يماخوس أيها النذل! إنكم مهما ملا تهم يدى بالذهب فلن تشفوا حَرَدى وان تُنذُهبوا غلتي حتى أنتقم منكم جميماً لما صدر عنكم من إفك ، وما ارتكستم من أوزار! فاختاروا لكم ! الحربَ التي جدت بكم فجدوا بهـا ، والقتالَ الذي لا محيص منه ولا محيد عنه ، أو ··· فالفرار الفرار ... ولن تجدوا إلى الفرار سبيلا ... » وزُلزل الجميع زلزالا شديداً ،

وجفت ألسنتهم في حلوقهم فما عرفوا ماذا يحـيرون ، ثم هتف فيهم يور يماخوس فجأة يقول: « أيها الإخوان ، لقد تحجر قلب هذا الرجل فلن يعرف سبيلا إلى الرحمة ، وها قد قبص على القوس بكلتا يديه ، ووقف عند الوصيد يذودنا عن الباب ، ولن يفلت أحد منا من سهامه قط ، بل إنه سيقنصنا واحداً بعد واحد ... ولا أرى إلا أن تمزعوا إلى سيوفكم فتخترطوها ، و إلى المناضد متدّرعوا بها ، ثم نهجم عليه كرجل واحد عـى أن نزحزحه عن الباب فننجو بأنفسنا ونلوذ بالفرار فإذا بلغنا المدينة فإننا سالمون ! » ثم فرغ من صيحته واستل سيفه ، وهجم على أودسيوس مرعداً مزمجراً ، ولـكن أودسيوس أصماه بسهم في صدره فصرعه ، وخر اللئيم يعــالج سكرة الموت ، وانتشرت ضبابة الفناء الأبدى على وجهه المقبوح فأطبقت عينيه … وهنا … هاج الأمير أمفينوم وماج وهجم على أودسيوس بسيفه الذي تقطر من حده المنايا ٠٠ وكاد اللئيم ينال مر. خصمه مفالا لولا أن قفز تلياك برمحه العظيم فأغمده فى صدره ورده عن أبيه وعاد مكانه دون أن ينتزع الرمح مخافة أن يتكاثر عليه الأعداء . وقال تليماك لأبيه : « أبتاه ! إنه يجب أن نستعد بسلاح أكثر ··· و إنى ذاهب فمحضر ما نحتاج إليه وعائد بهرعة البرق » فقال أبوه وهو يفصد القوم بسهامه : « هلم يا ولدى وهات ما استطعت ، فلشد ما أخشى أن تفرغ هذه السهام فلا أستطيع أن أدفعهم عن الباب ··· » وانطلق تليماك إلى غرفة السندلاح ؛ وأحضر ما مست إليه الحاجة من رماح وسيوف وخوذات ، وادّرع بمـا هو حسبه منها ، ثم ألبس الراعيين الأمينين

درعين سابغتين (١) وزودها بسيفين بتّارين ، ووقف الثلاثة إلى جنب البطل العظيم يمنعون تكاثر العشاق عليه ، بينا هو يرسبل سهامه فتخترقهم وتستأصل شأفتهم واحداً فواحداً ، حتى إذا فرغت سهامه وقف الأبطال الثلاثة يذودون من دون الباب حتى لبس أودسيوس دروعه ووضع على رأسه خوذته ، وأخذ رمحين عظيمين في كلتا يديه ، وعاد إلى كفاحه ، وكانت في الجانب الآخر من البهو بوابة صغيرة لم يفطن العشاق إليها ، فأرسل أودسيوس راعى الخناز ير ليحرسها وليحول بين العشاق و بينها ... وضاقت الدنيا حتى غدت ككفة الحابل في أعين القوم ، وتجهمت لهم حتى غدت كالليل الهيم ألتى غواشيه فوق رؤوسهم ، وناء بكلك كله على صدروهم ... فقال قائلهم : « ألا يستطيع أحد أن عرق من البوابة فيصيح بأهلنا و يستنجده لنا ؟ » .

فانبری له میلانتیوس (۲) یجیبه: « هذا عبث لن یکون وراءه طائل فإن رجلا واحداً یستطیع أن یقفنا جمیعاً لو فعلنا ، دون أن نبلغ الباب سبل لدی فکرة سانی أعرف أین خبأ أودسیوس وابنه أسلحتنا ، وسأنطلق فأحضر لکم منها مایقیکم منهما سه شم تعلق بحبال مدلاة من کو ق فی السقف و تسلق علیها حتی نفذ ثمت ، وانطلق إلی غرفة السلاح فأحضرا ثنتی عشرة درعاً ورماحاً کثیرة وخوذات ، وظل یلتی بها من الکوة فیتلقاها رفاقه و یدرعون بها سه ولوکان مع أودسیوس سهم واحد پرسله إلی هذا العلج قبل أن یتعلق بالحبال لما استطاع أن محضر واحد پرسله إلی هذا العلج قبل أن یتعلق بالحبال لما استطاع أن محضر

⁽١) صافيتين .

⁽٢) هو الراعى الحائن الدى أصبح ضلعه مع العشاق صد مولاه أودسيوس .

هذه العُدد . قال أودسيوس : « أي بني لقد خاننا بعضهم ودل القوم على غرفة السلاح ، فانظر كيف يتضاعف عناؤنا ويزيد بلاؤنا » فقال تليماك: «كلايا أبتاه ، إنه لم يخنا أحد ، والذنب ذنبي ، فقد تركت باب الغرفة دون أن أوصده … يومايوس! إنطلق فغلِّق باب غرفة السلاح وأحضر مفتاحها ؛ وانظر هل خاننا أحد ، أو أن هذا من فعل ميلانتيوس كما أَحْدِس ! » وانطلق يومايوس فرأى ميلانتيوس ذاهباً إلى غرفة السلاح ليحضر أعد داً أُخَرَ ورماحاً ، فقال الراعى : « ها هو ميلانتيوس الوغد منطلق إلى الغرفة كما حدس مولاى » وهتف بتلماك: « ها هو ذا! هاهوذا ! هل أحضره حيًّا ليلقي حزءاه أم أقتله حيث هو ؟ » فقال أودسيوس : « بل اذهب أنت وأخوك الراعى فشدا وثاقه واحبساه في الغرفة حتى يلقي جزاءه ، وسأبقي أنا وتلماك لنذود دون الباب » . انطلق الراعيان فوقف كل منهما خلف مصراع من باب الغـرقة حتى إذا برز ميلانتيوس انقضا عليه وكبلاه ودفعاه داخل الغرفة ، ثم ربطاه في عمود هناك ، وقال له يومايوس « إهنأ يا صاح وارقد هنا إلى الصباح، وأكبر ظني أن الشمس لا تشرق عليك إلا وروحك في عالم الظلال والأشباح، فلا تراك قطعانك بعد اليوم » وأغلقا الباب وعادا أدراجهما إلى مولاها وولده ، ووقف الأربعة يناضـــاون جحفلا بأكله . ثم بدت مينرفا الحكيمة في زى منطور وطيلسانه فعرفها أودسيوس وفرح بها قلبه ، وهتف بها قائلا: « مِنطورأيها العزيز، معونتك وتأييدك، فنحن صديقان منذ القدم! » وهتف العشاق ينادون: « احــذر يا مِنطور وإلا فتلقى

حتفك بعد أن نظفر بهذا الوغد . ولحظت مينرفا ذعر أودسيوس مما رأى من تسلح القوم فقالت تؤنبه وتحثه : ما هذا التقاعس عن الحلبة يا أودسيوس ؟ هل فقدت شجاعتك وعنفوانك ؟ إنك ما أحجمت مثل ما تحجم اليوم طوال عشر سنوات حاربتها في طروادة من أجل هيلين فهل يشق عليك أن تلقي هذه الحفنة من عشاق ينلوب في بيتك ، بل في عقر دارك ؟ هلم ! قف إلى جانبي وانظر إذا كان منطور قد عق الصداقة القديمة ! » .

وحاربت معه ساعة ، ولـكنها تركته ليعمل للنصر بمفسرده ، وانسحرت فكانت عصفوراً من عصافير الجنة جعل برف و يرف في سماء البهو ؛ حتى وقف على إحدى حشباته … وفرح العشاق لِمَا رأوا من مفارقة منظور ، وعادت إليهم بعض شجاعتهم لمّا رأوا المحاربين الأربعة يقفون وحدهم في مدخل الباب الكبير …

وقال أحدهم يخاطب الباقين: هاموا فليقذف ستة رماحهم قذفة واحدة إلى صهدر أودسيوس ، فإنه إن سقط استرحنا منه ، فان نلقي عناء من الباقين ، ولباه أصحابه ، فقذفوا برماحهم في صدر أودسيوس ، ولكن ... هيهات ... إن واحداً منهم لم يصب غرضاً من الصدر العظيم ... وهنا ... هتف أودسيوس برفاقه ، فانقض الأربعة على أربعة من المهاجمين فعلوا في صدورهم رماحهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم ، فقتل كل خعلوا في صدورهم رماحهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم ، فقتل كل مهاجمه ... وروع الآخرون فارتدوا على أعقابهم ، وانزووا في الركن مهاجمه من البهو ، وبهذا استطاع أودسيوس ورفاقه انتزاع الرماح من السحيق من البهو ، وبهذا استطاع أودسيوس ورفاقه انتزاع الرماح من

صدور المقتولين … ولم يهتم الراعيان عما أصابهما من جراح بالغة ، بل وقفا يناضلان ويفديان سيديهما ... ولما رأت مينرڤا ما يلقي الحجار بون الأر بعة من تكاثر الأعداء ، رفّت في الهواء ، ثم كشفت عن درعُها الهائلة التي تعجلب الموت إلى كل من يراها ، ووضعت خوذتها الرائعة ثم انبرت للقوم ، وهجم المحار بون الأربعــة يطاردون الأعداء ، والأعداء بجرون من لهمنا وههنا مذعورين ذاهلين مما رأوا من درع مينرفا ... وجعل أودسيوس ورفاقه يصطلمونهم أربعة بعــد أربعة ٠٠٠ حتى لم يبق إلا المنشد المسكين ١ فيميوس ، اللذي قَسَره العشاق على الإنشاد لهم ، وتطريبهم تطريباً لم يؤثره ، ولم يؤجر عليه ... لقد فزع المنشد المسكين من هول المجزرة ... وانطرح تحت قدمي أودسيوس يقول: «مولاي! أودسيوس العظيم! ارحمني واعْفِني فقد قهرني القوم على ما رأيت! اصفح عن المنشد البائس الذي يدخل السرور على أفئدة الآلهة ، ويذهب الحزن عن قلوب الناس!» وهنف تليماك بأبيه يقول : « إصفح عنه يا أبى ، فإنه لا تثر يب عليه ولا لوم … وهلم ننقذ المنادى إن كان لا يزال به رمق ، فلقد كان يعنى بى إذ أنا صىفى المهد!» وكان المنادى قد فزع مما رأى ، وخبأ نفسه تحت مقعد كبير، ثم طرح عليه جلد ثور، فلما سمع تلياك يقول لأبيه هذا القول، برز من مكمنه ، وتعلق برجلي تليماك ، وأنشأ يتوسل ويتضرع ، ويبكي ويتصدع . فقال له أودسيوس : « لا تجزع أيها الرجل ؟ ملقد أنقذك ولدى كما أنقذ المنشد … اذهبا فانتظرا في الرحبة ، فعندى ما يشغلني عنكما الآن … وانطلق الرجلان وهما لا يُصدقان أنهما مُجُوًّا ، وجلسا عند المذبح

ينتظران قتلتهما في كل لحظة ٠٠٠ ثم مضى أودسيوس يبحث في الهو وتحت المناضد عمن يكون به رمق من الحياة فيجهز عليه ، بيد أنهم خروا جميعاً مضرجين بدمائهم في اللتراب ، وقد تكبكبوا موق بعضهم كالسمك فوق الساحل يقذف به الصياد في يوم صائف ... ثم قال لابنه أن يدعو المرضع العجوز يور يكايا ، فأقبلت ورأت أودسيوس واقفاً كالمارد بين القتلي وقد لطخت الدماءيديه ورجليهوصدره، فكادتالمرأة تجن من الفرح لهذا النصر المبين الحاسم، وأوشكت أن تصيح وتزغره ، لولا أن ردعها أودسيوس عن ذلك: أيتها المرضع العجوز آكتمي فرحتك ، فإنه ينبغي ألا تـكون شمانة فوق جثث القتلي ، وألا يكون صياح ، لأنها إرادة السماء قد نفذت فيهم بما أسرفوا من قبل وكانوا من المفسدين ! ، ثم أمر بالجثث أن تحمل خارج القصر، وبالدماء أن تفسل، فتم ذلك فى أقصر وقت، والتفت إلى المرضع يحدثها ويقول : « أرأيت ؟ اذهبي الآن فأحضري ناراً وكبريتاً كيما نطهر الحجرة ، ثم أخبرى بنلوب أن تلقاني ههنا! » . فقالت العجوز « سمماً وطاعة لك يا بني ! سأفعل ما أمرت ولـكني سأحضر لك ثوباً تلبسه قبل كل شيء فإنه لا ينبغي أن تظل واقفاً هكذا في أسمالك هذه » بيد أن أودسيوس أمرها أن تفعل ما أخبرها من فورها، فانطلقت العجوز، وعادت بالنار والكبريت، وأخذ أودسيوس في تطهير البهو الـكبير.

بنلوب ... وأخيراً ... بنلوب !

وهروات المرضع العجوز فصعدت إلى الطابق العلوى، حيث كانت سيدتها

المحزونة تتقلب على فراش الهموم والأحزان فهتفت بها وهى تضحك ، وتكاد تجن من الفرح: «هلمى يا بنيّتى فاشهدى بعينيك كيف حققت الآلهة أحلامك واستجابت لصلواتك سهلمى سهلمى من لقد عاد أودسيوس و بطش البطشة الكبرى بأعدائه فقتلهم عن بكرة أبيهم بعد ماكان من خباثاتهم ، و بعد ما استباحوا من حرماته وما أراغوا من خيره وهزئوا بولده سه إنهضى!».

ولم تصدقها پناوپ ، وقالت مستهزئة بها : « لشد ما عدوت طورك وغبت عن صوابك أيتها المرضع العزيزة حين توقظينني بمثل هــذا العبث وذاك الحديث الملفق! لقد حرمتني من غفوة يا لها من غفوة لم تكتحل عيناى بأهدأ منها ولا أروح منذ أن فارقنا أودسيوس إلى الأرض المشئومة … تالله لوحصل مثل هــذا ممن هن دونك سناً ومنزلة من الخدم لكان لى معهن شأن آخر . . والحن . . لا عليك يا يور يكليا . . » فتبسمت المرضع ثم قالت: « وَى ا تالله إنه للحق، ولا مرية فما أقول ··· إنه هو الشحاذ الفقير الذي كلك ، والذي عبث به القوم وقد كان يعرف تلماك كل ذلك ، ولـ كمنه جعله سراً بينه و بين أبيه حتى يثأر من الأمراء و يستأصل شأفتهم!» فوثبت ىنلوب من سريرها مسبوهة ذاهلة، وطوقت بذراعيها عنق يور بكليا ، وأنشأت تقول : « خبريني بالله عليك أيتها العزيزة .. خبريني بالله عليك . . إذا كان ما تقولين حقاً فأنَّى لأودسيوس أن يلقي وحده كل هؤلاء؟ وأني لواحد أن يهزم فيلقاً من مائة أو يزيدون ؟> فقالت المرضع : « لعمرك ما رأيت كيف حدث هذا الأمر ، ولكني سمعت

بأذني هاتين أنين القتلي ... لقد كنا جميعاً جالسات داخل القصر، وفرائصنا ترتعد من العَرَق ، وكانت النوافذ كلها مغلقة بأمر سيدى ، حتى أقبل تلماك فدعانا إلى البهو، حيث رأينا أودسيوس واقفاً بين الرمم، وهو الآن يطهر البهو من أدرانهم بالنمار والمكبريت ؛ والمدفأ يتأجج بلظي كالجحيم ، ولقد أرسلني لأدعوك إليه حتى يفرح بك ، ويطمئن قلمك ، بعد طول العذاب ، وكانت العجوز تتكلم وهي ما تنقطع عن الضحك والمرح ، فقالت لهـ ا پناوب : « أيتها المرضع العزيزة لا يقتلك الفرح والصخب .. تالله إنه لن يفرح بأودسيوس اليوم أحدكما أفرح به أنا وولدى تليماك ٠٠ هذا إن كان ما قلت حقاً ... على أنني لا أصدق ... لا جرم إنه إله كريم أقبل لينتقم لنا من هؤلاء المراسد جزاء ما أنزلوا بنا من هوان فأبادهم جميعاً ... أَمَا أُودسيوس فلا القد قضي أودسيوس وقفي أودسيوس إلى الأبد!» فقالت يور يكليا: ﴿ أَلَا تَزَالَينَ عَيْرِ مُصَدَّقَةً يَا طَفَلَتَي ﴿ ! ﴾ العزيزة؟ ألا فاسمعي ! هاك دليلا آخر ؛ بينها كنت أغسل قدمي الرجل الفقير اللاحيء تحسست يداى نَدَ به أَ في ساقه ذكرتني بالندوب التي أحدثها الخنز يرالبرى فى ساقى سيدى أودسيوس ، فلمآكشفت عنها تبينتها ، وتأكدت أنه هو ، وأردت أن أصيح بك لأخبرك ، وأزف إليك البشرى . لـكنه أطبق يده على في فلم أستطع أن أنبس ... تعالى ! هلمي معى الآن وانظرى بعينيك لترى إن كنت كاذبة ، تعالى جعلت فداك 1 » وانطلقتا مماً ، وأطافت الذكريات برأس يناوب ، ولم تدر ماذا عساها فاعلة إذا كان ما أنبأت به المرضع حقاً … فلما دخلتا البهو جلست بناوب على مقعد كبير

قريب من المدفأة ، ثم طفقت تحدق بصرها فى أودسيوس ، وكان جالسا وظهره إلى عمود من عماد البهو ، وعيناه تبحثان فى الأرض ، وكانه كان ينتظر أن تتكلم بنلوب قبل أن يفوه هو بكلمة ... بيد أنها لم تنبس ، بل كانت خاهلة شاردة ، تنظر إليه مرة فتوشك أن تعرف فيه بعلها الحبيب ولكنها كانت إذا نظرت إلى من قه وخرقه ، والأثمال التى لا تستر بعض جسمه الهائل عجبت ، وتولاها الدهش ، وانعقد لسانها فما يكاد يبين .

وقال تلماك آخر الأمر : «أماه ! اشد ما تحجّر قلبك وغلظت كبدك ! لم لا تنهضين فتعالق أبى ! ! أية زوجة ينحبس لسانها كما انحبس لسانك ، ثما تكلم زوجها الذي آب من سفر سنين كلها أشجان وكلها أحزان ، وكلها آلام متصلة ومتاعب تنوء بحملها الجبال! » فقالت أمه تجيبه : « تالله يا بني لقد ذهلت عن نفسي و إنى افي تيه ٍ فما أكاد أبين ... ولـكن إذا كان حقاً أودسيوس ، فإن لنـا علامات هي سر ذات بيننا ، ولا يعرفها أحد سوانا » فتبسم أودسيوس وقال : « لاعليك يا بني ! دعها فستستبين حقيقتي حين أخلع هـذه الأسمال » ثم انتحى وولده ناحية ، وأسر إليه أنهما ينبغي أن يتهيآ لما عسى أن يكون من تألب الإيثاكيين عليهما وشغمهم لماكان من قتل ساداتهم ، وما يتوقع من قيامهم بثورة عامة لا ترقى ولا تذر للانتقام من القاتل ... وذكر أودسيوس أيهما يجب أن يقيما في البهو فيأخذا متل ماكان العشاق يأخذون فيه من قصف وعبث ومجانة ...

وحسِب المارة أن يناوب قد اختارت بعلها من بين الأمراء ٠٠٠ ﴿ فَهَى لم تعد

تطيق الوحدة ، ولا تحتمل الترمُّل، ولا تقوى على حياة الآمال الكواذب التي تجرعت عُصصها مدىء شرين عاماً» أما أودسيوس فقد مضى فاستحم وتضمخ بأحسن الطيوب، وأضفى عليه من كل سابرى وفَو في موشي ، ثم تنزلت مينرفا فنعخت فيه من روح الشباب ، وسكبت في عروقه من دماء الفتوة ، ومسحت بيديها الكريمتين على وجهه المجمد ذى الأسارير، فأشرق وتا لق، وهدلت شعره على كتفيه غدائر فاحمة كقطع من الليل البهيم . ثم إنه انطلق إلى الهو فجلس تلقاء ينلوب وأنشأ يقول: أيتها الزوجة للعجبة ! أما والله لقد ركّبت الآلهة بين جنبيك قلباً ليس كقلوب النساء ... وأى امرأة تنتبذ من زوجها مكاناً قصياً كما تنتبذين يا يناوب ... بعد إذ عاد إليك من تجوال عشرين سنة كلهن قلاقل وأهوال ... يوريكليا! هلمي فامهدى لى فراشاً بيديك الضعيفتين ، ما دام الحديد البارد الذى خلق منه قلمها لا يلين ! » ومع كل هـــذا فقد كان الريب يربن على فؤاد پناوب ، فقالت تختبره : « مولای ! إنى وأيم الحق لا معجبة ولا بى خيلاء ، ولسكني أذكر أحسن الذكركيف كنت يوم همت بك سفينتك الجبارة. إلى طروادة ... يو ريكليا! إذهبي أيتها المرضع فأحضرى سرير زواجنا من المخدع ، واجعلى عليه الوسائد والحسبانات ليستر يح عليه مولاك كا أمرك » وعجب أودسوس لمنا تكلمت به زوجته ، فقال : « إنك يا زوجتي تمزقين نياط قلبي عما تقولين ! أنَّى لأحد مَّا من العالمين أن يحرك سريرى بله أن يحمله ، إِن لم تـكونى قد أطلعته على سره ؟ لقــد صنعت مخدعى واتخذت سريرى فى جذع الزيتونة الهائلة ... فهل لا يزال سريرى فى

موضعه ثمت ، أم أن أحداً قطع الجذع العتيد واحتمل السرير إلى مكان بعيد ؟ » وهنا ، مادت الدنيا برأس يناوب ، وتَأْكُدت أن الرجل زوجها من غير شك ، فخفق قلمها خمقاناً شديداً ، وانطلقت تعدو نحوه ، ثم طرقت عنقه بذراعيها ، وراحت تبكى وتنتحب ، وتقول له : « لاتنقم على إداً يا أودسيوس ، ولا يحزنك أنني لم أعرفك منذ أول نظرة ٠٠ أواه أَمْهَا العز بز ا لقد قضت الآلهة أن نفترق وأن نتمذب كل هذه السنين، وما كان من شكى فهو أثر من احتراسي خشية أن يخدعني أحد فيدعى أنه أنت ، ويزخرف على ويبهرج حتى ينالني بالخداع والحب ... ولسكن ما دمت قد ذكرت لى سر المخدع والسرير والزيتونة ، وهو ما لا يعلمه أحد غيري وغيرك وغير يوريكيا ، فالآن فاهنأ ، ولأهنأ أنا ، وليطمئن قلى ... قلبي الوفى الذي أرده إليك كآخر عهدك به ، لا ينطوى إلا على حبك ، ولا يضمر غير الوفاء لك ... » وعانقها أودسيوس ... وضم إلى صدره صدرها ... والتف حول عنقه ذراعاها البضتان البيضاوان - وجمد عاجهما الناعم الأملس حول كاهله ، ووقف أودسيوس على شاطيء الذكرى كما يُتقف السباح المتعب المنهوك على شاطىء اليم وقد بلغه بعد جهد ، فأعضاؤهُ متراخية، وأعصابه موهونة ، وقلبه حَفِق، وروحه نشوى وذراعاه مع ذالة معلقتان بالشاطيء وقد سُمِّرتا فيه ... وقال بعــد لأى : « والله يا زوجتي العزيزة إنا ما بلغنا بعدُ نهاية أشجاننا وأحزاننا ، وإن أمامنا لأمدأ بعيداً وهموماً أخرتنبأ لى عنها الكاهن تبريزياس حيبا

رحلت إليه في هيدز، و إني لا أدرى ماذا يكون من أمرى ... ولـكن ··· لا ··· المنطلق الآن إلى مخدعنا المزيز الطاهر فإن بي حاجة إلى الراحة والإستجام ... و إن بى لشوقاً مبرحاً ونزوعاً شديداً إليك » . فقالت پناو. : « المخدع الطاهر النقي معد في أيما لحظة أردت ياأودسيوسي المزيز ... بيد أنك أثرت شجني وفرَّعت شجوى بما ذكرت عمايتر بص بنا من هم جدید ، فهلا ذكرت لى ماذا زعم لك تيريزياس في العالم الآخر؟ إنى مشوقة إلى ما قال ، فاذكره بحق الآلهة عليك » فأجاب أودسيوس « عمرك الله لم تسألين عن أمر إن يبد لك يسؤك؟! ولكن لا ضير ··· سأذكر لك ما نبأ بى به تيريزياس » ثم وجم قليــــلا وقال : « لقد أشار أن أحمل مجدافا عظيما على كاهلي ، ثم أنطلق مهاجراً إلى ممالك نائية وأصقاع سحيقة ، حتى أكون فى قوم لم يسمعوا عن البحر قط ، ولم يروا في حياتهم مجدافاً ولا سارية ، فإذا لقيت أول من يسألني عما أحمل ، وهــل هو مذراة مما ينسف به 'القمح ، غرست المجداف في الأرض ، ثم تقر بت إلى إله البحار نيتيون الجبار بقرابين تمحو ما بيني وبينه ، وتعقد بيننا أواصر الســـلام والوئام ، كما تقربني إلى أعوانه الآخرين من آلهة الماء ، فإذا فعلت استرحت من لأواء الحياة ، ونأت عنى أرزاؤها ، وعدت إلى شعبي وإليك ، وإلى ولدى وتصرى فعشت بينكم بسلام ، حتى يا تيني الموت ، هادم اللذات ، من أعماق البحر ، ولكنه سيكون موتاً طيباً لا مخوفاً ولا مرهو با ، بل سكرة

بين أَمَنَة ونعاس . بعد إذ الجسم موهون ، والقلب فارغ ، والرأس مشتعل والروح سالية قالية » .

وهكذا ظل الحبيبان المشوقان يتحدثان قطعاً من الليل ، بينما كانت المرضع وخادمة أخرى تمهدان الفراش على ضوء المشاعل … ثم أقبلت الوصيفة فذهبت تمشى بين أيديهما إلى المخدع ، وفى يديهما المشعل المقدس يفيض نوراً ولألاء كما أفاض منذ عشرين سنة …

ولفهما ظلام الليل ، وسيتر الهوى ··· وسكن البهو بعد ماضج بالعزف والقصف ، وهدأ القصر في سدول السعادة .

أودنيسيوسس مصل إيابياكا

وهتف هرمز بأرواح القتلى فهمهمت ، ثم أشار إليها بعصاه فسحر الكرى مُقلها ، ثم أشار كرة أخرى فأهرعت فى إثره كما تهرع الخفافيش فى إثر دليلها .

وانطلق حبيب الآلهة فعبر عباب البحر الحيط ، وعبرت الأرواح الهائمة في إثره ، وجاز صخرة لوكيديا ، وبواية الشمس الخالدة ، ثم انطلق ، والأرواح الهائمة من خلفه ، في تيه الأحلام ، وعبر بها في مروج آسفوديل ذات الأشباح ، حيث لقي القتلي أرواح ذويهم وأبطالهم من رجال هيلاس الذينُ سقطوا تحت أسوار طروادة ... وهناك ... وقفوا طو يلا يتناجون ، وكلم ابن پليوس قائد الهيلانيين أجا ممنون وړ ثا له ، فكلمه أجا ممنون وتحسر عليه ، ورأوا روح بتروكلوس حبيب أخيل زعيم الميرميدون ، وروح أخيـل نفسه ، وروح أچاكس العظيم … وعرف أجا ممنون روح أمفيديون العاشق المحروب الذى قتله أودسيوس فيمن قتل من عشاق ينلوب ، فكلمه ، وكله أمفيديون فقص عليه ما كان من مأساتهم الغرامية وماكان من أوبة أودسيوس المفاجئة واختلاطه بهم في صورة فقير شحاذ … إلى آخر القصة الدامية الشجية التي انتهت بقتلهم جميعاً ... وما كاد يفرغ حتى بدا العجب في محيا القائد أجا ممنون وطفق يثني على وفاء پناوب ، وشجاعة صديقه أودسيوس ، ثم راح ينعى (11 - c)

على زوجته الآئمة كليتمنسترا ماكان من غدرها ، وتدبير غيلتــه مع حبيبها الفاسق إيجستوس ...

وهكذا انتهت الأشباح الآثمة إلى ظلمات هيدز … إلى مملكة پلوتو … حيث تلقى جزاءها العادل من مخالب سيربيروس الحادة وأظفاره القواطع .

هذا ماكان من أس تلك الفئة الباغية .

أما ماكان من أمر أودسيوس فقد استيقظ فى بكرة اليوم التالى ، واستيقظت معه پناوب السعيدة ، وهب من فراشه فارتدى ملابسه ، ووضع عليه سلاحه ، ثم أمر زوجه ألا تخاطب من الناس إنسياً حتى يعود ، وأن تغلق عليها أبواب القصر ، لأنه منطلق إلى أبيه ليزف إليه البشرى بنفسه . ودعا إليه تلياخوس ليصعبه ، وليصحبه الراعيان المخلصان الوفيان ، بعد إذ يسبغ كل منهما عليه دروعه ، ويستعد بسلاحه .

وانطلق الأربعة يطوون شوارع المدينة التي خيم عليها الصمت دون أن يشعر بهم أحد من أهلها ، حتى بلغوا الخلاء ، وما زالوا يذرعونه حتى كانوا عند المزرعة المصون الناضرة ، وهناك ، نظر أودسيوس بعينين مشوقتين ، وقلب ملتاع خفيق ، إلى البيت الصغير الذي يؤوى أباه الضعيف الشيخ ، حيث يقضى أيامه في أسمى ليس بعده أسى ، و يجتر همومه في صمت كصمت الموتى ، و يذرف دموعه في قنوط وسكون ... لا يراه أحد ، ولايشكو بثه إلى مخلوق ، إلا هذه المرأة العجوز الحيز بون

التى تخدمه فى رضى ، وتسهر عليه فى حب له ، و إشفاق من أجله ... وكان ليرتس ، الأب المحزون ، يتلهى بالعمل فى بستان قريب يشذب شجيراته ، ويهذب زهيراته ، فا مر أودسيوس ولده وراعييه أن يبقوا فى المنزل ليعدوا غداء فاخراً ، وشواء سمينا ؛ لأنه يحب أن يلتى أباه فى المبتان وحده ...

وانطلق أودسيوس إلى البستان ، فوجد الفلاحين قد انصرفوا إلى أعمالهم ، ووجد أباه يجوس خسلال الأشجار كالشبح ، ويهوى بفأسه فيحتفر حولهن ، وهو بين الفينة والفينة يصلح من ابساسه الحشن الذى اتخذه من جلد عنز ، كما اتخذ منه قفازيه وجور بيه ... ووقف أودسيوس تحت كمثراة باسسةة وطفق ينظر إليه ، ويقلب فى السنين الطوال اتى يرزح تحتهن عينيه ، ثم يتعجب القلب الكبير الذى صمد لحدثان الزمان ولأواء الأيام فلم ينصدع ولم يهن ، وإن كان بعض حزنه اتنوء منه الجبال .

وانبجس الذمع من عيني أودسيوس ، وانهمر على خديه الحزينين ، وأوشك أن يمضى نحو أبيه فيأخذه في حضنه ، ويفجأ ه بالبشرى القاتلة ، لولا خيفته على تلك الشيخوخة المتداعية أن تنقض حين لا تحتمل النبا العظيم … نبا عودة قطعة القلب والكبد بعد يأس دام عشرين عاما … للذا آثر أودسيوس ألايفعل ، وآثر أن يلتى أباه كرجل غريب جواب لفذا آثر أودسيوس ألايفعل ، وآثر أن يلتى أباه كرجل غريب جواب آفاق ، و يحدثه ، ليعلم ما في قلبه ، فدهب إليه ، ووقف عن كثب يكامة :

- «أيها الشيخ : ويكا ُنك لاعلم لك با مور هذا الزرح ، و إن أثمر بستانك وآتي أكله! حقاً ، إني لا أرى عشباً في الأرض ، ولاشجرة إلا وهي مثمرة ، ولا زهرة إلا وهي مسفرة نامية ، وما ذاك إلا لسهرك علمها . بيد أنه لن يسوءك إن لاحظت أنك تعنى بهذا البستان أكثر مما تعنى بنفسك ، مع ما أنت فيه من تقادم السن ولفحة الشمس ووطاً ة المرض ... وما أحسب مولاك إلا قاسي القلب عليك ، قليل الاحتفاء بك والتوجع من أجلك ، مع ما لك من سيماء النبل ، ومظاهم الملوك ؛ فما كان أحجى بك – وأنت في هذه السن – أن تستحم وتتضمخ وتنام ملء عينيك ، لا يزعجك عمل ، ولا تتودك أكلاف الحياة ! ولَـكَانَ قُلُ لَى بَاللَّهُ عَلَيْكُ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، لَنْ تَنْصِبُ كُلُّ هَذَا النَّصِبِ ، و بستان من هذا ؟ خبرنى ! لا تخفُّ على أيها الأب ، فلقد لقيت من سألته فلم يأبه بى ولم يُرن عسألتى ... ولقد ذرعت الرحب حتى وصلت هذه الأرض ، إيثاكا ، لأني كنت أقدم فها مضى من الزمان فأحل ضيفاً على أمير عزبز فيها ، وما أعرف إن كان لا يز ل حياً يرزق ، أو مضى لا قدر الله إلى هيدز إ ولقد كان هذا الصديق يزورني في وطني فأ كرم مثواه كما يكرم مثواى ، ولقد كان يحدثني الأحاديث عن أبيه ليرتيس ابن آزيرياس … وما أنس لا أنس أيام كان يحمل إلى الهـدايا فأردها إليه أضعافاً مصاعفة ، فن ذاك أنني نفحته مرة بسبع بِدَر من خالص الذهب ، و بحمالة من فضة مزدانة ما فواف الزهر ، واثنى عشر صداراً ، واثنى عشر دثاراً ، ومثلهن من أكرم البُسط ، وشيء كثير من ثياب

القاقم والسنجاب ، ثم أهديت إليه أر بع جوار كُنْس أبكار اختارهن بنفسه، مثقفات مهذبات ، يتخايلن في الخز ، ويرفلن في الديماج. وازدحمت الدموع الحِرار بكل الذكريات المشجية في عيني الرجل الشيخ ، وقال يجيب أودسيوس : ﴿ أَيُّهَا الْأَخِ لَقَدَ بَلَغْتَ مِنَاكُ ، فَهَذَهُ هي إيتا كا ... بيد أنها – واأسفاه ! – نهب مقسم بين فئة باغية ظالمة لا تخضع لقانون ولاتعرف شريعة . أما صديقك فوا أسنى عليه ... ويا ألف أسى على هداياك ! من لك به اليـــوم ليردها عليك أضعاماً مضاعفة يا صاح ! ولـكن قل لى بربك واصدقنى : منذكم سنة لقيت صديقك التاعس ، الذي هو ابني ! ؟ إيه ... ! له الله ! ما أحسب إلا أن السمك قد اغتذى به ، أو أنه غدا يوماً جزر السباع وكل نسر قشم ! أواه عليك يا أودسيوس باولدى ! هكذا قضيت ولم أذرف على ثراك عبرة ، ولم تمكتحل عينا أمك قبل أن تموت برؤياك .. ولا ينلوب! ولاينلوب أيضاً كانت إلى جانبك لتغمض بيدها أجفانك ... ولـكن ... ولـ كن قل لى أيها الأخ من أنت ، ومن أى البلاد قدمت ؟ وابن مَن من الـكرام الأكابر؟ وفي أى الرفاق وصلت إلى إيثًا كا وفي أى السفائن؟ أم وصلت بك إحدى الجوارى المنشئات ثم غادرتك في إيثاكا ؟» . وقال أودسيوس وهو يلفق ما يقول: « أما من أنا ... ف ... أنا إبير يتوس بن أفيداس بن بوليبمون من أمراء أليباس ، من أعمال صقلية ، ولقد هبت على سفينتي عاصفة هوجاء فدفعتنا نحو بلادكم وألقينا المراسي في مينائكم ... ولقد لقيت أودسيوس لآخر مرة منذ خمس سنوات ،

وقد افترقنا وكلنا أمل أن نلتقى لنتبادل تذكارات المحبة وهدايا الصداقة والوفاء والود » .

وانعقدت سحابة مظلمة من مرارة الحزن فحجبت الضوء عن عينى ليرتس ؛ ثم إنه أهوى إلى الأرض فقبض قبضات من التراب وراح يحثوها على رأسه ، ويأن أنينا مؤلما . ولم يحتمل أودسيوس أن يرى أباه في هـذه الحال ، بل كاد صدره ينشق من حسرة عليه ، فهرول وأخذه ملء ذراعيه وجعل يضمه إلى صدره ويقبله ويقول: « أبتاه ! أبتاه ! هو أنا ذا ! أما أودسيوس عدت إليك بعد عشرين عاما فافرح وهدئ روعك ، ولتنته آلامك ، وإليك أحسن البشريات ا لقد قتلت أعدائي العشاق جميعا . قتلتهم في بيتي ، وانتقمت لك ولى ولبنلوب! » بيد أن ايرتس وقف ذاهلا عن نفسه ، ثم نظر إلى ولده وقال : « إن كنت حقاً ولدى أودسيوس ، فهات برهانك الذي يقطع شكى ! » فقال أودسيوس: « ألا تصدق! إذن فانظر إلى الندوب الحالدة التي أحدثها في ساقى خنزير الفلاة إذ أنا حَدَث يا أبي ! ألا تذكر يوم كنا على جبل برناسوس ، وكان جدى أوتوليكوس معنا ثمة ، وكان يتحفني بالهدايا واللهي ؟ وهاك دليلا آخر يوم مشيت معـك في هذه الحديقة ورجوتك أن تجعل بعض هذه الأشجار باسمي ، فشيت معك ، ورحت أنت تسمها لى بأسمائها ، فجعلت لى ثلاث عشرة كمثراة ، وعشر تفاحات ، وثلاثين تينة ، وخمسين صفا من الـكروم الناضرة التي كان يزرع القمح بين عمائشهاوالتي كانت تتدلى منها العناقيد من كل لون! »

وانجاب الشك عن فؤاد ايرتس، فأخذ ولده بين ذراعيه المرتجفتين وراح يضه ويقبله، ويصعد في صدره الرحب القوى أنفاسه، حتى إذا وهنت قواه أرسله، وأخذ يحدثه فيقول: « ياللا لهة! يا أرباب السموات الخالدة في شعاف الأولمب! أهكذا قضيت آخر الأمر أن ينصب جام غضبك ومحم نقمتك على هؤلاء الهذرة الفجرة! ولهن الشد ما أخشي أن يتا لب إلجهور علينا، فيهرعوا إلى هنا، ويطلبوا ثار ذويهم، فتبسم أودسيوس وقال له يطمئنه: « لا عليك يا أبى … هلم الآن فلنذهب إلى بيتك الجميل، فلقد أرسلت تلياك ثمة ومعه الراعى، ويومايوس الوفى، ليعدوا لنا طعاماً سريعاً حفيفاً».

وأعد الطعام ، ومزجت الخر ، وذهبت الخادم العجوز فأعدت حماً السيده الشيخ ، ثم ضمخته وأضفت عليه ملابس نظيفة ، وتنزلت مينرقا الكريمة فهشت بيديها الإلهيتين على جسم ليرتيس فتدفق الشباب في عروقه ، وعاد إليه رواؤه وحسن سمته ، فلما خرج من الحمام تعجب أودسيوس وقال له : « تالله يا أبت إني لا أشك في أن بعض الآلهة قد رد إليك صباك . وخلع عليك مردة الشباب من جديد!! » .

ولم يكن عجب ليرتيس بأقل من عجب ولده « تعاليت يا چوڤ ! وتقدست يا مينرڤا! وسما حدك يا أبوللو! لقد كسوتمونى نضرة الشباب التي كانت لى يوم ملكت مدينة تريكوس بمعونة السيفالينيين الشجعان! أواه لو قُدِّر لى أن أقف إلى جنبك أمس يا بنى ، ليكون لى شرف مجالدة الأوغاد الذين قتلت ، إذن ، لحظيت بكوكبة منهم أضرج أديم الأرض

بدمائها ، فأشفى منهم حَرَداً في صدري ، وغِلاًّ في حشاشتي ! » .

وأكلوا هنيئاً وشربوا مريثاً ، ثم جلسوا على الأراثك متقابلين … وكانت الخادم العجوز قد انطلقت إلى المزارع فدعت كبير الفلاحين درليوس، فأقبل في رجاله الذين كدهم العمل وأنهكتهم المثابرة ··· فلما رأوا ما ارتد إلى سيدهم من شبابه ، وهـذا الرجل الغريب الذي يجلس بين المائلة المقدسة ، وقفوا مسبوهين مشدوهين ، لا يعرفون ماذا يقولون ... وحدجهم أودسيوس ، ثم بدأ يكلمهم في لطف وخبث ويقول : « إجلس أيها المجوز دوليوس فكل أنت ورجالك س فليس ثمية متسع لدهش أو عجب … إجلس قبل كل شيء فاملاً بطنك و بطرن رجالك … لقد انتظر ناكم طويلا، لكنكم استأنيتم !» ولكن سرعان ما عرف دوليوس مولاه حين سمع صوته ، فأقمل عليه ، وتناول يديه ، وطفق يغمرهما بالقبل المباكية ويقول: «أوه يا مولاى! هكذا والله تستجيب السماء! لقد طالما جأرنا ولقد طالما دعونا فلها الثناء إذ ردتك إلينا! فعشواسلم وسر وابتهج ... والكن ٠٠ هل علمت الملكة بقدوم مولاى ؟ ألا ننطلق من فورنا فنزف إلىها البشرى ؟ ».

وطأنه أودسيوس ، فجلس الرجل مبتهجاً مسروراً ، وجلس أبناؤه معه ، وأخذوا فى أكلهم وشرابهم ، وأخذ أودسيوس بلاطفهم ويداعبهم.. وهكذا عاد الحبور مرة أخرى إلى بيت ليرتيس !

* * *

وقرع آذان الناس في المدينة ما كان من قدوم أودسيوس ، وما

حاق بالأمراء المعاميد من نـكبة على يدبه الجبارتين ، فأهماءت جموعهم إلى قصره صاخبةً ناعبةً ، ثم انطلقوا إلى حيث كدست أجساد القتلى فَرَّقَ كُلُّ قَتِيلِهِ ، وأُرسلت جثت الغرباء إلى ذويهم في أوطانهم في سفن الصيادين من كل فج لتُحرُّق ثمة ... واجتمعوا بعدُ ليتشاوروا بينهم فيما ينبغي أن يكون ... فنهض يو پيتيس والأسي يزلزل جوانحه وأنشأ يقول: ﴿ أَيُّهِــا الرفاق ! لقد كان هــذا الرجل الطاغية حرَّا دائمة َ عليكم فلم يصبكم منه إلا الشر ، ولم تثمر لكم فعاله إلا الندامة ! فلقد ساق شبابكم وخيرة أبطالـكم الى طروادة المشئومة حيث قتلوا أجمعين ، وهاهوذا ينقلب اليكم اليوم ليذبح ساداتكم وذوى الصولة فيكم...فهلموا إذاً ورَوْا رأيكم فيه قبل أن ينطلق إلى بيلوس فيطلب العون عليكم ، وتصبحوا على ما قصرتم نادمين ! إِما إِن لم نثأ ر لضحاياً ما فأى عار يَسِمنا وأى خزى يصمنا يا قوم ! وأية حياة هذه التي تحيونها بعد ما حل بكم من هوان ومذلة ... لخير اكم أن تذبحوا أنفسكم فترحلوا إلى هيدز مع أرواح قتلاكم وان تـكونوا على ذلك من الآسفين! ، ثم جلس وهو يتصدع من الحزن على صاحبه أنتينوس الذي كان أول ضحايا أودسيوس ... وقام ميدون المنشد التاعس فقال : « أيها المواطنون أعيروني آذانكم ا تالله إن أودسيوس لم يرم سهامه إذ رمى ، ولكن بعض الآلهة كان يرسم له و ينافح عنه ، ولقد رأيته بعيني هاتين في صورة منطور ، ووالله ما هو منطور ، ووالله لقد كان يمشى بينيديه همهنا ولهمنا فَيُرَاع العشاق وتفزع قلوبهم ويسقط بعضهم فوق بعض فتأخذهم سهام أودسيوس ويروى

من دمائهم سيفه ! » وما كاد يفرغ ميدون ، وكان فيهم أميناً صادقا ، حتى طارت ألوانهم وامتقعت وجوههم ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وادَّارأوا طويلاً ، ثم وقف هاليتير بطلهم القديم بن مسطور ، وكانت له دراية بكشف أستار الماضي والحاضر والمستقبل ، فَصَمَرَّ خده وقال : « أيهــا الإخوان ! يا أبناء إيثاكا ! إسمعوا وعوا ! تالله لقد طالما مهدتم للفتنة ، و إنها لثمرة أنتم غارسو شجرتها وأنتم اليوم جُناتُهَا ... أَتَذَكُرُونَ يُوم رجونكم فألحفت عليكم في الرجاء أنا وصاحبي ميدون هذا ، أن نذهب فنمنع القصر من شبابكم ، ونصون عرض أودسيوس من أبنائكم ، ونصرفهم عن ولده وزوجه ومتاع هذه الحياة الدنيا ، فأبيتم أكبر الإباء ، ورفضتم أقبح الرفض ، وجعلتموها فتنة كنت أستعيذ بالآلهة منها ؟ ا فعلام تغلى مراجل صدوركم ياقوم ؟ وفيم ائتماركم بالرجل وقد ثأر لعرضه ؟ ألا فاسمعوها كلة مخلصة أسديها إليكم ... الرأى ألا تذهبوا ، وألا تجعلوها فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، بل اقعدوا ههنا آمنين ، ولات كمونوا كالذي سمي إلى حتفه بظلفه ، وأبطأت عليه المنايا فسمى قُدُما إليها ! » وما فرغ حتى زمجر القوم وتصايحوا به ، وضجوا من كل مكان ... ثم إنهم سمعوا إلى شيطان يو پيتيس ففزعوا إلى أسلحتهم ، وأسبغوا علمهم من دروعهم، وانطلقوا إلى المدينة فنظموا فيها صفوفهم، وأقاموا يو پيتيس قائداً منحوساً عليهم ، وما جعلوه كذلك إلا ليلقي حتفه بيد أودسيوس ، وتعجل روحه إلى النار!

ومضت مينرڤا إلى سيد الأولمپ ، چوڤ العلى فوقفت ببابه تقول :

« أبتاه ! أين عن سريرتك ، واكشف عن مكتوم قلبك ومكنون نفسك ! هل يحل على هذه الفئة الظالمة غضبك ، أم أنك ما يحها محبتك ، ومحصنها بحايتك ؟ » فعبسم من قولها وأنشأ يجيب : « وفيم هذا التساؤل يا ابنتى ؟ ألم تَقَدُرى أنت أن يعود أودسيوس إلى وطنه فيذبح بيديه أولئك العتاة الطغاة ، ويربح وجه الأرض من خبائاتهم ؟ ليكن ما تشائين ! إصنعى ما بدا لك ... ولكن نصحى أمحضك إياه يامينرقا ! مادام أودسيوس قد ثأر لنفسه من أعدائه ، فليكن السلام على الأرض وليحل الأمان في ربوعها ، وليتقاسم الملأ على الود والصفاء ، وليحكم أودسيوس بين الناس بالعدل ... وعلينا نحن أن ننزع ما في صدورهم من غل فينسوا سخائمهم ، ويطرحوا ثاراتهم ، ثم لتكن لهم من أنفسهم من غل فينسوا سخائمهم ، ويطرحوا ثاراتهم ، ثم لتكن لهم من أنفسهم أمن غل فينسوا سخائمهم ، ويطرحوا ثاراتهم ، ثم لتكن لهم من أنفسهم ورفّت مينرفا من السموات العلى إلى إيثاكا .

وفرغ أصحاب أودسيوس من أكلهم فأمرهم أن يتحسّسوا آثار القوم ، فانطلق أحد أبناء دوليوس إلى المدينة فرأى من استعداد أهلها ما رأى ، وجاء إلى مولاه على عجل فقال له : « مولاى ! لقد تسلح الإيثاكيون وهم موشكون أن يقدموا إليك ! » فنهض أودسيوس فادّرع ، وادّرع أبوه وابنه وخادماه وأبناء دوليوس الستة ، وادّرع دوليوس كذلك ، وادرع الفلاحون الآخرون ، وحمل كل سلاحه ، وبرزوا إلى الطريق وفي مقدمتهم أودسيوس .

وبدت مينرڤا في صورة منطور وفي طيلسانه ، فلما رآها أودسيوس

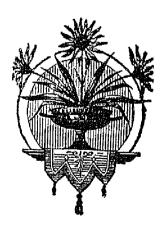
فرح واستبشر ، والتفت إلى تلياك فقال : «أى بنى عليك أنت أن تحمينا اليوم فقد عرفت ما خاض أبوك من معامع ، وسنرى من يحارب خيراً من صاحبه اليوم ! » فقال تلياك يجيبه : « اطمئن يا أبى فسترى كيف يحمى العساوج فرعه ، وكيف يشب الفرع على أصله . تالله لن أفضحك فيا وكات إلى يا أبى ، ولن يخيب رأى أهلى في ! » وفرح الوالد بمقالة ابنه ، وشكر للآلهة وأثنى عليها .

واقتر بت مينرقا من ايرتيس ، وهي لا تزال في صورة منطور ، فقالت له : «أوه أيها الجد الوقور! صل لمينرفا وابتهل ، وتوسل إلى چوث ، أن يمنحاك القوة والجلد ، ثم اهم محر بتك على يو بيتيس فروها من دمه ، فالساء كلها معك » ولمسته بيدها فتدفق شبابه في قلبه ، وكان جيش الأعداء قد اقترب منهم فطار ليرتيس إليهم برمحه ، وأقصد يو بيتيس بضر بة في صدره ، فخرج سنان الرمح يلمع من ظهره ، ورأى أودسيوس فظار إلى الملا بسلاحه ورماحه ، وانقض تلياك في إثره ، وهجم الآخرون في إثر تلياك ، ولم يطل القراع ، فقد فزع الأعداء واختلط نظامهم ، فولوا الأدبار ، ولكن هيهات ! لا مجاة اليوم! فلقد سد عليهم أودسيوس ورفاقه الطرق ، وأخذوا عليهم المسالك ، فهم في ضيق ، وهم ذاهاون!

وهتفت ابنة چوش العذراء بأودسيوس ورجاله تقول : « السلام عليكم أيها الحجار بون ! السلام ! السلام ! قبل أن تجرى دماؤكم أنهارا ! » ثم بدت مينرفا في صورتها الإلهية المقدسة فارتعدت فرائص القوم ،

وتحاذلوا هيا بينهم ، حتى أصحاب أودسيوس! لقد ارتجعت أعصامهم وعصف الذعم بسواعدهم ، وكادت سيوفهم ورماحهم ثنته على الأرض ... ولم يعمأ أودسيوس ، دل هجم كالنمر على القوم المنهزمين يود لو يصعقهم ، وطعق يبرق و يرعد ، و يزأر ،صوته المدوى العظيم ، فغصب سيدالأولمب ، وأرسل إحدى صواعقه نديراً من لدنه إلى مينرقا ، وعجلت إليه ذات العيمين الزبر جديتين ، وزجرته عن الناس وهى تقول : « لا يا أودسيوس! لا يا ابن ليرنس النبيل ، لا يجدر هدا عاضيك! ضع حداً لهده المحزرة المروعة أو تجلب عليك غصب چوق العلى! » .

وخَبَتَ أودسيوس ، وسُرَّت مينرها ، وعقد منطور الصلح بين العريقين ، ودحل الماس في السلم كافة ...!



استدراك

نرجو أن نستدرك على قصة طروادة ، بمناسبة ظهور شقيقتها هذه ، ما سقط سهواً أثناء الطبع من الإشارة إلى أول الإلياذة التي تبدأ بذلك النزاع العقيم الذي شجر بين أجا ممنون وأخيل من جراء الفتاتين ، والذي يجرى ذكره في الصحيفة الثالثه بعد المائه من قصة طروادة .

الفهترس

مفحة									
٤	•••	***	•••	•••	•••	•••	•••		بين مينرڤا وتلياك
17	•••		•••	•••	•••	•••	•••	اق	تلياك يجادل العش
44	***	···		•••	•••	•••	•••	ر عن أبيه	تليماك يسائل نسطو
٤٣	***	•••	•			•••	111	-	- المشاق يتآمر،ون
٦٤	•••	•••	•••	411		۔و	كاليي		أوديسيوس يبحر .
14.	***		•••	•••			•••	-	أوديسيوس يروى
189	4	ند _م - ب	•••		•••	•••	نی		رحلة أوديسيوس
۱۷۰		***				•••	•••	•	تمام قصة أوديسيوس
۲۸۲				• • • •		-,-	•••		ا أودبسيوس يصل
7.7	•••			•••			•••		مع الراعى ··· ···
71 9	•••	***		•••	•••	•••	•••		ے و عودة تلياك ···
۲۳۰			•••	•••		•••	***		عود. أوديسيوس يلقى ت
*** ***	•••			•••				-	.رديسيوس يىپى . أوديسيوس فى قد
757	***	•••	***	•••	•••	***	•••	ر مع شحاذ	أوديسيوس ينشاج
474									نذير من السماء ••
۲ ۷۸	•••	•••		***	•••		•••	*** *** *	الانتقام الهائل
									پناوب ۰۰ وأخيراً
494		•••				•••	•••	إلى إيثاكا	أوديسيوس يصل

(مطبعة الرسالة — شارع السلطان حسين — عابدين)

للبؤلف:

۱ ــ أساطير الحب والجمال عند الإغريق
۲ ــ قصة طروادة
۲ ــ الأوذيســة
۲ ــ إخيلوس والمسرح اليوناني
(تحت الطبع)

Source: www.bibalex.org





Thanks to assayyad@maktoob.com

To PFF: www.al-mostafa.com